المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الأمراء المماليك في القاهرة خلال عصر دولة المماليك البحرية

(٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف

الدكتور / عدنان بن محمد الحارثي

إعداد

شريفة بنت ردة بن عطية المالكي

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ S

[سورة النمل : ١٩]

الإهداء

إلى من دفعني لحب العلم

وغرس في نفسي حب الطموح

إلى الصابر على مرارة الحياة

والواثق دائماً بالله

إلى خالي سعادة العقيد منصور المالكي

أهدي ثمرة جهدي وخلاصة فكري

الباحثة

ملخص الرسالة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لقد تم هذا البحث بفضل الله وتوفيقه ، وضعته لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية تحت عنوان:

(الأمراء المماليك في القاهرة خلال عصر دولة المماليك البحرية)

(٦٤٨- ٧٨٤هـ / ١٢٥٠- ١٣٨٢م)

قسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهرس لموضوعات الدراسة .

المقدمة : تناولت فيها الحديث عن أهمية هذا العصر ، والذي كان من الفترات المتميزة في التاريخ وما مرت به من الأحداث التي كان لها تأثير بالغ ليس على العالم الإسلامي فحسب ، بل على العالم الخارجي أيضاً ، واشتملت كذلك على أسباب اختيار الموضوع وأهميته وأهم الصعوبات التي واجهتني خلال فترة الدراسة .

التمهيد بعنوان : الأمراء المماليك في القاهرة قبل قيام دولة المماليك.

الفصل الأول : الأمراء وحياتهم الاجتماعية ، تكون من مبحثين :

المبحث الأول : أصولهم العرقية ونشأتهم وطرق تربيتهم .

المبحث الثاني : مكانة الأمراء الاجتماعية وتكوينهم الأسري ومصاهراتهم .

الفصل الثاني : وظائف الأمراء وأوضاعهم الاقتصادية ، تكون من مبحثين :

المبحث الأول : وظائف الأمراء وألقابهم وطرق تعيينهم وعزلهم .

المبحث الثاني : موارد الأمراء ومخصصاتهم المالية .

الفصل الثالث : إسهامات الأمراء في الحياة السياسية والإدارية ، ،أثرهم الحضاري ، وتكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دور الأمراء في الأحداث الداخلية والخارجية .

المبحث الثاني : دور الأمراء في الإدارة .

المبحث الثالث : أعمال الأمراء الخيرية .

الخاتمة : اشتملت على أهم الاستنتاجات التي تم التوصل إليها .

قائمة للمصادر والمراجع .

فهرس للموضوعات .

الباحثة	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
شريفه رده المالكي	د/ عدنان محمد الحارثي	أ.د/ سعود إبراهيم الشريم

تمهيد

الأمراء المماليك في القاهرة

قبل قيام دولة المماليك

الخلافات والصراعات الأسرية في البيت الأيوبي كانت سبباً مهماً في الإكثار من شراء المماليك، وجلبهم إلى أراضي الدولة الإسلامية [1]، حيث حرص كل ملك وأمير أيوبي أن يكوّن لنفسه عصبةً خاصة تكون سنداً وعوناً له، يعتمد عليها في الإبقاء على إمارته، وتحقيق أغراضه التوسعية على حساب الأمراء الآخرين[2].

ومع سير الأحداث في الدولة ازداد نفوذ المماليك وكبر، خاصةً عندما بدأ الضعف في صفوف الأيوبيين، ومالوا إلى حياة الترف والبذخ والانغماس في الملذات، وانشغلوا بقتال بعضهم، فأتاح ذلك للمماليك الفرصة بأن يكونوا من ذوي المكانة والشأن، فكانوا القوة الفاعلة في إنهاء تلك الصراعات القائمة بين الأمراء الأيوبيين، واكتسبوا بذلك القوة والسلطان في الدولة [3].

غير أن ذلك لم يكن كافياً ليثبتوا وجودهم كقوةٍ لها أهميتها ومكانتها، فقد هيأ الله لهم الظهور عندما ترامت إلى أسماعهم الأخبار بقدوم الصليبيين إلى دمياط [4] للاستيلاء عليها [5]، ومن ثم التوجه إلى مصر للقضاء على معقل القوة الإسلامية، وقد تمكنوا من دخولها دون مقاومة تذكر [6]، على الرغم من أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب [7] قد جهزها بكل ما تحتاجه من الآلات والمؤن أثناء الحصار،

---

(1) أحمد مختار العبادي؛ **قيام دولة المماليك الأولى**، ص ٩٣.

(2) محمد سهيل طقوش؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ص٢٤.

(3) محمود رزق سليم؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك**، جـ١، ص١٨.

(4) من المدن القديمة التى تقع بين تنيس ومصر، وعندها يصب نهر النيل، وهي من الثغور الإسلامية. ياقوت الحموي؛ **معجم البلدان**، جـ٢، ص٥٣٧، وقد خُربت هذه المدينة سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، لأن الفرنج أرادوا الاستيلاء عليها، وبني بدلاً عنها بليدة بالقرب منها سُميت المنشية أي المدينة الحديثة. المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ص٣٧٢؛ ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**، جـ٧، ص٢٠.

(5) أبو الفداء؛ **المختصر في أخبار البشر**، جـ٣، ص١٧٨-١٧٩؛ النويري؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، جـ٢٩، ص٣٣٦-٣٣٧.

(6) أوكل السلطان الصالح نجم الدين أيوب أمر الدفاع عن المدينة إلى عرب كنانة، ولكنهم تركوا الدفاع عنها عندما سمعوا باقتراب الفرنج، مما سهل عليهم الاستلاء عليها. أبو الفداء؛ **المختصر في أخبار البشر**، جـ٣، ص١٧٨-١٧٩، النويري؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، جـ٢٩، ص٣٣٤-٣٣٥.

(7) هو أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب، الملك الصالح أبو الفتح بن الكامل بن العادل، ولد بالقاهرة سنة (٦٠٣هـ)، ونشأ بها تولي حكم مصر في العاشر من شوال سنة (٦٣٨هـ/ ١٢٤٨م) بفضل المماليك الكاملية، مات في ليلة الإثنين (١٥/ ٨/ ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، وحكم قرابة عشر

وخرج هو بعساكره إلى المنصورة[1].

وبعد الاستيلاء على دمياط ، أستعد لويس التاسع ملك فرنسا ومن معه من جموع الصليبيين للزحف جنوباً إلى القاهرة ، لرأي اقترحه شقيق الملك لويس وهو الفنسو كونت دي إرتوا إذ قال : «من أراد قتل الثعبان فليحطم رأسه أولاً»[2] ، وبالفعل توجهت القوات الصليبية يقودها الملك الفرنسي إلى المنصورة للاستيلاء عليها ، وفي أثناء الهجمة الصليبية ، مات الصالح نجم الدين أيوب بعد مرض ألم به ، وذلك في الرابع عشر من شعبان سنة (٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)[3] ، وتظهر خلال تلك الأحداث عبقرية زوجته شجرة الدر[4] ، التي كتمت خبر وفاة السلطان ، إلاّ عن خواص الأمراء ، وذلك خوفاً على الروح المعنوية لدى المسلمين[5] ، وخوفاً من أن يستغل الصليبيون خبر وفاة السلطان فيطمعون في الاستيلاء على مصر[6] ، وأخذت تصدر الأوامر السلطانية كل يوم عليها توقيع السلطان ، كما أرسلت من يحضر ابنه تورانشاه[7] ، وكان في حصن كيفا[1] .

سنين. ابن شاهين الملطي ؛ **نزهة الأساطين** ، ص ٦٠-٦٢ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ .

(١) مدينة تقع بين دمياط والقاهرة ، أنشأها الملك العادل سنة ٦١٦هـ . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ٥ ، ص٢٤٤.

(٢) أحمد مختار العبادي ؛ **قيام دولة المماليك الأولى** ، ص١٠٤ .

(٣) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٦ ، ص٣٣٢ ؛ النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ٢٩ ، ص٣٣٦-٣٣٧.

(٤) هي أول سلطانة من غير الأيوبيين ، قيل إنها أرمينية الأصل ، وقيل تركية الأصل ، كانت هدية أهداها الخليفة المستعصم إلى نجم الدين أيوب في عهد أبيه الملك الكامل ، وقد أنجبت من الخليل ومات ، وكثيراً ما رافقت زوجها في رحلاته إلى المشرق ، بل كانت معه عندما سجن بأمر الملك الناصر داود في الكرك سنة (٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م) وكانت ذكية ، وجميلة ، صعبة الخلق ، شديدة الغيرة ، قوية البأس ، ذات شهامة زائدة ، تربعت على عرش مصر باختيار المماليك لها ، غير أن المسلمين رفضوا أن تحكمهم امرأة فعزلت نفسها ، انتهت حياتها بالقتل سنة (٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) . ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٦ ، ص٩١ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٩٤-٢٩٥ ؛ ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١٣، ص٢٢٥.

(٥) النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ٢٩ ، ص٣٣٧ ؛ ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٣٨ ؛ شفيق جاسر أحمد ؛ **المماليك البحرية** ، ص ١١٤-١١٥ .

(٦) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٧٨.

(٧) ولاه أبوه دمشق قبل موته وظل بها حتى جاءه خبر وفاة أبيه ، فعاد إلى مصر وبويع بالسلطنة في مستهل

هجم الصليبيون على معسكر المسلمين في المنصورة ، والتحم الطرفان في معركة حامية ، وقبل مجيء تورانشاه ظهرت بطولة الأمراء المماليك ، حيث تصدى الأمير بيبرس البندقداري [٢] ، والأمير فارس الدين أقطاي [٣] للصليبيين ، وجماعة من الأمراء المماليك وأوسعوهم قتلاً وأسراً ، وفي تلك الأثناء - والمماليك يدافعون ببسالة عن القاهرة - وصل تورانشاه ابن السلطان ، وبوصوله أُعلن خبر وفاة السلطان ، ونودي له بالسلطنة [٤] .

الأمراء المماليك قاتلوا تحت راية السلطان الجديد وهم متحفزون للقاء العدو ، متحمسون للجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، وأمام تلك القوة انسحب الصليبيون نحو فارسكور [٥] ، فتبعتهم القوات الإسلامية بعد أن قطعت عنهم المدد [٦] ، وحدث قتال عنيف بين الطرفين انتهى بانتصار المسلمين بفضل الله ثم بفضل جهود

محرم سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) ، كانت نهايته القتل على يد مماليك أبيه وذلك يوم الاثنين ٢٧ من محرم سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) . ابن شاهين الملطي ؛ نزهة الأساطين ، ص٩٣ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٦ ، ص٣٦٤ ؛ **المنهل الصافي** ، جـ١ ، ص١٨٣-١٨٤ ، رقم ٨٠٤ .

(١) قلعة كبيرة على دجلة بين آمد وجزيرة عمر من ديار بكر ، ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ٢ ، ص٥٦٥.

(٢) مملوك أصله تركي ، ولد ببلاد القبجاق ، عرف بالبندقداري نسبة إلى أستاذه إيدكين البندقداري ، ثم انتقل إلى خدمة السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، كان شجاعاً بطلاً ، تولى الحكم بعد أن قتل السلطان قطز مع عدد من المماليك ، وهو الخامس من ملوك الترك ، حكم قرابة ١٨ سنة ، عده المؤرخون المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية الأولى مات سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) . ابن شاهين الملطي ؛ **نزهة الأساطين** ، ص٧٥-٧٦ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٠٨-٣٠٩ ؛ ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١٣ ، ص٢٥١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٢٠٣ ، رقم٧١٥ ؛ أحمد رمزي بك ؛ **وفاة الملك الظاهر ودفنه** ، ص ١٢٩٨-١٣٠٠ .

(٣) من مماليك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان جمدارياً عنده - المشرف على خزائن الملابس السلطانية - وأصبح مقدماً على المماليك البحرية ، وقد استفحل أمره في الدولة المعزيه بالديار المصرية ، وكانت نتيجة ذلك أن قتل بأمر السلطان المعز أيبك لطمعه في السلطنة ، وذلك سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م . ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي**، جـ٢ ، ص٥٠٢-٥٠٤ ، رقم٥٠٥.

(٤) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٧٩ ؛ شفيق جاسر أحمد ؛ **المماليك البحرية** ، ص١١٥.

(٥) هي قرية من قرى مصر على شاطئ النيل على الضفة الغربية وهي قريبة من دمياط . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ٤ ، ص٢٥٨.

(٦) أبو الفداء ؛ **المختصر في أخبار البشر** ، جـ٣ ، ص١٨١ ؛ العيني ؛ **عقد الجمان** ، جـ١ ، ص١٧.

المماليك البحرية[1] ، وقد أثبت المماليك البحرية أنهم قوة يمكن الاعتماد عليها في مثل هذه المواقف الحاسمة .

وبعد أن انتهت المعركة مع الصليبيين وقع خلاف عظيم بين السلطان والمماليك البحرية ، حيث أساء هذا الأخير معاملة مماليك أبيه ، وأهمل أهل الحل والعقد من الأمراء الأكابر منهم ، وولى مماليكه المناصب ، وأرسل في الوقت ذاته يهدد زوجة أبيه ويتوعدها ، فضلاً عن انغماسه في الملذات ، فنفرت منه القلوب ، واتفق مماليك أبيه مع شجرة الدر على قتله ، فضربه الأمير بيبرس بالسيف فقتله وذلك أثناء وليمة كان قد أعدها لهم [2] سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) [3].

وكانت هذه الأحداث بداية لنهاية دولة وقيام دولةٍ أخرى ، إذ بمقتل تورانشاه ينتهي عصر الدولة الأيوبية في مصر والشام ، ويبدأ عصر المماليك الذين أضفوا على أنفسهم هالة من المجد ، وظهروا أمام المسلمين بصورة الأبطال القادرين على الذود عن ديار الإسلام .. ونجحوا في الاستيلاء الفعلي على حكم مصر بعد مقتل تورانشاه [4].

وجد المماليك البحرية أنفسهم في حيرة كبيرة بعد مقتل تورانشاه فيمن يلي حكم مصر ، فقاموا بتولية شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وبجلوسها على عرش مصر ابتدأ عصر دولة المماليك [5]، ومن الملاحظ أن المماليك لم يختاروا أميراً منهم ليتولى ذلك المنصب مع أن أغلب الأمراء كانوا يتطلعون إليه ،

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٥٣-٣٥٦.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٥٨-٣٥٩ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٨٣.

(٣) كان مقتله يوم الاثنين ٢٩ محرم ، ومدة سلطنته واحد وسبعون يوماً . ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٨٥ ؛ النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ٢٩ ، ص٣٦١.

(٤) حكمت الدولة الأيوبية في مصر من الفترة التي تولى الملك فيها الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أيوب سنة ٥٦٧هـ حتى مقتل تورنشاه سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) ، فدامت نحواً من ٨٦ سنة إلا أشهر . ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٨٥.

(٥) ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٣٨ ؛ شفيق جاسر أحمد ؛ **المماليك البحرية** ، ص١١٧.
ص١١٧.

حيث تظهر في ذلك السياسة المملوكية في التعيين لأي منصب ، فهم لا يختارون أميراً قوياً له سلطة ومكانة بين الأمراء ، وإنما يختارون أميراً ليس له أدنى سلطة ، كما حدث عندما قاموا بتعيين الأمير عز الدين أيبك [1] أتابكاً للعساكر [2] ، ومدبراً للدولة مع السلطانة وقالوا : «متى أردنا صرفه أمكننا ذلك» [3] لعدم قوته وكونه من أوسط الأمراء .

شجرة الدر أثبتت جدارتها بذلك المنصب ، فقد أنهت الموقف مع الصليبيين وعقدت معهم اتفاقية مدتها عشر سنوات [4].

إلاّ أن ما خطط له المماليك لم يدم طويلاً ، إذ رفض المسلمون في البلاد الإسلامية عامةً ، والديار المصرية خاصةً ، أن يدبر الأمور امرأة ، وقد حاول (المماليك البحرية) طلب الشرعية لحكم شجرة الدر من الخليفة العباسي المستعصم بالله [5] ، إلاّ أن طلبهم أُجيب بالرفض ، بل أرسل إليهم الخليفة يستنكر عليهم تولية الحكم لامرأة ، وقال : «إن كان الرجال قد عُدمت عندكم فأخبرونا حتى نسير إليكم رجلاً» [6] .

---

(١) اشتراه الصالح نجم الدين أيوب في حياة أبيه الملك الكامل ، وتنقلت الأحوال به إلى أن جعله جاشنكيره واستمر كذلك حتى توفى الصالح ، فولاه الأمراء المماليك السلطنة بعد رفض المسلمين لحكم شجرة الدر ، وقد كانت نهايته القتل سنة (٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ١ ، ص٢٠ ؛ المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٦٨ ؛ النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، ص٢٩، ص٤١٩ .

(٢) هو القائد العام للجيش المملوكي ، وكلمة أتابك تتألف من كلمتين تركيتين مركبتين هما (أتا) ومعناها الأب، (وبك) معناها الأمير ، فيكون الأتابك هو السيد أو الأمير الأب ، أي أبو الأمراء . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص١٨ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ١ ، ص٣ ، انظر الفصل الثاني المبحث الأول .

(٣) ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ١ ، ص٢٠-٢١ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٦٣ ؛ أبو الفداء ؛ **المختصر في أخبار البشر** ، جـ٣ ، ص١٨٢ .

(٥) هو عبد الله أبو أحمد المستعصم ، ولد سنة (٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) ، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وهو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق ، كان كريماً ، سليم الباطن ، قليل الرأي ، مبغضاً للبدعة ، متمسكاً بالسنة ، غير أنه كان مشتغلاً بلعب الحمام ، كانت نهايته على يد التتار ، وذلك سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٦٠م) وعمره ٤٦ سنة وأشهر ، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر . القرماني ؛ **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ** ، جـ٢ ، ص١٩٤-١٩٧ ؛ السيوطي ؛ **تاريخ الخلفاء** ، ص٥٤٩ .

(٦) المقريزي ؛ السلوك ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٦٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١، ص٢٨٧ .

كما واجه المماليك البحرية مشكلة أخرى ، هي معارضة الأيوبيين في بلاد الشام لولاية امرأة ، واتفقوا على إعادة مصر إلى ملكهم ، فأدرك المماليك خطورة الموقف فاتفقوا مع السلطانة شجرة الدر بأن تعزل نفسها عن الحكم ، وتتزوج بالأمير عز الدين أيبك ، فيتولى هو حكم مصر عنها [1] ، ولم يقتنع الأيوبيون بذلك الحل ، فعمل المماليك على تلافي ما قرره الأيوبيون ، فقاموا بتولية أحد أبناء البيت الأيوبي ، وهو الأشرف موسى بن الملك الناصر [2] سلطاناً إلى جانب أيبك ، وكان هذا السلطان صغير السن ، ولم يكن له سوى السلطة الاسمية لا غير [3] .

ولكن المصريين لم يقبلوا بمملوك يتولى حكم مصر ، وثاروا على السلطان أيبك وقالوا : «لا نرد إلا سلطاناً مولوداً على الفطرة»[4] ، فخشي المماليك على دولتهم الناشئة ، وعملوا على قمع تلك الثورة ولو بالقوة ، وتمكنوا من ذلك بفضل الأمير فارس الدين أقطاي ، فأثبت المماليك بذلك الانتصار أحقيتهم بحكم مصر .

إلاّ أن الخلافات ما لبثت أن قامت بين المماليك أنفسهم ، حيث قام السلطان عز الدين أيبك بقتل الأمير فارس الدين أقطاي لأن سلطته قد زادت [5] ، لتنتهي حياته كذلك بالقتل على يد جواري زوجته التي هي الأخرى كانت نهايتها القتل على يد مماليك زوجها[6] ، تم بعد ذلك اختيار سلطان للبلاد ، فكان المختار هو ابن السلطان عز الدين أيبك [7]، وكان صغيراً لا يستطيع بمفرده تدبير الدولة ، فاختاروا

---

(١) النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأرب** ، جـ٢٩ ، ص٣٦٣-٣٦٤ ؛ العيني ؛ **عقد الجمان** ، جـ١ ، ص٣٤ ؛ ابن دقماق ؛ **الجوهر الثمين** ، ص٢٥٢.

(٢) هو الملك مظفر الدين موسى ، أقامه المماليك ملكاً على مصر وعمره عشر سنين ، وقيل ست سنين ، وذلك يوم الأربعاء جمادى الأولى سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م ، وهو السلطان الثامن من بني أيوب بمصر ، حكم ثلاث سنين ، ولكن الملك المعز أيبك سجنه وظل في سجنه حتى مات . ابن دقماق ؛ **الجوهر الثمين** ، ص٢٥٣ ؛ ابن شاهين الملطي ؛ **نزهة الأساطين** ، ص٧١.

(٣) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٦ ؛ ابن شاهين ؛ **نزهة الأساطين** ، ص٧١.

(٤) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص١٣.

(٥) بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص٣٩ ؛ ابن أيبك ؛ **كنز الدرر وجامع الغرر** ، جـ٨ ، ص٣٠.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٦٩ ؛ أبو الفداء ؛ **المختصر في أخبار البشر** ، جـ٣ ، ص١٩٢.

(٧) هو الملك المنصور نور الدين عليّ بن السلطان الملك المعز عز الدين أيبك التركماني ، ملك الديار المصرية بعد أن قتل أبيه وذلك في اليوم الثاني من قتله وعمره عشر سنين وقيل خمسة عشر سنة وذلك

فاختاروا الأمير سيف الدين قطز [1] مملوك أبيه نائباً للسلطنة [2].

وفي قمة تلك الأحداث العصيبة – التي عاشتها مصر بسبب خلافات المماليك فيما بينهم – كان الخطر المغولي قد عمّ الشرق الإسلامي ، وهدد الخلافة العباسية ذاتها ، حيث طلب قائد المغول هولاكو من الخليفة العباسي المستعصم بالله تسليم بغداد إلا أنه رفض ذلك الطلب ، فما كان من ذلك السيل الجارف من المغول إلا أن أسقط بغداد ، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) [3] ، وبعد ذلك توجه صوب بلاد الشام ومصر ، بعد أن أرسل إنذاراً هدد به الدولة المملوكية الناشئة [4].

ولم تكن الأمور داخل مصر مطمئنة ، فعلى الحكم صبي صغير لا يحسن التدبير في مثل هذا الوقت الصعب ، والأمراء المماليك في تنافس على السلطة ، إضافة إلى أن الشعب المصري لم يكن معترفاً بحكم المماليك على مصر ، فرأى الأمير قطز عند ذلك أن الحل الوحيد هو أن يعزل السلطان الصغير ، ويتولى هو السلطة ريثما تنتهي المواجهة مع المغول [5] ، وقد مهدت تلك الظروف الخارجية للأمير قطز أن يحقق

سنة (٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) ، حكم حوالي سنتين وثمان شهور وأيام . ابن شاهين ؛ **نزهة الأساطين** ، ص٧٢ ؛ ابن دقماق ؛ **الجوهر الثمين** ، ص٢٦٢-٢٦٣ ، ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٤١ ؛ **المنهل الصافي** ، جـ١ ، ص٤٥١.

(١) الملك المظفر ، تولى الحكم سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٩م) ، وقد قاد المسلمين في معركة قوية ضد المغول ، وحقق النصرة للإسلام وللمسلمين سنة (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) ، وقتل على يد الأمير بيبرس البندقداري في ذات السنة . ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٧٢-٨٤ ؛ **المنهل الصافي** ، جـ٢ ، ص٥٤٤.

(٢) نيابة السلطنة هي أرفع المناصب في الدولة المملوكية ، وأول الوظائف بحضرة السلطان ، وللنائب الحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤، ص١٦؛ ابن فضل الله العمري ؛ **التعريف بالمصطلح الشريف** ، ص٩٤ ؛ انظر الفصل الثاني المبحث الأول .

(٣) ابن إيبك ؛ **كنز الدرر وجامع الغرر** ، جـ٧ ، ص٣٤-٣٦ ؛ ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١٣ ، ص٢٢٦-٢٢٧ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **زبده الفكر في تاريخ الهجرة** ، جـ٩ ، ص٦٤-٦٧.

(٤) القرماني ؛ **أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ** ، جـ٢ ، ص٢٦٩.

(٥) ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٥٥ ؛ ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، جـ١٣ ، ص٢٤٤ ؛ العيني ؛ **عقد الجمان** ، جـ١ ، ص٢٢٠-٢٢١.

رغبات طالما عمل على التمهيد لها بعد أن تولى نيابة السلطنة [1].

وعلى الرغم من التنافس المحموم بين الأمراء المماليك على السلطة، نجد أن كلمتهم اتحدت فيما بينهم ونسوا خلافاتهم عندما أيقنوا أن المغول سيهاجمون مصر [2]، ووقفوا إلى جانب السلطان قطز وبقية الأمراء للدفاع عن دولتهم التي لم تكن قد ثبتت قواعدها بعد، وينكسر المغول كسرة قوية على يد هؤلاء المماليك في معركة لن ينساها التاريخ، وهي معركة (عين جالوت) [3] التي حدثت في ٢٦ رمضان سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) [4].

معركة عين جالوت كانت بمثابة الدعامة الأساسية التي ثبتت دولة المماليك وهي في طور التأسيس، وجعلت المسلمين في العالم الإسلامي بأسره - وخاصة في مصر - ينظرون إلى الدولة المملوكية نظرة إجلال وتقدير لما حققته من نصر عظيم، إذ اعتقد المسلمون أن المغول قوة لن تهزم، يقول أبو الفداء بعد أن انتهت معركة عين جالوت: «وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم فإن القلوب قد يئست من النصرة على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام، ولأنهم ما قصدوا إقليماً إلا فتحوه ولا عسكراً إلا هزموه، فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم» [5]، ومن نتائج هذه المعركة أنها أنقضت الحضارة الإسلامية والأوروبية على حد سواء لمنعها تقدم المغول داخل الديار الإسلامية [6]، كما وضعت نهاية لآمال البيت الأيوبي في استرجاع مصر [7] فأصبحت الدولة المملوكية

---

(١) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٢، ص٤١٧-٤١٨.

(٢) أحمد مختار العبادي؛ **قيام دولة المماليك الأولى**، ص١٥٨-١٥٩.

(٣) بليدة بين بيسان ونابلس، من أعمال فلسطين، كان الروم قد استولوا عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين سنة (٥٧٩هـ). ياقوت الحموي؛ **معجم البلدان**، جـ ٤، ص ٢٠٠.

(٤) بيبرس المنصوري؛ **زبده الفكر في تاريخ الهجرة**، جـ٩، ص٧٨-٧٩؛ ابن أيبك؛ **كنز الدرر وجامع الغرر**، جـ٨، ص٤٩-٥٥.

(٥) أبو الفداء؛ **المختصر في تاريخ البشر**، جـ٣، ص٢٠٥، انظر ما قاله بيبرس المنصوري في كتابه زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، جـ٩، ص٧٩، في مدح قادة المماليك.

(٦) عبد الله سعيد الغامدي؛ **جهاد المماليك**، ص ١٣٠-١٣٢.

(٧) أحمد مختار العبادي؛ **قيام دولة المماليك الأولى**، ص١٦٨؛ السيد الباز العريني؛ **المماليك**، ص٤٩.

حقيقية لا يمكن إنكارها ، خاصةً بعد أن قام الأمير بيبرس - الذي تولى السلطة بعد قتله للسلطان قطز - بإحياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد سقوط بغداد ، لتكون سنداً للدولة المملوكية الناشئة ولتضفي عليها ما تحتاجه من الشرعية [1]

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٤٥٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص١١١-١١٢ ؛ ابن أيبك ؛ **كنز الدرر وجامع الغرر** ، جـ٨ ، ص٩٤-٩٥

المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات ، أحمده سبحانه حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

إن دراسة التاريخ تعد حلقة مهمة في بناء المحتوى الفكري والثقافي للمجتمعات الإنسانية بشكل عام ، ودراسة التاريخ الإسلامي تهدف إلى محاولة بناء خبرة معرفية وثقافية ذات طابع خاص ، تعكس التطورات المختلفة التي مرت بها الحضارة الإسلامية .

وفي هذه الدراسة نبحث في حقبة رئيسية من تاريخ مصر الإسلامية هو العصر المملوكي ، حيث شهد هذا العصر ازدهاراً في الحياة الفكرية والأدبية ، وبرز فيه علماء أجلاء وأدباء موهوبون ومفكرون مبدعون ومؤرخون عظماء ، كما شهد هذا العصر تطوراً نوعياً في العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، مما أعطى مصر صبغة جديدة متميزة .

ولقد كان العصر المملوكي إلى جانب ذلك عصراً دامياً ، شاع فيه القتل وسفك الدماء وبخاصة بين أرباب السلطة نفسها .

وفي خضم هذه التحولات يبرز الأمراء المماليك في القاهرة كصانع رئيسي لأحداث هذا العصر ، وهؤلاء الأمراء ما هم إلا غلمان صغار يُخطفون أو يأتون كأسرى حرب ، وهم من أجناس وعناصر مختلفة ، يتلقون اهتماماً وتربية عسكرية ودينية ، يصبحون بعدها جنوداً يتدرجون في المناصب حتى يبلغ أحدهم الإمارة ، وقد يصبح بعد ذلك سلطاناً يتولى شؤون الدولة ، أو أميراً له نفوذ واسع وتأثير كبير على مجريات الأمور داخل الدولة .

وحقيقة لا بد من ذكرها أن المماليك عامةً والأمراء خاصة نجحوا نجاحاً باهراً في الجهاد الإسلامي ، ودافعوا بكل بسالة عن الدين والأرض من خطرين داهما بلاد الإسلام وهما الصليبيين والمغول ، وتمكنوا من الانتصار باسم هذا الدين العظيم ، دين الإسلام الخالد .

ولقد استوعبت القاهرة معظم الأثر الحضاري للمماليك ، فكانت بمثابة الوعاء الذي احتوى حضارتهم العريقة ، إلى جانب تناقضاتهم وصراعاتهم المختلفة والمتنوعة ، وإذا كانت القاهرة عاصمة للمماليك في ذلك الوقت فإنهم استطاعوا أن يجعلوها عاصمةً للإسلام عندما تبنوا الخلافة العباسية ونقلوها من مقرها ببغداد إلى القاهرة .

ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة التي يمكن رسم أهداف رئيسية لها على النحو التالي :

أولاً : التعرف على الواقع الحياتي لهؤلاء الأمراء من حيث نشأتهم وتكوينهم، بدءاً من أعراقهم ، مروراً بتربيتهم ، وصولاً إلى بروزهم كشخصيات عامة في المجتمع القاهري في ذلك العصر .

ثانياً : دراسة حياتهم الخاصة ومستوى معيشتهم ، وأثر الثراء الذي كانوا يتمتعون به على حياتهم ، ومصاهراتهم ، وغير ذلك من أمور معاشهم .

ثالثاً : دراسة الواقع الوظيفي لهؤلاء الأمراء ، وأبرز الوظائف التي شغلوها ، ودورهم الإداري في هذا الجانب .

رابعاً :التعرف عن كثب على الدور السياسي والحضاري لهؤلاء الأمراء داخل القاهرة .

في ضوء ذلك قررت مستعينة بالله أن أجعل دراستي عن هؤلاء الأمراء في أطروحتي لنيل درجة الماجستير ، واخترت لها عنواناً وهو :

(الأمراء المماليك في القاهرة خلال عصر دولة المماليك البحرية)

(٦٤٨- ٧٨٤هـ / ١٢٥٠- ١٣٨٢م)

وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول ، سبقتها المقدمة ، ثم التمهيد ، وختمت بقائمة لأسماء المصادر والمراجع ، وقد تضمنت هذه التقسيمات المعطيات التالية :

المقدمة : تناولت أهمية العصر المملوكي ، وأبرز الفئات الاجتماعية تأثيراً ، ثم

أهداف الدراسة .

التمهيد : تحدث عن قيام دولة المماليك ، وكيف نجح الأمراء المماليك في تثبيت أقدامهم ومواجهة أعدائهم حتى قيام دولتهم .

أما الفصول ، فهي على النحو التالي :

الفصل الأول : الأمراء وحياتهم الاجتماعية ، وتضمن مبحثين :

المبحث الأول : أصولهم العرقية ونشأتهم ، وطرق تربيتهم ،وتناول الأصول التي ينتمي إليها المماليك ، ومن أين جلبوا ، وكيف وصلوا إلى مصر ، ومن أول من استخدم المماليك كجند ، وكيف كانت نشأتهم وتربيتهم في العصر المملوكي الذي شغف فيه السلاطين والأمراء بشراء المماليك

المبحث الثاني : مكانة الأمراء الاجتماعية وتكوينهم الأسري ومصاهراتهم ، وتناول مكانة الأمراء لدى السلاطين وأثر ذلك على واقعهم الأسري ، ثم التركيبة الأسرية لهؤلاء الأمراء وزوجاتهم ومصاهراتهم ومماليكهم .

الفصل الثاني : وظائف الأمراء وأوضاعهم الاقتصادية ، وتضمن مبحثين :

المبحث الأول : وظائف الأمراء وألقابهم وطرق تعيينهم وعزلهم ،وتناول الوظائف التي توفرت في القاهرة ، وكيف يصبح المملوك أميراً ، وما هي الاعتبارات التي يصل بموجبها المملوك إلى الإمارة ، ومراسم تعيينهم ، والاحتفالات المصاحبة لهذه المراسيم ، وألقابهم ، وملابسهم ، والشعارات (الرنوك) التي خصصت للوظائف ، ثم أهم الوظائف التي تولاها الأمراء .

المبحث الثاني : موارد الأمراء ومخصصاتهم المالية ، وتناول الحديث عن ثروات الأمراء والتي ظهرت في الصرف على مماليكهم وحفلاتهم وعلى قصورهم التي يعيشون فيها ، ثم مصادر دخلهم التي جعلتهم يصلون إلى ذلك الثراء ، سواء كان بطرق شرعية أو غير شرعية .

الفصل الثالث : إسهامات الأمراء في الحياة السياسية والإدارية وأثرهم الحضاري ،

وتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دور الأمراء في الأحداث الداخلية والخارجية ، وتناول الحديث عن دورهم في إثارة الفتن واستتباب الأمن في الدولة ، وإرسالهم في حملات عسكرية لإخماد بعض الثورات خارج القاهرة ، وكذلك كسفراء لدولتهم إلى بعض الدول والولايات .

المبحث الثاني : دور الأمراء في الإدارة ، وتناول الحديث عن أبرز مناصب الدولة ومساهماتهم في إدارة الدولة ومعالجة القضايا والمشكلات التي تحدث في الدولة .

المبحث الثالث : أعمال الأمراء الخيرية ، وتناول الحديث عن أبرز المنشآت الخيرية التي حرص الأمراء على إنشائها ؛ كالمساجد والمدارس والأربطة والأسبلة وغيرها ، ودورهم في إعادة التوازن الاقتصادي للدولة في وقت الأزمات ، وكذلك الصدقات التي كان يخرجها بعض الأمراء الحريصين على الأجر والثواب .

أما خاتمة الرسالة فهي تلخيص لأهم الاستنتاجات التي تم الوصول إليها ، ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي كانت عوناً رئيساً في استكمال هذه الدراسة.

وكطبيعة أي بحث علمي لابد أن يواجه بعض الصعوبات ، والتي كان من أبرزها :

- إقتصار الكتب المعاصرة للعصر المملوكي على معالجة الأحداث الجارية من زاوية واحدة ، وإغفال بعض الأمور المتعلقة بحياة المملوك .
- قلة المعلومات المباشرة التي تخص أجزاء هامة في موضوع الدراسة ، خاصة حياة الأمراء الخاصة .

وبفضل الله تمكنت من تجاوز هذه الصعوبات ، فإن كان فيه خطأ فهو غير مقصود ، وعزائي في ذلك قول الشاعر :

إن تجد عيباً فسد الخللا   جل من لا عيب فيه وعلا

وأخيراً .. أرجو من الله أن تحقق هذه الدراسة الأهداف العلمية والثقافية التي يتطلع إليها كل طالب علم ، كما أدعوه تعالى أن يجعلها عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا الكريم .

الفَصْلُ الأَوَّلُ

الأمراء وحياتهم الاجتماعية

المبحث الأول

أصولهم العرقية ونشأتهم

وطرق تربيتهم

ينتمي المماليك إلى أصول غير عربية بل إلى أعراق لم يصلها مبكراً نـور الـدعوة الإسلامية[١].

كان موطن معظم المماليك في العصر الإسلامي حوض نهر إرتش ، إلا أن فئة منهم انتقلوا جنوباً باتجاه حوض نهر سرداريا (سيحون) في القرن السادس الهجري الثاني عشـر الميلادي ، أما الفئة الأخرى منهم فقد اتجهوا إلى شرق أوروبا [٢].

وللمماليك مواطن شتى جُلبوا منها إلى أراضي الدولـة الإسـلامية ، مـن أبـرز هذه المواطن والتي حرص التجار على جلب المماليك منها ، بلاد القبجـاق[٣]، حيـث كانت الغالبية العظمى في العصر المملوكي الأول من هذه البلاد [٤]، لما تميزوا به مـن حسن طلعتهم ، وجمال أشكالهم ، وقوة بأسهم ، وشجاعتهم النادرة [٥]، وإلى جانب بلاد القبجاق كانت بلاد ما وراء النهر (تركستان) مصدراً هاماً يُجلب منـه المماليـك وخاصةً الترك منهم ، حيث اشتهرت الكثير من مدن هذا الإقليـم بتصـدير الرقيـق مثل سمرقند ، فرغانة ، خـوارزم ، أشروسـنه ، الشـاس [٦]، لهـذا نجـد أن المماليـك وخاصة في العصر الأول ، ينتمـون إلى أجنـاس عـدة ، منهـا التركـي ، والرومـي ،

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص١٢ .

(٢) السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص٥٥.

(٣) أو القبشاق أو القفجاق : إقليـم في الجنـوب الشـرقي مـن روسـيا الحاليـة ويشـمل حـوض الفلجـا والأراضي الواقعة حول بحر قزوين وشمال البحر الأسود ، وأصلها من الترك ، اشتهر أهلها بالبـداوة والفروسية ، وتعد بلاد القبجاق فرصة عظيمة للتجار لجلـب الرقيـق الأبـيض . القلقشـندي ؛ **صـبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص٤٥٦-٤٥٧ ؛ المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣، ص٦٦٣، محمد مختـار العبـادي ، **قيام دولة المماليك الأولى** ، ص٧٣.

(٤) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ١ ، ص١٧؛ السيد الباز العرينـي ؛ **المماليـك**، ص٥٤ .

(٥) عبد الرحمن الرفاعي وسعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **مصر في العصور الوسطى** ، ص٤٢٧ ؛ عبـد العزيـز محمود عبد الدايم ، **الرق في مصر** ، ص٣٧.

(٦) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٦ .

والجركسي، والزنجي ، والحبشي ، والفارسي ، وغيرهم[1].

الترك حرصوا كثيراً على بيع أبنائهم من الذكور والإناث ، وذلك لما وصل إليهم من أنباء تؤكد لهم ما تعيشه مصر عامةً من ثراء اقتصادي ، وما يعيشه الناس خاصة في القاهرة من ثراء عظيم [2]، مقابل الحالة التي كان يعيشها أصحاب تلك البلاد من الفقر الشديد وقسوة الضرائب الملقاة على كواهلهم [3].

كما أن أسيا الصغرى وتحديداً (غاليبولي) كانت تحوي أعداداً هائلة من الرقيق الألبان والسلاف والصربيين [4]، بل إن الأتراك العثمانيين كانوا يتسابقون لإرسال ما ما لديهم من الأسرى إلى أسواق الرقيق في مصر ، تمهيداً لبيعهم على السلاطين والأمراء هناك[5].

ولبيزنطة والمدن الإيطالية مستعمرات على البحر الأسود اختصت ببيع المماليك ، فكان ميناءا (كافا وتانا) على البحر الأسود ، والخاضعين للجمهوريتين الإيطاليتين (جنوة والبندقية) من أشهر الأسواق التي يُتاجر فيها ببيع الرقيق من الجورجيين والأرمن [6].

---

(١) من ذلك على سبيل المثال : عز الدين أيبك ، وبيبرس البندقداري ، وسيف الدين قلاوون الذين كانوا من قبيلة غالي ببلاد القبجاق ، والأمير سلار الذي كان من أصول تركية ، وكتبغا مغولي الأصل ، وقطز من بلاد خوارزم ، ولاجين من أبناء بعض البلاد الواقعة على شاطئ بحر البلطيق في شمال غرب أوروبا ، وظهر العنصر الجركسي في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الذي كون لهم فرقة من الجراكسة بلغت ثلاثة آلاف وسبعمائة وأسكنهم أبراج القلعة ، ومنهم برقوق الذي أسس الدولة المملوكية الثانية والجركسية ، المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣، ص٦٦٣؛ ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٥٥ ؛ ابن أبيك الدوادار ؛ **كنز الدرر وجامع الغرر** ، جـ٨ ، ص ٣٩-٤١ .

(٢) ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٣٧.

(٣) عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص٣٧ ؛ عصام شبارو ؛ **السلاطين في المشرق العربي** ، ص٧ .

(٤) عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص٣٧ .

(٥) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٦ ؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص٣٨.

(٦) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ١ ، ص١١-١٢، علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٥.

وهكذا نجد أن السلاطين ، وخاصةً الأيوبيين والمماليك ، حرصوا على جلب المماليك من بلاد القرم ، بلاد القوقاز ، آسيا الصغرى ، القبجاق ، فارس ، تركستان، ومن البلاد الأوروبية ، فتكوّن من هذه العناصر المختلفة في اللون ، اللغة ، الجنس ، الجيش الأيوبي والمملوكي ، للإستعانة بهم عند تكالب الأعداء عليهم داخلياً وخارجياً [1].

نشطت حركة جلب المماليك – بأجناسهم المختلفة – على يد التجار الأوروبيين والمسلمين على حد سواء ، والذين عرفوا بـ (الجلابة) ، وقد تنافسوا فيما بينهم في جلب أفضل الرقيق إلى دول العالم الإسلامي ، وجنوا من وراء هذه التجارة أرباحاً وفيرة ، وخاصةً التجار الغربيون [2]، وبلغ التنافس مداه بين التجار مما دفع ملوك أوروبا وباباوات روما أن يتخذوا إجراءات صارمة ضد التجار القائمين على بيع الرقيق [3]، ويقال أن التجار الأوروبيين كانوا يجلبون إلى مصر كل عام نحو ألفين تقريباً من المغول والشراكسة والروم والألبانيين والصقالبة والصرب [4].

التجار اتبعوا الطرق البرية والبحرية من أجل إيصال بضاعتهم إلى أسواق بيع الرقيق ، فسلك التجار الأجانب الطرق البحرية حيث يدخلون إلى القاهرة عن طريق ثغري دمياط والإسكندرية ، بينما سلك التجار المسلمون في الغالب الطرق البرية [5].

وتطلب بيع الرقيق وجود أسواق وخانات بالمدن الكبرى ، فكان لكل نوع من الرقيق سوقاً خاصاً به [6]، مثل سوق خان الخليلي وخان مسرور وخان جعفر ،

---

(١) فائد حماد عاشور ؛ **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى** ، ص١٢؛ حمدي عبد المنعم حسين ؛ **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، ص١٥٤-١٥٥.

(٢) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٥.

(٣) ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٣٧.

(٤) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٥.

(٥) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص١٣-١٤.

(٦) عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص ٣٩ ؛ أحمد مختار العبادي ؛ **قيام دولة المماليك الأولى** ، ص١٨.

ويباع فيه الرقيق وخاصة الأبيض منهم [1]، وقد يشـرف على هـذه الأسـواق تجـار آخرون يشترون المماليـك ، يسـمى الواحـد منهم تـاجر المماليـك ، أو معلـم تجـار المماليك[2] ، ولم يكن يباع في تلك الأسواق من الرقيـق إلا مـن كـان جميـل الشـكل والملامح ، قوي البنية خالياً من العيوب الخَلْقية [3] ، ومن الملاحظ أن الرقيق الجيد لا يباع في السوق العام علانيةً لما في ذلك إهانة للمبيع ، فيتم البيع في منزل خاص عـلى يد النخاس بعيداً عن السوق [4].

تجار المماليك حظوا بمكانة مرموقة لدى السلاطين الذين كانوا يستقبلونهم كما يستقبلون أعظم الشخصيات ، بل منحوهم الخلع حتى ولو باع ذلك التـاجر رأسـاً واحداً من الرقيق [5]، وذلك لما لهم من الفضل العظيم في قيام دولتهم [6].

لُقب التجار الأجانب بلقب (خواجة) أو (الخواجا) أو (الخواجكية) [7]، وكان وكان معظم التجار من الأوربيين النصارى أو اليهـود أو مـن الفارسـيين [8]، وكـان هؤلاء التجار يحصلون على الرقيق من مصادر متنوعة، منهـا الشـراء ، أو الأسر في ميادين القتال ، أو على شكل ضريبة أو جزية يدفعها حكـام الولايـات [9]، أو ضربـاً من المنح والهدايا يتبادلها العظماء والمترفون [10] ، وقـد تكـون عـن طريـق السرقة أو

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣، ص٤٥٤ ؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص ٤٠.

(٢) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص ١٢-١٣.

(٣) عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص٣٧.

(٤) أحمد مختار العبادي ؛ **قيام دولة المماليك الأولى** ، ص ١٩؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر، مصر**، ص٤٠.

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٧٦ ؛ عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص١٢-١٣.

(٦) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص١٢-١٣.

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٦ ، ص١٣.

(٨) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص١٢-١٣.

(٩) فائد حماد عاشور ؛ **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى** ، ص١٢.

(١٠) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٦، محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ١، ص١٠.

الخطف [1] .

وقد عرف العالم الإسلامي المماليك قبل إنشاء دولتهم بوقت بعيد [2]، إلا أن تأثيرهم في الأحداث السياسية في الدوله الإسلامية لم يظهر جلياً إلا في عهد الدولة العباسية ، عندما أكثر خلفاء هذه الدولة من شراء المماليك واستعانوا بهم [3] في الجيش والقصور ، وكذلك في الإدارة [4]، وكان أول خليفة عباسي يستعين بالمماليك واستكثر منهم الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م) [5] ، إذ ضم بلاطه بلاطه عدداً من المماليك المعتوقين[6]، كما أن أخاه المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٣م) [7] اعتمد اعتماداً كبيراً على المماليك ، لما تميزوا به من قدرة قتالية وعسكرية [8] [8] واستعان بهم ليقفوا إلى جانبه في تثبيت سلطانه ، والحد من نفوذ جنده من الفرس

(١) كان التجار يغيّرون على القرى المنعزلة أو المتخلفة ، ثم يأسرون النساء والأطفال ويسوقونهم إلى مراكز التجمع تمهيداً لترحيلهم إلى الأسواق في مصر وغيرها ، فكان التجار أو القناصة يراقبون الأطفال في أثناء لعبهم وبعدهم عن أهلهم وانشغالهم عنهم ، فيقومون بخطفهم بعد تكميمهم وذلك لمنع صراخهم وبكائهم أو يغرونهم بالحلوى وغيرها لينشغلوا بها ، بل إن بعض الأهالي يقومون بسرقة أبناء غيرهم لبيعهم للتجار، إما للكسب أو انتقاما من أهاليهم . عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص٣٢-٣٣.

(٢) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٣ ؛ أحمد مختار العبادي ؛ **قيام دولة المماليك الأولى** ، ص٦٥.

(٣) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ١ ص١٣؛ حمدي عبد المنعم حسين ؛ **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، ص١٥٣ .

(٤) فائد حماد عاشور ؛ **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى** ، ص١٣ .

(٥) هو عبد الله أبو العباس بن هارون ولد في (١٥/ ٣/ ١٧٠هـ / ٧٨٦م) ، وهي السنه التي تولى فيها والده الحكم ، كان أفضل بني العباس حلماً ورأياً وشجاعة ، ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه . توفى ١٨/ ٧/ ٢١٨هـ/ ٨٣٣م ، ودفن في طرطوس . ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١٠، ص٢٩٨-٢٩٩ ؛ السيوطي ؛ **تاريخ الخلفاء** ، ص٣٦٢ ؛ الذهبي ؛ **سير أعلام النبلاء** ، جـ١٠، ص٢٧٢-٢٩٠ .

(٦) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٣.

(٧) هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد ، ولد في شعبان سنة (١٨٠هـ / ٧٩٦م) ، عرف بالمثمن ، وهو أول خليفة يدخل الأتراك للديوان، وكان ذا شجاعة ، وهمة ، وقوة ، توفى ٢٠/ ١/ ٢٢٧هـ/ ٨٤٢م . ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١٠ ، ص٣٢٠-٣٢١-٣٢٢ ؛ السيوطي ؛ **تاريخ الخلفاء** ، ص٣٩٢-٢٩٢ ؛ الذهبي ؛ **سير أعلام النبلاء** ، جـ١٠ ، ص٢٩٠-٣٠٦.

(٨) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٦ .

والعرب حيث فقد الثقة بهم بعد أن كانوا عماد الدولة في أول أمرها [1] ، واستخدم من الأتراك خلقاً عظيماً [2] ، حيث أكثر من شرائهم منذ أن كان أميراً ، وكان يبعث من يشتري له منهم سنوياً حتى أصبح عددهم في عهد أخيه المأمون ما يقارب ثلاثة آلاف [3] ، وقد اعتنى المعتصم بهم واهتم بتربيتهم منذ صغرهم [4] ، حتى وصل عددهم عند توليه الحكم ثمانية عشر ألف مملوك [5] ، وزاد عدد هؤلاء الأتراك كثيراً، كثيراً، كما زاد نفوذهم ، وأخذوا يتدخلون في شؤون الدولة حتى أصبحت في أيديهم يفعلون بها ما يشاءون [6] ، بل إن نفوذهم امتد إلى الولايات التابعة للدولة العباسية ، ومنها مصر التى كثر عدد الأتراك فيها بسبب اعتماد أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٥م) [7] عليهم [1] ، لأن والده كان مملوكاً تركياً [2] ، فبلغ

---

(١) ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٢٥ ؛ فائد حماد عاشور ؛ **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى** ، ص١١ . كان السبب في شراء المعتصم للمماليك هو أن علاقة الفرس بالعباسيين بدأت تضعف خاصة بعد أن انتقل المأمون من مرو إلى بغداد ، فصعب التوفيق بين الطرفين ، أما العرب فقد رأى المعتصم أن العرب كثيري التغلب والاضطراب ، وكثيراً ما قاموا ضد الخلفاء ، أضافه إلى ضعفهم السياسي والعسكري ، فأعتمد على العنصر التركي وجعله أساس دولته . فكان ذلك سبباً من أسباب ضعف الخلافة العباسية وبداية انحلالها . حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف ؛ **العالم الإسلامي في العصر العباسي** ، ص٣١٨-٣١٩ ؛ محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٦ .

(٢) ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١٠ ، ص٣٢١ ؛ السيوطي ؛ **تاريخ الخلفاء** ، ص٣٩٣.

(٣) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٦ .

(٤) اهتم المعتصم – كما هي عادة السلاطين – عند شراء المماليك بأن يكونوا صغاراً ، فجلبهم من أقاليم ما وراء النهر مثل سمرقند ، وفرغانه ، والسند ، وأشروسه ، والشاس ، وغيرها . القرماني ؛ **أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ** ، جـ٢ ، ص١٠٤-١٠٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهره** ، جـ٢ ، ص٢٣٣ .

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٢ ، ص٢٣٣ .

(٦) ازداد نفوذ الأتراك حتى ضج الناس بهم ، فأمر الخليفة العباسي المعتصم بإنشاء مدينة جديدة لهذه الفرق التركية أطلق عليها (سُرَّمن رأى) سامراء ، وجعلها عاصمة للدولة العباسية ومقراً لجنده من الأتراك . ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٢ ، ص٢٣٤ .

(٧) هو الأمير أبو العباس التركي ، ولي مصر في رمضان سنة ٢٥٤هـ وعمره ٣٤سنة ، ولد أحمد في سامراء سامراء سنة ٢٢٠هـ ، وقيل إن طولون تبناه ، حفظ أحمد القرآن وأتقنه ، وكان من أطيب الناس صوتاً به ، بنى جامعة مشهورة باسمه سنة ٢٥٩هـ ، توفى سنة ٢٧٠هـ . ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١١ ، ص٤٩-٥٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٣ ، ص١-٨.

فبلغ عدد المماليك عنده أكثر من أربعة عشر ألف تركي ، وأربعين ألفاً من السود ، وسبعة آلاف من الأمراء المرتزقة [٣].

وفي ذلك يقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى : «... وأولهم أحمد بن طولون سنة ٢٦٦هـ .... وفي أيامه عظمت نيابة مصر وشمخت إلى المُلك ، وهو أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية واستخدمهم في عسكرها» [٤].

وهذه الزيادة في عدد الأتراك جعلت أحمد بن طولون يبني لهم الثكنات التي عرفت بالقطائع [٥].

وفي عهد الدولة الإخشيدية (٣٢٣-٣٥٨هـ/ ٩٣٥-٩٦٩م) التي أسسها محمد بن طغج [٦] - وهو من المماليك - سار على نفس الوتيرة التى سارت عليها الدولة الطولونية في الإكثار من المماليك لتدعيم جيوشه ، حيث فاق عددهم في عهده حوالي ثمانية آلاف مملوك حرساً خاصاً به ، وكان عدد من يتناوب على حراسته عند نومه ألف مملوك ، أما عدد الجيش الإخشيدي في عهده فقد بلغ أربعمائة ألف جندي [٧].

---

(١) أحمد مختار العبادي ؛ **قيام دولة المماليك الأولى** ، ص٦٦.

(٢) كان والد أحمد طولون مملوكاً تركياً ، أهدي للخليفة العباسي المأمون من حاكم بخارى نوح بن أسد الساماني ، من ضمن الهدايا والرقيق الذين أرسلهم للمأمون سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م . ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٣٥ ؛ ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ٧، ص٤٩.

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ١ ، ص١٧٣ ؛ ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٣٥.

(٤) جـ٣ ، ص٤٢٤.

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٣ ، ص١٤-١٥؛ أحمد مختار العبادي ؛ **قيام دولة المماليك الأولى**، ص٦٦ ؛ أحمد حسين ؛ **موسوعة تاريخ مصر** ، جـ ٢ ، ص ٤٨٠ .

(٦) محمد بن طغج بن جف بن بلتكين الفرغاني التركي ، ولد سنة ٢٦٨هـ في بغداد ، وتوفى سنة ٣٣٤هـ وقبل ٣٣٩هـ بدمشق وله من العمر بضع وستون سنة . ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٣ ، ص٢٥١/ ٢٥٦؛ ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١١، ص٢٢٦ ؛ أحمد حسين ؛ **موسوعة تاريخ مصر** ، جـ ٢ ، ص ٥١٣ .

(٧) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ١ ، ص١٧٣ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٣ ، ص٢٥٦ ؛ ذكر ابن

وقد استمرت الدولة الإخشيدية قائمة في مصر حتى وفاة كافور الإخشيدي[1]، فاستولى عليها الفاطميون سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م)[2].

الخلفاء الفاطميون عملوا على تثبيت أركان دولتهم ومتابعة السير للسيطرة على المناطق الخاضعة للدولة العباسية، ومد نفوذهم إلى بلاد الشرق[3]، فأكثروا من شراء المماليك[4]، وقد تألف الجيش الفاطمي من مختلف الأصناف والألوان من المغاربة، والصقالبة، والأكراد، والديالمة، والسوادنة، والأتراك[5]، ونجح بعضهم في الوصول إلى المناصب العليا في الدولة[6]، واعتنى الخلفاء الفاطميون بتربية صغار مماليكهم، وكانوا أول من وضع نظاماً تربوياً دقيقاً للمماليك في مصر[7]، وظلت الدولة الفاطمية تستكثر من المماليك حتى كانت نهايتها على يد الأيوبيين[8] الذين أقاموا دولتهم سنة (٥٦٧/ ١١٧١م) على يد الناصر صلاح

تغري بردي أن محمد بن طغج كان متجملاً في موكبه وملبسه فكان موكبه يضاهي موكب الخلافة.

(١) كافور الإخشيدي: عهد إليه محمد بن طغج بالوصاية على ولده أبي القاسم أنوجور، غير أنه استبد بالحكم مدة سنتين وأربعة أشهر، وكان كافور يقرب الشعراء، محباً للتاريخ وأخبار الدول السابقة، وكان عظيم الحرمة، زاد ملكه على مولاه الأخشيد، كان خبيراً بالسياسة، فطناً ذكياً جيد العقل داهية، توفى بمصر في شهر جمادي الأولى سنة ٣٥٧هـ/ ٩٥٨م، حكم مصر اثنين وعشرين سنة. ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**، جـ٤، ص١-١٠؛ أحمد حسين؛ **موسوعة تاريخ مصر**، جـ٢، ص٥٣٠.

(٢) حمدي عبد المنعم حسين؛ **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**؛ ص٦٤، علي إبراهيم حسن؛ **تاريخ المماليك البحرية**، ص٢٤.

(٣) محمود رزق سليم؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك**، ص٧.

(٤) ابن عبد الظاهر؛ **تشريف الأيام والعصور**، ص٣٥.

(٥) ابن عبد الظاهر؛ **تشريف الأيام والعصور**، ص٣٥؛ أحمد مختار العبادي؛ **قيام دولة المماليك الأولى**، ص٦٨.

(٦) أحمد مختار العبادي؛ **قيام دولة المماليك الأولى**، ص٧٣.

(٧) المقريزي؛ **الخطط**، جـ١، ص٣٥.

(٨) لقد كان أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط الدولة الفاطمية مذهبهم الشيعي الذي كان مخالفاً لمذهب الجمهور المصري، ثم اختلاف العناصر الموجودة في الجيش الفاطمي؛ إذ ضم من العناصر الركية، والمغاربة والصرب، والروم، والعبيد السود، والصقالبة، وغيرهم، فاستنجدوا بأمراء الشام ليعينوهم في القضاء على منازعيهم في الوزارة، وشاء الله أن يتولى الوزارة على مصر صلاح الدين

الدين[1].

الأيوبيون أكثروا من شراء المماليك رغبةً منهم في تدعيم أركان دولتهم الناشئة وتقوية جيوشهم ، وكان أكثر الحكام جلباً للمماليك السلطان نجم الدين أيوب ، فقد اشترى منهم ألف مملوك تركي [2] ، وذلك لتفرق العناصر الكردية من حوله وامتناعهم عن خدمته [3] ، وقد أصبح للمماليك القدرة على التحكم في الأمور السياسية الداخلية في مصر ، فكان لهم دورٌ مهم في تولية الصالح نجم الدين أيوب حكم مصر ، وهو أول ملك أيوبي يستكثر منهم بشكل لم يسبق له مثيل ، حتى أصبح معظم جيشه منهم ، وجعلهم بطانته وحرسه الخاص [4] ، وأسكنهم بجزيرة الروضة[5] ، وأطلق عليهم المماليك البحرية [6] ، وقد دربهم ليكونوا على أهبة الاستعداد دائماً تحسباً لمواجهة الأعداء .

وسرعان ما أصبح الحكام الأيوبيون عامةً والصالح نجم الدين أيوب خاصة كالمستجيرين من الرمضاء بالنار ، إذ تدخل هؤلاء المماليك في شؤون الدولة ، وخاصة فيمن يلي حكم البلاد [7] ، وملكوا زمام الأمر وتم قيام الدولة المملوكية

الأيوبي نائباً عن نور الدين زنكي ليحكم البلاد ويقضي على المتنافسين على الوزارة ، فأعلن نفسه سلطاناً على مصر ، وخاصة بعد وفاة العاضد الفاطمي ونور الدين زنكي ، وبتوليه الحكم قامت الدولة الأيوبية . محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ١ ، ص٨.

(١) أحمد مختار العبادي ؛ **قيام دولة المماليك الأولى** ، ص٧٣.

(٢) أبي حامد محب الدين ؛ **دول الإسلام الشريفة** ، ص ٢٦ .

(٣) ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص ٣٦ ؛ فائد حماد عاشور ؛ **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى** ، ص ١٢ .

(٤) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٦ ، ص ٢٩٤ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص٧٠.

(٥) كانت تسمى قديماً (جزيرة مصر) ، ثم سميت في عهد الأفضل بن أمير الجيوش (الروضة) وكانت من أجمل الأراضي حسناً لما بها من البساتين والمناظر ، وفي عهد الصالح نجم الدين أيوب جعلها قلعة يسكن فيها مماليكه البحرية ، وزاد في مساحتها ، وعمل لها برجاً محيطاً بها وجامعاً ، وشحنها بالآلآت الحربية والأسلحة والغلال . ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٧٠-٢٧١ ؛ ابن دقماق ؛ **الانتصار** ، جـ ٤ ، ص ١٠٩-١١٠ .

(٦) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٦ ، ص ٣٣١ ؛ ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور**، ص٣٦؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ .

(٧) دبر المماليك مؤامرة لخلع العادل الثاني وإحلال الصالح نجم الدين أيوب مكانه ، وذلك سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ق ٢ ، ص٢٨٤.

الأولى على أيديهم سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠ م)[١].

المماليك استمروا على نفس الطريقة التي سار عليها أسلافهم في جلب المماليك حيث اقتنى السلطان الظاهر بيبرس أعداداً كبيرة منهم، حتى أصبحت مصر مملوءة بهم[٢]، أما السلطان المنصور سيف الدين قلاوون[٣] فقد استكثر منهم ليكونوا عوناً له ولأولاده من بعده، وبذل الأموال الطائلة لشرائهم، وكان عددهم سبعة آلاف مملوك، ويقال إثنى عشر ألف مملوك[٤]، وهو أول من أسكن المماليك في في أبراج القلعة وسماهم المماليك البرجية[٥]، وبلغت عدة مماليكه السلطانية ستة آلاف وسبعمائة، أكملها ابنه الأشرف خليل[٦] إلى عشرة آلاف مملوك[٧]، حيث كان كان مغرماً بشراء المماليك حتى قيل إنه اشترى ستة آلاف مملوك[٨].

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور؛ **حراس الإسلام**، ص ٤٩.

(٢) علي إبراهيم حسن؛ **تاريخ المماليك البحرية**، ص٥١.

(٣) السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي النجمي، أصله من مماليك الأمير أقسنقر الكاملي، ثم قدمه إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فأعتقه سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، ولازال يرقى في مناصب الدولة حتى بويع بالسلطنة على مصر بعد خلع الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وهو الملك السابع من ملوك الديار المصرية، تلقب بالملك المنصور، ظل في السلطنة إلى أن توفى خارج القاهرة بعد مرض أصابه، وذلك يوم السبت سادس ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، كان رحمه الله من أجل ملوك مصر، قليل الكلام العربي، شجاعاً بطلاً مقداماً في الحروب، كان مغرماً بشراء المماليك، وهو صاحب البيمارستان المنصوري. المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص٦٦٣-٧٥٦؛ ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**، جـ٢، ص٥٤٨رقم١٨٨٢، ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ١، ق١، ص٣٤٧-٣٤٨، ص٣٦١-٣٦٢.

(٤) العيني؛ **عقد الجمان**، جـ٣، ص ١٦؛ أبي حامد محب الدين؛ **دول الإسلام الشريفة**، ص ٤٥.

(٥) المقريزي؛ **الخطط**، جـ١، ص١٧٤؛ ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ١، ق١، ص٣٦١-٣٦٢.

(٦) الأشرف خليل، هو الثامن من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية، تولى الملك بعد أبيه المنصور سيف الدين قلاوون، سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، ولد الأشرف سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م، وكانت نهايته القتل على يد الأمراء بقيادة الأمير بيدرا وذلك سنة٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، وعمره ثلاثون سنة، وحكم ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام. المقريزي؛ السلوك، جـ١، ق٣، ص٧٥٦،ص٧٨٨، ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**، جـ١، ص٢٩٢ رقم ١٠٠٦؛ ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ١، ف١، ص٣٦٥-٣٧٧؛ القرماني؛ **أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ**، جـ٢، ص٢٧٥-٢٧٦.

(٧) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص٥٠.

(٨) ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ١، ق١، ص٣٧٨.

والسلطان الناصر محمد[1] شغف بجلب المماليك والجواري ، وبـذل الأمـوال للتجار ، يقول المقريزي في ذلك : «أكثـر النـاصر مـن جلـب المماليـك والجـواري ، وطلب التجار إليه وبذل لهم المال ، ووصف لهم حلي المماليك والجواري ، وسـيرهم إلى بلاد أزبك وتوريز والروم وبغداد ، وغير ذلك من البلاد ، فكان التـاجر إذا أتـاه بالجلبة من المماليك بذل له فيها أغلى القـيم ، وأنعـم عـلى تلـك المماليـك في يـومهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتـى يدهشـهم ، ولم تكـن هذه عادة من تقدمه من الملوك ...»[2]، وكان يـدفع في المملـوك الواحـد مائـة ألـف دينار[3].

المماليك المجلوبون إلى أراضي الدولة الإسلامية خضعوا للعناية والاهتمام مـن قبل الحكام وخاصة المماليك ، ولا فرق يذكر بين مملوك يشتريه سلطان وآخر يشتريه أمير ، إذ جميعهم يخضعون للعناية والاهتمام ذاته ، غير أن مملوك الأمير يقل في المرتبة عن مملوك السلطان ، ربما لأن الوصـول إلى خدمـة السـلطان قـد تخـول للمملـوك الوصول إلى السـلطة ، وذلـك بـالترقي مـن وظيفـة إلى أخـرى فتتحقـق رغبتـه في الوصول إلى سدة الحكم[4]، وهناك شروط لابد أن تتوفر في الملوك عند شرائـه منهـا

(1) هـو السـلطان الملـك النـاصر نـاصر الـدين أبـو المعـالي وأبـو الفتـوح وأبـو السـلاطين ، ولـد سـنة ٦٨٤هــ/ ١٢٨٥م، تـولى الحكـم بعـد مقتـل أخيـه الملـك الأشرف خليـل بـن قـلاوون سـنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م ، ولكنه خُلع على يد كتبغا الذي تولى الحكم سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م ، ثم أعيـد مـرة ثانية إلى الحكم بعد مقتل السلطان المنصور لاجين سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م ، ودام في الملك إلى أن تغلب عليه سلار وبيبرس الجاشنكير ، فترك الملـك وخـرج إلى الكـرك وتـولى الحكـم بيـبرس الجاشـنكير ، واستمر الأمر كذلك حتى عزم الملك الناصر على إعادة ملكه ، فخرج إلى الديار المصـرية وقتل المظفـر بيبرس الجاشنكير وسلار ، وتولى الحكم مرة ثالثة سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م، واستمر في الملك إلى أن توفى في التاسع سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ، وكان أعظم ملوك مصـر ، وهو التاسع من ملوك الترك ، كان ملكـاً مطاعاً مهيباً محظوظاً ذا دهاء وحزم ومكر طويل الصبر على ما يكـره. ابـن حجـر العسـقلاني ؛ الـدرر الكامنة، جـ٤ ، ص٩٠-٩١-٩٢، رقم٤٣٦٤؛ ابن تغري بردي ؛ **الـدليل الشـافي**، جــ٢ ، ص٦٧٤-٦٧٥، رقم٢٣١٦،٢٣١٦؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٧٨-٤٠١-٤٣١ ؛ أبي حامد محب الدين ؛ **دول الإسلام الشريفة** ، ص ٤٧-٥٦ .

(2) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢، ق٢، ص٥٢٤ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٩، ص١٦٦.

(3) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣، ص٥٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٩، ص١٦٦.

(4) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصـر سلاطين المماليك** ، جـ١ ، ص٦٨ ؛ السيد الباز العريني ؛ **المماليك**، ص ١٣٠.

صغر السن [1] وذلك لتسهل تربيته وتطبيعه بأطباع البلد الذي يُجْلب إليه ، وأن يكون سليم البنية ذا ملامح جميلة [2] ، وأن يكون خالياً من العيوب الخَلْقية [3] .

تبدأ تربية المماليك الصغار بعد وصولهم إلى سيدهم، حيث يرسلون إلى الأطباء لفحصهم فحصاً دقيقاً للتأكد من سلامتهم قبل اختلاطهم بغيرهم من المماليك السابقين[4]، ثم يوضعون في أماكن خاصة وثكنات عسكرية عرفت بالطباق[5]، أُعدت لتكون سكناً لهم ومكاناً لتربيتهم ، وبمجرد دخولهم الطباق فإن كل واحدٍ منهم ينزل في طبقة جنسه [6]، فعلى سبيل المثال طائفة الخطأ أو القبجاق معاً ، والأرمن والجركس معاً ، وذلك لتقارب أجناسهم [7]، ويتسلمهم في الطباق

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٤٩ .

(٢) عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص٣٧.

(٣) ذكرت المصادر أن السلطان بيبرس عندما جلبه التجار إلى دمشق لبيعه عرض على صاحب حماة الملك المنصور وقد كان هذا السلطان يستشير أمه عند شراء المماليك ، فعرض عليها بيبرس يوماً وكان في إحدى عينيه بياضاً، فأشارت عليه أن يعرض عن شراء بيبرس ، وذلك عندما قالت : (أعرض عنه فإن في عينيه شراً لائحاً) ، فبيع بدمشق بثمانمائة درهم ، إلا أن مشتريه رده لبياض في إحدى عينيه ، فاشتراه الأمير علاء الدين البندقداري . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢، ص٦٣٧ حاشية رقم ٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧، ص٩٤-٩٥.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص١٤ ؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم ؛ **الرق في مصر** ، ص٤٤.

(٥) الطباق أو الأطباق ، مفردها طبقة أو طبق ، وهي المدرسة العسكرية ، وهي تشبه الحجز ، يسكنها المماليك الذين يشتريهم السلطان أو حتى الأمراء ، بلغ عدد هذه الأطباق اثني عشر طبقاً أو أكثر ، وبعضها كبير كأنه حي بأكمله يتسع لألف مملوك ، ابن شاهين الظاهري ؛ **صفحات لم تنشر من كتاب زبدة كشف المماليك** ، ص ٤٦٥ ؛ محمد قنديل البقلي ؛ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى** ، ص ٢٢٧-٢٢٨ . وكان طباق المماليك بساحة الأيوان بالقلعة ، وقد اهتم سلاطين الدولة المملوكية الأولى به ، فكان السلطان الظاهر بيبرس أول من بنى الطباق للمماليك، بجانب برج الزاوية المجاور لباب القلعة ، كما بنى طباقين آخرين يطلان على رحبة الجامع . ابن تغزي بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧، ص١٩٠-١٩١، وفي سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م ، بني السلطان الناصر محمد بن قلاوون الطباق الجديد بساحة الإيوان في القلعة ، بلغ عددها اثني عشرة طبقة وذلك بعد نشوب الحريق في طباق المماليك قرب البرج المنصوري سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م ، وأسكن المماليك السلطانية في هذه الطباق الجديدة سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م، وقد كانت كلها في مكان واحد بهدف جمع فئاتها المختلفة . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣، ص٤٨.

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣، ص٤٨.

(٧) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص١٥.

الطواشي [١] المقدم على الطبقة برسم الكتابة، والطواشي أو الطواشية يشرفون على تربية وتعليم المماليك تعليماً يشمل كافة الجوانب الضرورية لحياتهم دينياً وحربياً، وهو المسؤول عن مراقبة عدم اختلاط الكبار بالصغار منهم [٢]، وبلغ عدد الطواشية في الطباق في وقت من الأوقات ستمائة طواشٍ من جميع المراتب والدرجات [٣]، وغالبية هؤلاء الطواشية من الأحباش والروم جلبوا إلى مصر مع المماليك [٤].

كما خصص لكل طبقة من الطبقات فقيه يحضر إليها لتعليم المماليك القرآن الكريم والقراءة والكتابة وتعليمهم الصلاة، وتعويدهم على المحافظة عليها، وتعليمهم بعض الأدعية لتلاوتها في المناسبات، كما يعلمهم الخط وأحكام الدين وآداب الشريعة [٥]، فإذا شب المملوك يعلمه الفقيه شيئاً من الفقه [٦]، ويستمر المملوك على ذلك حتى يصل إلى سن البلوغ وقد تحلى بالأخلاق الإسلامية السمحة، وهذه المرحلة هي المرحلة الأولى التي يعيشها المماليك في الطباق [٧].

---

(١) الطواشي: كلمة تركية، جمعها طواشيه، وهم الخصيان الذين استخدموا في الطباق المماليكية، وفي الحريم السلطاني، وكانت لهم حرمة وافرة وكلمة نافذة، ويعد شيخهم من أعيان الناس، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة. القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ٣، ص٤٧٧؛ وبلغ عدد الطواشي في الطباق في وقت ما حوالي الستمائة، ومعظمهم من الأحباش والروم، وجيء بهم إلى مصر مع المماليك، ويبدأ الطواشي أحياناً خادماً صغيراً في البيوت السلطانية وخاصة بيوت الحريم السلطاني، ثم ينتقل بعد ذلك في الوظائف الطباقية حتى يصل إلى رتبة مقدم المماليك. عصام شبارو؛ **السلاطين في المشرق العربي**، ص١٤١.

(٢) عصام شبارو؛ **السلاطين في المشرق العربي**، ص ١٤١، سعيد عبد الفتاح عاشور؛ **المجتمع المصري**، ص١٤

(٣) السيد الباز العريني؛ **المماليك**، ص١١٧.

(٤) من هؤلاء الطواشية: الطواشي شرف الدين قميص مقدم المماليك زمن السلطان بيبرس وأولاده، والطواشي فاخر بن عبد الله مقدم المماليك السلطانية في عهد السلطان المنصور قلاوون. السيد الباز العريني؛ **المماليك**، ص١١٨-١١٩.

(٥) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص٤٨.

(٦) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص٤٨.

(٧) عبد الرحمن زكي؛ **موسوعة الجيش المصري**، جـ٢، ص١٤؛ محمود رزق سليم؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك**، جـ١، ص٧٧-٧٨.

بعد هذه المرحلة يبدأ المماليك المرحلة الثانية ، وهي تبتدئ بما انتهت إليه المرحلة الأولى ، أي من سن البلوغ ، فينتقل المماليك من التعليم الديني برسم الكتابة إلى تعلم فنون الحرب والقتال ، من رمي بالسهام ، ولعب بالرمح ، وضرب بالسيف ، وركوب الخيل ، والسباحة على يد معلمين في مختلف فنون الفروسية ، يكونون من فئة الفرسان (١)، حيث يقسم المماليك إلى طوائف يتولى كل طائفة معلم ماهر ، وكان لهم إصطبل(٢) خاص بهم (٣)، وكانوا يقومون بتمريناتهم الحربية على سفح جبل المقطم ، وفي ميادين مخصصة لذلك تقع على أطراف مدينة القاهرة (٤).

ولا يمنع المملوك في وقت فراغه من القراءة في بعض الكتب ومطالعتها ، أو مدارسة علم أو أدب ، فقد ظهر من بينهم من هو في رتبة فقيه عارف ، أو أديب شاعر ، أو حاسب ماهر (٥)، وهذه المرحلة ليست محدودة بسن معينة ، بل هي رهن ظهور مهارة المملوك وموهبته (٦).

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٤٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص١٤.

(٢) الإصطبل : مجموعة من المباني تبني للأمير المملوكي لسكنه وسكن أسرته ومماليكه وخيوله . ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٩ ، صـ ١٢١ .

(٣) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص١٥.

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٢ ، ص٤٨٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص١٤.

(٥) ومن هؤلاء الأمير سنجر البُرُنلي التركي الصالحي النجمي . وهو من العلماء الفضلاء ، فقد كان له علم بالفقه والحديث ، وسمع عن الكثير من العلماء . ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨، ص١٩٣؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٣٢٣ رقم ١١٠٦ . ومنهم أيضاً الأمير بيبرس الدوادار وكان عالماً بالتاريخ ، وهو مؤلف كتابي زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، والتحفة المملوكية في الدولة المغولية ، وكان يقضي غالب نهاره في سماع الحديث والبحث في العلوم . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٣٠٠-٣٠١ رقم١٣٨٥؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٩، ص٢٦١ ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٢٠٥، رقم ٧٢٠١ . ومنهم الأمير أرغون الدوادار ، كان ذا دراية بفقه أبي حنيفة حتى صار يعد من أهل الإفتاء ، وله عناية عظيمة بالكتب . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١، ص٢٠٥، رقم٨٧٤، ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١٠٦ ، رقم ٣٦٧ . ومنهم الأمير قشتمر المنصوري ، وكان عالماً باللغة العربية حسن الخط . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣ ، ص١٤٩-١٥٠ ، رقم٣٢٦٧ .

(٦) عبد الرحمن زكي ؛ **موسوعة الجيش** ، جـ٢، ص١٥ ، حمدي عبد المنعم حسين ؛ **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، ص١٥٦.

وفي كلا المرحلتين نرى التشديد على المملوك في مراحل حياته المختلفة ، فقد منع في المرحلة الأولى من مغادرة الطباق ، وخاصة الصغار منهم إلا فيما ندر [1] ، أما في المرحلة الثانية فكان لا يتسامح مع المملوك أبداً إذا غلط أو هفا أو صدر منه شذوذ خلقي ، بل كان يعاقب عقاباً شديداً ، يقول المقريزي في ذلك : «ولهم أزمّة من الخدم، وأكابر من رؤوس النوب ، يفحصون عن حال الواحد منهم الفحص الشافي ، ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ، ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فإن عثر أحد مؤدبيه الذي يعلمه القرآن ، أو الطواشِي الذي هو مسلم إليه ، أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه ، على أنه اقترف ذنباً أو أخل برسم ، أو ترك أدباً من أداب الدين أو الدنيا ، قابله بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه» [2].

ويتضح من هذا النص أن للمماليك داخل الطباق تنظيماً دقيقاً وشاملاً في الإشراف على تربيتهم وتثقيفهم في كافة الجوانب دينياً وعسكرياً ، وهو ما حرص عليه حكام وأمراء الدولة المملوكية ، وخاصة من الناحية العسكرية ، للاحتفاظ بهم جنوداً يدافعون عن أركان الدولة الإسلامية [3] ، فلا بد من استعمال القوة والقسوة مع كل مملوك ، وعدم التهاون في تربيتهم وهذا ما اتبعه المسؤولون داخل الطباق ، وقد كان الإشراف على الطباق بيد مقدم الطباق الذي يستطيع معاقبة كل مملوك غير مطيع له ، غير أن الإشراف العام على كل الأطباق كان بيد أمير من أمراء المماليك يطلق عليه مقدم المماليك ، والذي عرف بالصرامة والورع وشدة الانضباط [4] .

ولم يهمل سلاطين الدولة المملوكية مراقبة مقدمي المماليك ومعاقبة المقصرين منهم ، ففي سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م) ، أمر السلطان الظاهر بيبرس بقطع أيدي

---

(١) يذكر أن السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون سمح للمماليك بالنزول من القلعة نهاراً ولا يبيتون إلا بها، وسمح السلطان الناصر محمد لهم بالنزول من القلعة ولكن مع الخدام ، ويعودون في آخر النهار ، وقد استمر هذا النظام معمولاً به حتى زالت دولة بني قلاوون . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣، ص٤٨.

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٤٩.

(٣) فائد حماد عاشور ؛ **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى** ، ص١٣ .

(٤) كان مقدم المماليك في عهد السلطان سيف الدين قلاوون ، ذا سطوة ومهابة لدرجة أنه لا يجرؤ أحد أن أن يسير أمامه كائناً من كان بحاجة أو بغير حاجة ، وحيثما وقع بصره عليه أمر بضربه . ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٢٢ ؛ أحمد محمد عدوان ؛ **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي** ، ص٣٤ ؛ وقد ذكر القلقشندي مهمة مقدم المماليك في جـ١١ ، ص١٧٣ .

جماعة منهم لإهمالهم في مراقبة المماليك، والتغاضي عما ارتكبه المماليك من المفاسد في أرباع القاهرة [1]، وفي سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢١م)، ثار المماليك على كريم الدين الكبير ناظر الخاص [2]، وذلك لتأخر جوامكهم (الراتب) شهرين، فغضب السلطان الناصر محمد بن قلاوون، على مقدم المماليك ونائبه ومقدمي الطباق، وطرد جماعة منهم وقطع جوامكهم وأنزلهم من القلعة [3].

وفي سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) ولّى السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمير علاء الدين أقبغا [4] وظيفة مقدم المماليك السلطانية، لأنه وجد أن بعض المماليك نزل من القلعة إلى القاهرة، فأنكر السلطان ما حدث، وضرب كثيراً من طواشية الطباق، وطرد جماعة منهم، وأنكر على المقدم الكبير، وهو الطواشي شجاع الدين عنبر السحرتي [5]، تهاونه حتى حدث ما حدث، فعزله وولى مكانه الأمير علاء الدين أقبعا، الذي ضبط أمر الطباق بالقلعة، وضرب عدداً منهم ضرباً مبرحاً،

---

(١) المقريزي؛ السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٤٠.

(٢) هو عبد الكريم بن هبة الله بن السديد القبطي المصري المعروف بكريم الدين الكبير، وكيل الملك الناصر محمد بن قلاوون وناظر خواصه ومدير مملكته، بلغ فوق ما بلغه الوزراء، ونال فوق ما يناله غيره من أعوان الدولة، أسلم في عهد بيبرس الجاشنكير، كان وقوراً عاقلاً داهية جريء الرأي وكان يحترم العلماء قتل سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م. ابن تغري بردي؛ **المنهل الصافي**، جـ٧، ص٣٤٥-٣٤٩، رقم ١٤٧٥.

(٣) ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**، جـ٩، ص٧٣.

(٤) الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد الناصري، أخو خوند طغاي زوجة أستاذه الناصر محمد بن قلاوون تقدم عند الناصر في الجمدارية، ثم تنقل منها إلى الاستادارية، وولى إلى جانب ذلك شاد العمائر ومقدم المماليك، صودر في عهد السلطان المنصور أبي بكر، تولى نيابة حمص في عهد السلطان الصالح إسماعيل سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م، وقتل في الإسكندرية في العام ذاته، وكان غير مشكور السيرة لكثرة ظلمه. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ١، ص٢٢٨، رقم١٠٠٢؛ ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**، جـ١، ص١٣٨، رقم٤٨٤.

(٥) شجاع الدين عنبر السحرتي الناصري، ترقى في الخدمة حتى أمّره الناصر إمره طبلخاناة واستقر مقدم المماليك ثم عزله الناصر سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، ثم أُعيد إلى وظيفته سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، ثم صُرف في رمضان سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م وصودر ونفى إلى القدس، وكان متعاظماً يتقن الفروسية، مات بالطاعون سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣، ص١١٨، رقم٣١١٦.

وبالغ في إهانة الخدام ، فلم يستطيع أحد من المماليك أن يتجاوز طبقته [1].

وقد اهتم سلاطين الدولة المملوكية بما يأكله المماليك داخل الطباق ، فأمنوا لهم أفضل أنواع الأطعمة من اللحم بأنواعه المختلفة ، والفواكة ، والحلوى ، والفول المسلوق وغير ذلك [2]، وقد كان السلطان المنصور سيف الدين قلاوون يخرج في أوقات كثيرة عند موعد تقديم الطعام للمماليك ، فيأمر بعرضه عليه ليتفقد ما يقدم للمماليك من اللحوم والأطعمة ، ويختبر طعامهم في جودته ورداءته ، فإذا وقعت عينه على عيب فيه اشتد على المشرف ونهره وعنفه [3].

كما اهتم السلاطين بملابس المماليك ، فعينوا لهم الكسوات الفاخرة ، من القطن البعلبكي والكتان الخام المتوسط [4].

واهتمام سلاطين المماليك بتربية مماليكهم والعناية بهم تجلى في الوصية التي وضِعت لكل (مقدم مماليك) يُعهد إليه بالإشراف على المماليك داخل الطباق حيث يوصيه فيها بحسن معاملتهم وإكرامهم وتعليمهم ما ينفعهم ، والعمل على راحتهم والسهر على ما فيه خيرٌ لهم لشعورهم بالغربة عن أوطانهم وفراق آبائهم وأمهاتهم، فهم بحاجة ماسة إلى العطف والحنان والرعاية ، مع استخدام القوة وإدخال المهابة إلى نفوسهم ، تقول الوصية : «ليحسن إليهم ، وليعلم أنه واحد منهم ولكنه مقدم عليهم ، وليأخذ بقلوبهم مع إقامة المهابة التي يخيل إليهم أنه معهم وخلفهم وبين أيديهم ، وليُلزم مقدم كل طبقة بما يلزمه عند تقسيم صدقاتنا الجارية عليهم ، وليكن

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٤٢١-٤٢٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٩ ، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٤٩ ، عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ١ ، ص١٦؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص١٦.

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٤٨ ، كان السلطان المنصور قلاوون يقول : (كل الملوك عملوا شيئاً يذكرون به ما بين مال وعقار ، وأنا عمرت أسواراً ، وعملت حصوناً مانعة لي ولأولادي المماليك وللمسلمين) . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٤٨.

(٤) المقريزي ؛ **لخطط** ، جـ٣ ، ص٤٩ ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢، ص٥٢٤.

لأحوالهم متعهداً، ولأمورهم متفقداً ...»[1] .

المملوك بعد أن يتلقى التدريب الكامل داخل الطباق ، ويكتسب الشجاعة ويبلي بلاءاً حسناً في فنون الحرب والقتال واللعب والمبارزة وغيرها ، تكون مكافأته العتق وترد إليه حريته [2]، ويكون العتق جماعياً [3]، فيقام لهم احتفال خاص يحضره السلطان والأمراء وذلك بناء على شهادة تسمى إعتاق (عتاقة) [4]، وحرص السلاطين على عدم عتق المملوك قبل أن يصل إلى سن البلوغ [5] ، وبعد أن يعتق المملوك يعطى الموافقة بمغادرة الطباق على أن يخصص له مصروفاً (جامكيه) تتدرج من ثلاثة دنانير إلى خمسة حتى يصل إلى سبعة عشر ديناراً في الشهر [6]، ولا يستقر المملوك على هذا المصروف وإنما ينتقل سريعاً إلى الإقطاعات [7] ، بعد أن يُوكل إليه أمر وظيفة من الوظائف الصغيرة ، حيث يكتب له إقطاعها ويمنح سلاحاً وخيلاً وقماشاً ليكوّن بها نفسه ، وتكون عوناً له في حياته الجديدة[8]، يظل ذلك المملوك جندياً ملتحقاً بخدمة السلطان ، إلا أن بعضهم يترقى شيئاً فشيئاً إلى الأدوار التى مر بها أستاذه من قبل ، إذ يترقى في درجات الإمارة ويمنح الألقاب حتى يصل إلى أعلى المناصب في الدولة ، كنيابة السلطنة ، أو إمرة الجيش أو غير

---

(١) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ١١ ، ص١٧٣؛ ابن فضل الله العمري ؛ **التعريف بالمصطلح الشريف** ، ص١٣٦-١٣٧.

(٢) عبد الرحمن زكي ؛ **موسوعة الجيش** ، جـ٢ ، ص١٥.

(٣) كان السلطان الظاهر بيبرس يعتق في كل ليلة من شهر رمضان ثلاثين نسمة . علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٥١.

(٤) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٣ ، ص٤٧٨.

(٥) السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص١٢٥.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٥٢٤ . كانت (رواتب المماليك) في العصر المملوكي متفاوتة من من سلطان إلى آخر ، فقد بلغت نفقاتهم في عهد السلطان الناصر محمد كل شهر سبعين ألف درهم، وفي عهد السلطان حسن بن الناصر محمد مائتين وعشرين ألف شهرياً . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٥٠.

(٧) الإقطاعات : مفردها إقطاع ، وهي عبارة عن جزء من الأرض يستغله صاحبه كيفما شاء أو يعرض عليه مال معين، وهي تجري على الأمراء والجند ، وتختلف هذه الإقطاعات باختلاف حال أربابها . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص٥٠.

(٨) عبد الرحمن زكي ؛ **موسوعة الجيش** ، جـ٢ ، ص١٥.

ذلك[1]، فقد كان باب الترقي في الدولة المملوكية مفتوحاً أمام كل مملوك يجد في نفسه الكفاية للوصول إلى السلطنة ، حيث يترقى من مملوك بسيط إلى أمير خمسة ، أو عشرة ، أو خمسين ، أو مائة ، أو ألف ، حتى يتحقق أمله في الوصول إلى سدة الحكم[2].

لقد أحسن سلاطين المماليك تربية مماليكهم تربية إسلامية وعسكرية ، مما كان له دور في النهوض بدولتهم ، والدفاع عن حياض الدولة الإسلامية ، وصدق المقريزي عندما قال عنهم : «لذلك كانوا سادة يديرون الممالك ، وقادة يجاهدون في سبيل الله ، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل ، ويردعون من جار أو تعدى»[3].

تعدى»[3].

---

(١) انظر الفصل الثاني المبحث الأول .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص ١٦؛ حمدي عبد المنعم حسين ؛ **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، ص١٥٦ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٤٩ .

الفصل الأول

الأمراء وحياتهم الاجتماعية

المبحث الثاني

مكانة الأمراء الاجتماعية وتكوينهم الأسرى ومصاهراتهم

تمتع الأمراء بمكانة عظيمة لدى السلاطين ، وقد ذكرت بعض المصادر الكثير من النصوص التى تبين مكانة الأمراء لدى هؤلاء السلاطين ، حيث قربوهم ورفعوا مكانتهم وأغدقوا عليهم النعم الوفيرة التي لا تعد ولا تحصى ، الأمر الذي أدى - بطبيعة الحال - إلى التحاسد والتباغض بين الأمراء ، وقيام الثورات والصراعات التى تؤدي إلى قتل بعضهم بعضاً ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد ثقلت وطأة الأمير الوزير سنقر الأعسر(١) على الأمراء ، لشدة تعاظمه ، وتزايد كبره، ووفرة حرمته ، وقوة مهابته (٢)، لما تمتع به من مكانة لدى السلطان الناصر محمد ، وأقدم الأمير كتبغا (٣) على قتل الأمير سنجر الشجاعي(١) ؛ لأن نفوذه ازداد بدرجة

(١) هو من أعيان الأمراء وأكابرهم ، كان مملوك الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام ، ثم صار إلى الملك المنصور سيف الدين قلاوون فولاه الإستادراية ، ثم شد الدواوين بدمشق ، تولى الوزارة في عهد السلطان لاجين سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م ، وقد كان صارماً مهاباً ، توفى سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢، ص١٠٤-١٠٥ ، رقم١٩٠٦؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٣٢٧، رقم١١٢١ .

(٢) المقريزي ، **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٩١٦-٩٢٣.

(٣) هو السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي المغلي ، تولى الملك بعد خلع السلطان الناصر محمد سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م ، وهو من سبايا التتار الذين أسرهم السلطان المنصور قلاوون في موقعة حمص سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م ، غير أنه خلع من السلطة سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م بعد أن حكم سنتين ، وقع خلالها بالديار المصرية الغلاء وانتشر الوباء وقصر النيل ، ولما خلع من السلطنة تولى نيابة صرخد ثم حماه ، وتوفى سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م ، وكان ديناً خيراً شجاعاً . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ،جـ٣ ، ص١٥٨-١٥٩ ، رقم٣٣١٤ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨، ص٥٠-٧٠ ؛ **الدليل الشافي** ، جـ٢، ص٥٥٣-٥٥٤، رقم١٨٩٧ .

تهدد تحقيق رغباته في الاستيلاء على السلطة .

وهناك بعض الرسائل التي توضح مكانة الأمراء المماليك ، منها الرسالة التي بعث بها السلطان الظاهر بيبرس إلى كبار الأمراء في مصر عندما كان بدمشق ، إذ يقول فيها : «ولدكم ولبقيتكم أخوكم ووالدكم يسلم عليكم ، وإيثاره ألاّ يفارقكم، وإنما قدمنا راحتكم على راحتنا»[2] . وقد بعث بها السلطان الظاهر وهو في قمة مجده وقوته .

الرسالة الثانية بعث بها السلطان المنصور سيف الدين قلاوون إلى ولده الأشرف خليل ، تعد قطعة أدبية بلاغية ، وفي الوقت ذاته وصية جامعة لخيري الدنيا والآخرة ، إذ أوصاه بالأمراء فقال له فيها : «... إنهم السور الواقي بين يدي كل سور ... وهم ذخائر الملوك ، وجواهر السلوك ، وأخاير الأكابر ، الذين خلصوا من الشكوك ، فكن لجنودهم متحبباً ولمرابعهم مخصباً ، ولمصالحهم مرتباً ، ولأرائهم مستصوباً ، وأدم لهم ارتياحك ، ... وقوهم بسلاحك ...»[3].

هاتان الرسالتان دليل واضح على ما تمتع به الأمراء المماليك من مكانة عظيمة لدى السلاطين ، ومنزلة رفيعة في المجتمع المصري .

وكثيراً ما أوصى السلاطين أبناءهم بالأمراء، فالسلطان الناصر محمد قبل وفاته، أوصى ولده أبا بكر[4]، بالأمراء المماليك خيراً[1]، وما ذلك إلاّ ليضمن

---

(١) هو سنجر بن عبد الله الشجاعي المنصوري ، وزير الديار المصرية ، ومشد دواوينها ، نائب دمشق ، وهو مشيد البيمارستان المنصوري بالقاهرة ، تولى نيابة السلطنة في عهد السلطان الأشرف خليل ، ثم في عهد السلطان الناصر محمد سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م ، إلا أنه استبد بالأمور مستغلاً صغر السلطان الناصر محمد ، وكانت نهايته القتل، وقد طُوف برأسه بعد قتله في شوارع القاهرة ، وُمثل به شر تمثيل . ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٥٠-٥١ ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٣٢٠-٣٢٦، رقم١١١٤.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق١، ص٩٩٩.

(٣) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ١٠، ص١٧٠.

(٤) هو أبو بكر بن محمد بن قلاوون الملك المنصور بن الناصر بن المنصوري ، ولي الملك بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ، ووقعت له عدة أمور أدت إلى خلعه وتولية أخيه الأشرف كجك ، فنفي إلى قوص ، ثم قتل بأمر من الأمير قوصون سراً وذلك سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م ، كانت مدة حكمه شهرين . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٧١-٢٧٢، رقم١٢٤٥؛ ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي** ، جـ٢، ص٨٢٣ ، رقم٢٧٦٨ ؛ القرماني ؛ **أخبار الدول وآثار الأول** ، جـ١ ، ص ٢٨٢-٢٨٣.

ولاءهم لابنه ، بعد أن عانى منهم كثيراً ، في فترتي حكمه الأولى سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) ، والثانية سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م) . وقد استحق بعض الأمراء المقربين للسلطان هذه المقارنة لما كانوا يتمتعون به من الحكمة والفراسة والدراية ومن أمثلة ذلك : الأمير بدر الدين بيليك [٢] الخازندار [٣] ، الذي قربه السلطان الظاهر بيبرس لحكمته ورجاحة عقله ، وولاه نيابة السلطنة سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) ، وفوض إليه شؤون الدولة ، بل أصبح صاحب الحل والعقد، فكان ينفذ الأمور من غير أن يشاور السلطان فيها ، ومما يدل على رجاحة عقله وحسن تصرفه أنه عندما مات السلطان الظاهر بيبرس بدمشق - وكان برفقة سيده - كتم خبر وفاته حتى لا يطمع التتار في البلاد في هذه الفترة الحرجة [٤] .

والسلطان الناصر محمد بن قلاوون قرب الأمراء وجعل لهم المكانة العظيمة في بلاطه ، وقد شغف بشراء المماليك وجلبهم من مواطن شتى ، ودفع الأموال الطائلة للتجار من أجل الحصول عليهم ، بل أغدق على مماليكه العطايا ، ورفع بعضهم إلى رتبة الإمارة مثل : الأمير سيف الدين الحاج آل ملك [٥] الجوكندار [٦] ، والذي كان من أهل المشورة لدى الناصر محمد منذ كان في الكرك ، لما

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢، ق٢، ص٥٢٧.

(٢) هو مملوك السلطان الظاهر بيبرس ، ولاه السلطان نيابة السلطنة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م ، واستمر في هذا المنصب كذلك في عهد السلطان السعيد بركة بن الظاهر بيبرس ، قتل سنة ٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م ، وقيل قتل مسموماً ، وقد حزن الناس لموته حزناً شديداً ، كان عارفاً بالتاريخ ، محسنا كثير اليد . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٥٧-٥٦٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧،ص٢٧٦ ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ،ص٢١١، رقم٧٤٧ .

(٣) هي الوظيفة الثانية عشرة بين الوظائف العسكرية بحضرة السلطان ، ومتوليها له الأشراف على خزائن الأموال السلطانيه من نقد وقماش ، ويكون متوليها أمير مائه ومقدم ألف ، ويشرف على الخازندارية أقل رتبه منه هو الخازندار الثاني ، ويكون في مرتبة طبلخاناة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢١ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ١ ص ٢١٢ ، انظر الفصل الثاني المبحث الأول .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢، ص٦٤١.

(٥) هو من أكابر الأمراء في عهد السلطان الناصر محمد ، وعهد أولاده من بعده تولى نيابة السلطنة بمصر سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م ، كان صارماً ومهاباً ، مشدداً على تطبيق أحكام الشريعة على الجميع ، كان ضحية للفتن والمؤامرات ، حيث قبض عليه في عهد السلطان الكامل شعبان بن الناصر وسجن بالقلعة ، ثم أفرج عنه ، وولاه نيابة دمشق ثم صفد ، ثم قبض وخنق لصرامته وذلك سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٤٠-٢٤١، رقم١٠٦٥؛ ابن تغري بردي؛ **المنهل الصافي** ، جـ٣ ، ص٨٥-٨٨، رقم٥٤٧.

(٦) هو لقب للذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة ، وهو مركب من لفظتين ، إحداهما جوكان: وهو المحجن الذي تضرب به الكرة ، ويعبر عنه بالصولجان ، والثانية دار : ومعناها ممسك ، ويكون

له من حكمة ورجاحة عقل ، ولما عاد الناصر إلى مصر وتولى الحكم للمرة الثالثة سنة (٧٠٩هـ/ ١٣١٠م) ، عظم شأن آل ملك وجعله نائب السلطنة فيها [١] .

ومن الأمراء الذين عظمت مكانتهم عند السلطان وأغدق عليهم الأموال ؛ الأمير بكتمر الساقي[٢] ، الذي حظى بمكانة لدى السلطان الناصر محمد وكان له شأن عظيم ، وبلغت هذه المكانة لدى السلطان أن زوجَّه أم ولده ، وتبالغ المصادر في وصف هذه العلاقة وتذكر أن السلطان الناصر لم يفارقه ليلاً ولا نهاراً ، وأنه لا يأكل طعامه إلا في بيت بكتمر ، وإذا حمل النواب الأحمال والهدايا إلى السلطان لا بد أن يقدموا لبكتمر مثلها أو قريباً منها [٣] ، وبلغت تلك المكانة مبلغاً عظيماً عندما عمر له السلطان إصطبلاً خاصاً به بلغت كلفة بنائه ما يقارب تسعمائة ألف درهم ، وجعل ذلك الإصطبل مقابلاً لقصره ، وإذا ولى أحداً وظيفة وقبل يد السلطان يأمره السلطان بأن يقبل يد بكتمر [٤] .

وشغف السلطان الناصر أيضاً بالأمير بشتاك الناصري [٥] وأفرط له في العطاء، وقدمه بعد بكتمر ، وأعطاه داره وإصطبله ، وزوجه أم ابنه ، وكان يسميه بالأمير

المعنى : ممسك الجوكان . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٥٨ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٣٧٣-٣٧٥ ؛ محمد قنديل البقلي ؛ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى** ، ص٩٤.

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣، ص ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٤٠.

(٢) كان بكتمر الساقي من مماليك المظفر بيبرس ، رباه صغيراً وعرف عنده بمملوك قزمان ، أنعم عليه بإمرة سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م ، بعد عودة السلطان الناصر محمد ، وقد كان حظياً عنده ، وظل يتمتع بمكانة عظيمة لدى الناصر محمد حتى اختلف عليه بعد إشاعة وصلته ، قتله سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م ، وقد كان جيد الطباع حسن الأخلاق لين الجانب كثير الأموال ، وكان يتلطف للناس ويقضي حوائجهم . الصفدي ؛ **الوافي بالوفيات** ، جـ١٠ ، ص١٢٢-١٢٥ ؛ **أعوان العصر** ، ص٧٠٩-٧١٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨٦-٢٨٧ ، رقم١٣٠٩.

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٤١٦-٤١٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨٦-٢٨٧ ؛ اليوسفي ؛ **نزهة الناظر** ، ص١٤٩-١٥٠.

(٥) كان شاباً ظريفاً ، جُلب من بلاد القان أزبك ، فاشتراه الناس بستة آلاف درهم ، ثم أصبح من مماليك الأمير قوصون ، فشغف به السلطان الناصر محمد ، فأفرط في العطاء له ، وكان من أثرياء الأمراء ، وهو صاحب الجامع على بركة الفيل خارج القاهرة ، قتل في سجن الإسكندرية سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨١-٢٨٢ ، رقم١٢٩١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١٩١ ، رقم٦٦٧.

في غيبته [١] ، كما حظي الأمير قوصون الساقي الناصري [٢] بمكانة لدى السلطان الناصر محمد وعظمت منزلته ، وأمّره ، وكان كثير الافتخار بنفسه بأنه من خواص السلطان ويقول : «أنا اشتراني السلطان وكنت من خواصه وأمرني وقدمني وزوجني بابنته ، أما غيري فتنقل من التجار إلى الطباق وإلى الإصطبلات» [٣] .

وحظي الأمير طغيتمر العمري [٤] بمكانه عند السلطان الناصر محمد ، لجماله البارع وهدوئه ورجاحة عقله ، فرقاه في مناصب الدولة ، وجعله من أمراء المشورة، بل زوجه بابنته[٥].

ومن فرط إكرام الناصر للأمراء أنه أنشأ لعدد منهم قصوراً ، وذلك يدل على المكانة التي بلغها هؤلاء لديه ، فقد أنشأ للأميرين يلبغا اليحياوي[٦] والطنبغا الماردانى [٧] قصرين عظيمين غاية في الجمال ، وقد ذكر المقريزي أن السلطان أنشأ لهما

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨١ .

(٢) من عظماء أمراء مصر ، قدم إلى مصر لأول مره عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م ، ومعه جماعة من المماليك فأُعجب السلطان الناصر محمد به إعجاباً عظيماً دفعه إلى شرائه ، ويقال أنه دفع فيه ثمانية آلاف درهم ، ويقال ثمانين ألفاً ، ولم يعش في طباق القلعة كما عاش غيره من الأمراء . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص١٥٤-١٥٥ ، رقم٣٢٩٥.

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣، ص١٥٤ .

(٤) كان من مماليك الناصر فحظي عنده لجماله البارع وسكونه وعقله ، فرقاه في خدمته ، وزوجه بابنته ، وصار أحد أمراء المشورة ، وأعطاه عند دخوله على ابنته خمسين ألف دينار وذلك سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٣٤، رقم ٢٠٣٢.

(٥) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٣٤.

(٦) كان أخوه يعمل في خدمة الناصر محمد ، وقد حظي يلبغا بمكانة لدى السلطان الناصر محمد إلى أقصى غاية ، ولما مرض السلطان كان هو الذي يتولى تمريضه مع ملكتمر الحجازي ، قبض عليه الأمير قوصوي ثم أفرج عنه ، وولى في أيام الصالح إسماعيل نيابة حماه ، ثم ولي حلب ، ثم نيابة دمشق ، واستمر حتى عهد السلطان المظفر حاجي ، كانت نهاية أمره القتل وقطع رأسه وجهز إلى القاهرة سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م ، وكان كثير التلاوة للقرآن ويحب الفقراء ويجالسهم ولم يكن فيه شر ولا انتقام . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٤ ، ص٢٧٠ ، رقم٥١٩٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ٢ ، ص٧٩٣ ، رقم٢٦٧١.

(٧) اشتراه السلطان الناصر محمد صغيراً واختص به ورقاه ، ثم صارت منزلته عند المنصور أبي بكر أعظم مما كانت عند أبيه ، تولى نيابة حماه سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م ، فأقام بها شهرين ثم نقل إلى نيابة حلب في رجب ومات بها في سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م ، وكان جميل الصورة كريماً . ابن حجر العسقلاني

القصرين لتزايد رغبته فيهما ، وعظيم محبته لهما ، حتى يكونا أمامه ، ولينظر إليهما من قلعة الجبل [1] ، بل كان السلطان يهندس فيهما بنفسه ، وصرف على بنائهما شيئاً كثيراً، وبعد الانتهاء منهما عمل سماطاً عظيماً [2] ، كما أنشأ للأمير سيف الدين طشتمر البدري الساقي [3] قصراً واشترى له بستاناً بتسعين ألف درهم [4] ، لما بلغه من المكانة لديه .

كان من عادة بعض السلاطين عيادة أمرائهم إذا مرضوا ليسألوا عن حوائجهم ، ومن الأمثلة على ذلك أنه في سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) مرض الأمير عز الدين أيبك الأفرم [5] مرضاً شديداً ، فقام السلطان المنصور سيف الدين قلاوون بعيادته ، فلما رأى السلطان ما به من مرض تألم له [6] .

ومرض الأمير يلبغا اليحياوي فكان السلطان الناصر محمد هو الذي يتولى تمريضه بنفسه ، وكان مهتماً به اهتماما بالغاً ، بل إنه عندما توفي الولد الأكبر لهذا الأمير ، لم يُر أكثر شغلاً من السلطان بيلبغا [7] .

؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٣٦ ، رقم١٠٥٨ .

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٢ ، ص٤١٦-٤١٧ ، جـ٣ ، ص٢١٨-٢١٩ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٤ ، ص٣٧٠ .

(٣) هو ابن عبد الله الساقي الناصري محمد بن قلاوون ، عرف بطشتمر حمص أخضر لأنه كان يحب أكله، اشتراه الناصر محمد صغيراً فرباه وحظي عنده ، غير أنه قبض عليه لاتهامه بإثارة الفتنة ، وأطلق بعد أن ظهرت براءته ، وقد وسع عليه السلطان في الخلع والملابس ، وتولى عدة وظائف ، ولي نيابة صفد ، ثم حلب ، ثم نيابة السلطنة بمصر ، إلى أن أمسك وقتل بالكرك بأمر من السلطان أحمد ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م ، وقد كان طشتمر شجاعاً كثير الآثار واسع الصدر . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٣١-١٣٢ رقم ٢٠١٨؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٣٦٢ ، رقم١٢٤٢ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص١٣١ .

(٥) هو عز الدين أبيك الأفرم الصالحي ، تولى الجاندارية في عهد السلطان بيبرس ، ثم تولى نيابة السلطنة في عهد العادل سلامش ، وعهد السلطان سيف الدين قلاوون سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م ، واشترك مع السلطان المنصور في حرب التتار وقتال الأمير سنقر الأشعر الذي خرج على السلطان ، وقد كان الأمير عز الدين يتمتع بثروة هائلة ، ويقال إن له ثُمن الديار المصرية ، وهو صاحب الرباط والجسر على بركة الحبش ، توفي سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م ابن تغري بدوي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٨٠ ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١٦١ ، رقم٥٧٤ ، ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٤٨-٣٥٩ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٦٦٥ .

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٠٠ ، ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٤ ، ص٢٧٠ .

وعندما مرض الأمير أرغون الكاملي [1] قلق السلطان الكامل شعبان [2] لمرضه فبعث له فرساً وثلاثين ألف درهم تصدق بها عنه، وخرج بنفسه لعيادته [3].

ومما بلغه الأمراء من المكانة، خروج بعض السلاطين للقاء بعضهم، حتى وإن كان ذلك الأمير عدواً للسلطان، ومن ذلك على سبيل المثال؛ استقبال السلطان الظاهر بيبرس للأمير سنقر الأشقر [4] الذي كان أسيراً في حلب عند الملك هيثوم ملك أرهينة الصغرى وخلع عليه المال الوفير والخيل وغيرها، وأمر الأمراء بأن يكرموه، وبالغ في الإحسان إليه، بل بنى له داراً بقلعة الجبل [5].

وفي سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م) نزل السلطان المنصور سيف الدين قلاوون من قلعة الجبل ومعه عساكره للقاء الأمير سنقر الأشقر، وأنعم عليه بإمرة مائة فارس وتقدمة ألف [6]، على الرغم من تمرده على السلطان واستقلاله بالشام وتلقبه بالملك الكامل، وقد عمل السلطان على استمالته واستعطافه، وما كان ذلك إلا بسبب ما

---

(١) هو سيف الدين أرغون بن عبد الله الكاملي الصغير، نائب حلب ثم نائب الشام، كان أحد مماليك الصالح إسماعيل رباه وهو صغير السن حتى صيره أمير طبلخاناة، وزوجه أخته لأمه، كان جميلاً جداً، ولما تولى السلطنة الكامل شعبان حظي عنده بمكانة وقدمه وأمره مائة، وكان يدعى أرغون الصغير فأمر السلطان بأن يدعى أرغون الكاملي، ثم ولاه الناصر حسن نيابة حلب، وفي سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م صرف عن حلب، وتولى إمرة مائة بمصر، ثم أعتقل بالإسكندرية ثم أفرج عنه، وأقام بالقدس بطالاً وعمر له فيها تربة حسنة ومات بها في شوال سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م ولم يكمل الثلاثين من عمره. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة** جـ١، ص٢٠٥-٢٠٦، رقم ٨٧٥؛ ابن تغري بردي؛ **المنهل الصافي**، جـ٢، ص٣١٩-٣٢٠، رقم٣٧٥.

(٢) هو السلطان الكامل شعبان بن محمد قلاوون، تولى السلطنة بمصر سنة٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، بعهد من أخيه الملك الصالح إسماعيل، ولكنه كان طائشاً متهوراً محباً للهو والنساء، فخلعه الأمراء وعلى رأسهم يلبغا اليحياوي، وقرروا في السلطنة مكانة أخوه المظفر حاجي وذلك سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥م، ومدة حكمه سنة ودون الشهر. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٢، ص١١٣، رقم١٩٣٩، ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**، جـ١، ص٣٤٤-٣٤٥، رقم١١٨٥.

(٣) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق٣، ص٧٠٢، ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ١، ق١، ص٥٥٢-٥٥٣. ٥٥٣.

(٤) هو سنقر الأشقر الصالحي النجمي، نائب دمشق، ولما تسلطن المنصور سيف الدين قلاوون خرج من من طاعته، وتسلطن بدمشق، وتلقب بالملك الكامل، ووقع له حوادث يطول شرحها، وطال أمره إلى أن قبض عليه الأشرف خليل بن قلاوون وقتله في سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م. ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**، جـ١، ص٣٢٧، رقم١١٢٠.

(٥) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٢، ص٥٦٨.

(٦) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص٧٣٥.

يواجهه المسلمون من أخطار تهدد كيان الدولة الإسلامية متمثلة في الخطر المغولي [1].

واستقبل السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الأمير علم الدين سنجر الحلبي [2] عندما قدم من بلاد الشام إلى القاهرة ، وخلع عليه وعلى كل من كان معه من الأمراء بألف دينار [3] .

ومن الأمراء من يقوم له السلطان احتراماً ، فقد قام السلطان الناصر محمد للأمير جمال الدين أقوش [4] نائب الكرك ، كما كان يقوم للأمير سيف الدين بكتمر الأبوبكرى [5] السلاح دار [6] إذا دخلا عليه [7] ، وما ذلك إلاّ لمقامهما ومكانتهما عنده .

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٢٩٢-٣٠٢.

(٢) هو نائب دمشق من قبل الملك المظفر قطز ، وعندما تسلطن بيبرس البندقداري استخلف سنجر هذا لنفسه ، وتسلطن بدمشق ، ولقب بالملك المجاهد ، ثم وقع له أمور ، وآخر الحال أنه صار من جملة أمراء الظاهر بيبرس ، وعاش إلى أيام المنصور قلاوون ، توفي سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م . ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٣٢٥ ، رقم١١١١.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٦٨١ ، ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٣٩.

(٤) كان من مماليك المنصور ، وولي عن الأشرف نيابة الكرك نحو عشرين سنة ، ثم ولي نيابة دمشق في سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م ، عزل واعتقل بمصر ثم أفرج عنه سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م ، وعمر جامعاً بالحسينية ، وله ذوق وفضل وجود ، إلا أنه كان قاسي القلب يعاقب على الذنب الصغير العقاب الكبير ، مات بالإسكندرية سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٣١-٢٣٢ ، رقم١٠٢٤ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١٤٦ ، رقم٥١٧.

(٥) هو بكتمر الأبوبكري المنصوري ، من أكابر الأمراء في دولة الناصر ، وكان السلطان المنصور سيف الدين قلاوون أمره أربعين ، وهو أول من تنقل من الجندية إلى الطلبخاناة ، ثم عظم قدره إلى أن صار أمير سلاح ، ولاه الناصر محمد نيابة صفد سنة٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م ، ولكنه رفض فاعتقله وحبسه بالإسكندرية ، ثم أفرج عنه ، ثم وسجن بالقلعة ست سنين إلى أن مات سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م ، كان جواداً سليم الباطن كثير المعروف . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨٤ ، رقم١٣٠٥.

(٦) هو أمير السلاح ، وظيفة عسكريه كبيرة في العصر المملوكي ، اعتبرها القلقشندي الوظيفة الخامسة بين بين كبرى الوظائف التي يشغلها عسكريون في القصر السلطاني ، ثم حلت مكانتها حتى اعتبرها الظاهري ثاني الوظائف العسكرية بحيث صارت تلي مباشرةً أتابك العساكر أو الأمير الكبير ، ومهمة أمير سلاح الإشراف على السلاح خاناه أو مخازن الأسلحة بما فيها من أدوات وأسلحة ، وبأمره كانت تدخل إليها الأسلحة وتخرج منها وتحفظ بها ، ويحمل سلاح السلطان والأمير في المجامع العامة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص١٨ ؛ المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٦٥ ؛ ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٤ .

(٧) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٢ ، ص٣٨٦.

عنده .

ومن الأمراء من تدخل في الشفاعة للأمير أو غيره من عامة الناس لدى السلطان فيقبل السلطان شفاعتهم أو يردها لأسباب ، ومن ذلك شفاعة الأمراء في الأمير بكتمر الأبوبكري وفي ولديه ، فقبل السلطان الناصر محمد شفاعتهم في ولديه أما فيه فلم يقبلها؛ لأن هذا الأمير كان كثير المعارضة للسلطان ، وكان لا يرضى بما يقدمه السلطان من الخلع والأموال (١) .

وقد سُمح لبعض أقارب الأمراء بالقدوم إلى القاهرة والإقامة بها ، فقد قدم والد الأمير يلبغا اليحياوي طابطا إلى القاهرة ؛ لما سمعه عن حظوة ولده عند الناصر محمد ومعه ابناه أسندمر ومراكز ، فأكرمه السلطان وولاه الإمارة (٢) .

وأحضر السلطان الناصر محمد قماري أخا الأمير بكتمر إلى القاهرة وأمّره بعد مقتل أخيه ، وما ذلك إلاّ لمكانة بكتمر الساقي عنده (٣) .

المماليك - الذين أصبحوا أمراء فيما بعد - لم يدركوا المفهوم الصحيح للأسرة، على الرغم من حرصهم على الزواج والإنجاب ، وكذلك على شراء واقتناء الجواري والمحظيات (٤) ، لأن حياة المملوك لا تقوم على أساس وحدة الأسرة المعروفة أركانها (الأب ، والأم ، والأولاد) ، بقدر ما قامت على أساس الرق والعبودية ، حيث جُلبوا صغاراً إلى مصر ، وتركوا آباءهم وأمهاتهم وأخواتهم في بلدانهم ، وعاشوا داخل الطباق ، يمرون بالمراحل التى لا بد أن يمر بها أي مملوك جديد ؛ يدخل الطباق حتى يتم تدريبه تدريباً عسكرياً (٥) .. إلا أن المتتبع للألفاظ المملوكية يجد بعض المصطلحات التى وجدت في حياة المماليك والتى تحمل معان ذات معنى اجتماعي شبيه بالأسرة من هذه الألفاظ كلمة الأستاذ (٦) ، وكلمة

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ص٢٩١-٥٣٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٢٨.

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص١٥٤.

(٤) أحمد عبد الرازق ؛ **العلاقات الأسرية** ، ص١٥٥.

(٥) السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص٢٠٧ ، سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص١٢.

(٦) لفظة معربة لأنه ليس في اللغة العربية كلمة أصيلة تجتمع فيها الذال والسين ، وهي معربة عن كلمة أستاذ الفارسية ، وكان هذا اللقب يطلق في العصر المملوكي على التاجر أو السيد الذي يشتري المملوك ويقوم بتربيته . حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ،جـ ١ ، ص ٥٩ ؛ والأستاذ هو الأب . السيد الباز

الآغا[1] والإني[2]، وكلمة خشداش[3]، ويظل المملوك شديد التمسك - بعد خروجه من الطباق - بأستاذه، وفي كثير من الأحيان يحل محل أستاذه، ويرثه في كل ما يملك حتى في جواريه[4]، وكان الأستاذ يفضل الأكل مع مماليكه بدلاً من الأكل مع أبنائه وزوجاته، بل ويغضب غضباً شديداً إذا علم بأن أحد مماليكه أوقد ناراً وصنع طعاماً اشتهاه ولم يأكل عنده[5].

ويمكن القول إن هذه الألفاظ ظهرت لقلة الروابط بين المماليك، وإن الحياة العائلية التي عاشها الأمراء المماليك لا تقوم على أساس العلاقة بين الرجل وزوجاته وأبنائه، بقدر ما كانت تقوم على أساس العلاقة بين الأستاذ ومماليكه وبين المماليك أنفسهم[6].

وليس من السهل دراسة عادات وحياة الأمراء الخاصة بعمق؛ لأن المصادر أغفلت إلى حد كبير دراسة هذه الناحية، غير أنه يمكن الاستنتاج مما كُتب عنهم أن المماليك عامة والأمراء خاصة عاشوا في مصر كطائفة تكاد تكون منفصلة عما حولها ولم يتزوجوا هم ومماليكهم من أهل البلاد المصريين، بل إن زوجاتهم هن من بنات جنسهم المجلوبات عن طريق التجار[7]، فلم يختلطوا بسكان مصر، وظلوا في

العريني؛ **المماليك**، ص ٢١٨.

(١) أصلها أقا وهي كلمة مغولية ومعناها الأخ الكبير، وجمعها أقآن أو أقايات. حسن الباشا؛ **الفنون الإسلامية**، جـ١، ص٣٦. وتطلق على صغار الضباط وأحياناً على كبارهم، وتأتي بمعنى السيد، والآمر، ورئيس الخدم والأتباع. محمد أحمد دهمان؛ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ص١٨.

(٢) جمعها إنيات، أصلها إيناك أو إيناكا، وهي من الكلمات المغولية وتعني الأخ الصغير. حسن الباشا؛ **الفنون الإسلامية**، جـ١، ص٥٦.

(٣) جمعها خشداشة، ومعناها الزميل في الخدمة، وهم الأمراء الذين نشأوا عند سيد واحد فنمت بينهم رابطة الزمالة، وهي معربة من اللفظ الفارسي (خواجا تاش). محمد أحمد دهمان؛ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ص٦٨-٦٩.

(٤) المقريزي، **الخطط**، جـ٣، ص٤٨.

(٥) المقريزي، **الخطط**، جـ١، ص٨٧-٨٨.

(٦) أحمد عبد الرازق؛ **العلاقات الأسرية**، ص١٧٢.

(٧) ابن عبد الظاهر؛ **تشريف الأيام والعصور**، ص٣٦-٣٧؛ علي إبراهيم حسن؛ **تاريخ المماليك البحرية** ص٢٧.

معزل عنهم ، فحافظوا على نقاوة جنسهم [1]، فيتزوج الأمير من بنت أمير مثله ، ويتزوج من بنت السلطان أو أم السلطان ، وكذلك صاهرهم السلاطين ، وتزوجوا من بنات الأمراء ، وزوجوا أولادهم من بناتهم أيضاً ، وما ذلك إلاّ لإبقاء الطبقة المملوكية بصفاتها وخصائصها ، لدرجة أن السلاطين والأمراء تدخلوا في اختيار زوجات مماليكهم ، فزوج السلطان سيف الدين قلاوون مماليكه من جواريه [2]، ورسم السلاطين أمراً للقضاة والشهود بأن لا يعقد أحد منهم قران مملوك من مماليكه إلا بإذنه [3]، وأعتق الأمير بشتاك الناصري ثمانين جارية من جواريه وزوجهن من مماليكه بعدما زينهن باللؤلؤ والزركش[4].

ومن تلك المصاهرات على سبيل المثال زواج السلطان المنصور سيف الدين قلاوون بخوند [5]أسلون بنت الأمير سكناي بن قراجين ، الذي قدم إلى القاهرة في زمن الدولة الظاهرية ، وهي أم الناصر محمد [6] ، وتزوج السلطان الناصر محمد بنت بنت الأمير بكتمر الساقي ، كما اختار ثلاث بنات من بنات بكتمر لثلاثة من أولاده [7].

وصاهر الأمراء السلاطين ، فتزوج الأمير قوصون الساقي الناصري ابنة السلطان الناصر محمد [8]، وتزوج الأمير سيف الدين طقزتمر الحموي [9] ابنة الناصر

---

(1) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٧-٨ ؛ حمدي عبد المنعم حسين ؛ **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك** ،ص١٥٥ .

(2) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٣٢٨.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص٢٣.

(4) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٥٦٠-٥٦١ .

(5) استعمل هذا اللفظ أيضاً للملوك ، واستعمل لفظ خاتون للملكات والأميرات ، على أن لفظ خوندة أطلق على الملكات والأميرات . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، حاشية رقم٨ ، ص٢٣١ ؛ محمد أحمد دهمان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** ، ص٧٠.

(6) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٠٩-٧١٠ ، جـ٢ ، ص٦٨٠ .

(7) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٣٤٥.

(8) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٢٨٣ ؛ ابن إياس ، **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١، ص٤٦٥ .

(9) من مماليك المؤيد إسماعيل صاحب حماة ، وقدمه إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وحظي عنده ،

الناصر محمد أيضاً [1] ، وتزوج الأمير بزلغي [2] من ابنة السلطان بيبرس الجاشنكير [3] ، وكان المنصور لاجين [4] متزوجاً من ابنة السلطان الظاهر بيبرس[5] ، وتزوج ولدا الناصر محمد المنصور - أبو بكر والصالح عماد الدين إسماعيل [6]- ابنتي الأمير طقزتمر الحموي نائب الشام [7] ، وزوج الناصر محمد ولده أحمد [8] من ابنة الأمير

ورقاه حتى ولاه نيابة السلطنة بمصر ، ثم تولى نيابة حماه ، ثم حلب ، ثم دمشق ، واستمر بها حتى تولى السلطنة الكامل شعبان فأحضره إلى مصر وهو مريض فمات بها سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م ، كان عاقلاً عديم الشر ، وهو صاحب الحمام والربع والحكر بالقاهرة. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢، ص١٣٥ ، رقم٢٠٤٣؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٣٦٦-٣٦٧ ، رقم١٢٥٨ .

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٢٩٦؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ.

(٢) بزلغي الصغير ، كان قريب السلطان الناصر محمد لأمه ، قدم مصر سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م ، فترقى إلى أن صار من جملة الأمراء ، ثم تنكر عليه الناصر فسجنه مدة ثلاث عشرة سنة ثم أفرج عنه ، ثم صار لا يدعه في راحة إما في تجريده وإما في اعتقال ، ثم أمّر بعد موت السلطان ، وهو الذي غزا سيس وقتل صاحبها هيثوم في سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م ، ومات بالطاعون سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨١ ، رقم١٢٨٨ .

(٣) بيبرس الجاشنكير المنصوري ، الملك المظفر ، من مماليك المنصور قلاوون ، ترقى في الخدم وعمله جاشنكير ، تولى الحكم سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م ، غير أنه قتل بأمر من السلطان الناصر محمد سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م ، كان صالحاً عابداً عظيم الحرمة . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٥٤ ؛ المقفى الكبير ، جـ ٢ ، ص ٥٣٤-٥٥٥ ، رقم ١٠٠٤ ؛ ابن دقماق ؛ **الجوهر الثمين** ، ص ٣٣٦-٣٤١ .

(٤) هو حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري ، جركسي الأصل ، أصبح نائباً في دمشق ، ثم قبض عليه السلطان الأشرف خليل ، ثم أطلقه ، واستمر نائباً حتى أُختير سلطاناً بعد خلع السلطان كتبغا ، وذلك سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م ، واستمر سلطاناً حتى قتل سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ٢، ص٥٦٦ ، رقم١٩٤٠ ؛ القرماني ؛ **أخبار الدول وآثار الأول** ، جـ ٢ ، ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص١٠١ .

(٦) هو الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، تولى السلطنة لما توجه الناصر أحمد إلى الكرك وأعرض عن المملكة ، ولاه الأمراء السلطنة سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م ، وكان حسن الشكل ، كارهاً للظلم ، مثابراً على فعل المصالح ، واستمر في السلطنة إلى أن مات سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م وعمره عشرين سنة ومدة حكمه ثلاث سنين وثلاثة أشهر . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٢١-٢٢٢ ، رقم٩٦١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١٢٩، رقم٤٥١.

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٥١ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٣٥.

(٨) أحمد بن محمد بن قلاوون ، أحسن إخوته شكلاً ، وكان صاحب بأس وقوة ، تربى في الكرك في عهد والده وكان سيء التدبير جداً كثير اللهو والانهماك في الشرب ، ، ُخلع من السلطنة وقتل بالكرك يوم

سيف الدين طهربغا [1] ، كما زوج ولده يوسف [2] ابنة الأمير جنكلي بن البابا [3] .

ولم تتحرج بعض زوجات السلاطين - بعد وفاة السلطان - من الزواج من أحد الأمراء مماليك زوجها ، فقد تزوجت أم السلطان الصالح إسماعيل والكامل شعبان من الأمير أرغون العلائي [4] بعد وفاة زوجها السلطان الناصر محمد [5]، وتزوجت زوجة السلطان حسن بن الناصر محمد [6] الأمير يلبغا الخاصكي [7] .

الاثنين الثاني والعشرين من صفر سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م ، وأحضر الأمير منجك رأسه إلى القاهرة . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص١٧٣-١٧٤ ، رقم٧٤٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٨٣ ، رقم٢٩٣ ؛ القرماني ؛ **أخبار الدول وآثار الأول** ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣-٢٨٤ .

(١) ويقال طايربغا : قدم إلى مصر بطلب من السلطان محمد وذلك سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م ، فأكرمه الناصر وأمّره طبلخاناه ، وأمر ولده إمرة عشرة ، ثم تأمر طهربغا إمرة مائة سنه ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م ، ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ـ ص١٣٦-١٣٧ ، رقم٢٠٥٠.

(٢) هو جمال الدين يوسف بن محمد بن قلاوون ، دس عليه أخوه الكامل شعبان لما تولى السلطنة من خنقه ليلاً وأشاع أنه أصابه قولنج ومات منه فجأة ، وذلك سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٤ ، ص٢٩٢ ، رقم٥٢٧٩.

(٣) جنكلي بن البابا ، الأمير بدر الدين جنكلي ، من عظماء دولة الناصر محمد بن قلاوون ، كان وجيهاً جواداً كثير الصدقة ، يحب العلماء ، بقي معظماً حتى مات السلطان الناصر محمد توفي سنة٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٣٢١-٣٢٢ ، رقم١٤٦٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٢٥١ ، رقم٨٦٢.

(٤) هو من مماليك السلطان الناصر محمد تنقل إلى أن استقر في رأس نوبة الجمدارية ، تزوج أم السلطان الصالح إسماعيل فلما مات الناصر نفي إلى قوص ، فلما ولي السلطنة إسماعيل صار هو أكبر الأمراء ومدبر المماليك ، ثم أعتقل في عهد الملك المظفر حاجي بالإسكندرية وقتل سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م بالقاهرة ، كان جواداً كثير الأدب ، وهو الذي أنشأ كتاب السبيل على باب البيمارستان لما ولي نظره ، وله خانكاه بالقرافة . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٠٦ ، رقم٨٧٦ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١٠٥.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٧٧-٦٨١.

(٦) ولد سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٢٤م ، تولى السلطنة بعد أخيه المظفر حاجي في رمضان سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ، وخلع منها سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م ، ثم أُعيد لها سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م ، استبد بالملك وتصريف الأمور ، فخلعه الأمراء وقتلوه سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م ، اشتغل بالعلم ، وبنى مدرسته المشهورة . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص٢٢-٢٣ ، رقم١٥٦١.

(٧) هو الأمير الكبير أمره الناصر حسن وقدمه على ألف ، ثم أصبح أمير مجلس ، وكان يلبغا على رأس من قام على أستاذه الناصر حسن حتى قتل ، تنقل في الوظائف على عهد سلاطين الدولة المملوكية ، قتل على يد مماليكه في عهد السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م ، كان شهماً شجاعاً محباً لأهل العلم ، مشاركاً في كثير من المسائل ، متعصباً لمذهب أبي حنيفة ، كان كثير البذل والصدقات . ابن شاهين الظاهري الحنفي ؛ **نيل الأمل** ، جـ ١ ، ق٢، ص ٣٩٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، **الدرر الكامنة** ، جـ٤، ص٢٧٠-٢٧١ ، رقم٥١٩٨ ، ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٨٧ ، جـ١ ، ق٢ ،

وفي بعض الحالات النادرة كان الأمراء يخرجون عن قاعدة الزواج من جنسهم وطبقتهم ، حيث صاهر بعضهم القضاة ورجال العلم ، فقد زوج الأمير ألدمر[1] ولده من بنت قاضي القضاة جلال الدين القزويني[2] ، ومثل هذه المصاهرات لم تغير شيئاً من عزلتهم وترفعهم عن أهل البلاد الأصليين ، فحافظوا على نقاء جنسهم أو بالأحرى حافظوا على الطبقة التي تقربهم وتؤهلهم إلى سدة الحكم ، بغض النظر عن أصولهم العرقية المختلفة ، وما مروا به من رق وعبودية[3] .

ونتج عن تلك العزلة أمراء لم يكونوا يتقنون اللغة العربية إلاّ قليلاً ، فالأمير بشتاك والأمير ألماس لم يتكلما بالعربية[4] ، وكان المماليك يتحدثون فيما بينهم بلغتهم التركية ، على الرغم من تنوع أجناسهم وأصولهم[5] .

أما فيما يتعلق بأبناء الأمراء ، فقد ذكرت المصادر أن أبناء الأمراء ليس لهم أن يرثوا آبائهم الأمراء في مناصبهم ولا في إقطاعاتهم مهما كانت مكانة آبائهم لدى السلاطين ، بل تعود كل أملاك الأمير المتوفى إلى السلطان ، ويحاسب الورثة على قدر حاجتهم[6] .

وجرت العادة في الدولة المملوكية أنه إذا نشأ لأحد الأمراء ولد ، يأمر

ص٥٠-٥١ .

(١) هو أحد الأمراء بالقاهرة في أيام الناصر ، كان أمير جاندار ، حج بالناس فثارت بمنى فتنه قتل فيها هو وولده خليل في يوم عيد النحر سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م ، فغضب السلطان الناصر محمد لمقتله ، فجرد العسكر للأخذ بثأر الأمير . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٣٨ ، رقم١٠٥٠ ؛ المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٢، ص٣٥٥.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني جلال الدين ، ولد سنة ٦٦٦هـ / ١٢٢٨م ، تولى قضاء مصر سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م بعد صرف ابن جماعة وذلك في عهد السلطان الناصر محمد ، غير أن عُزل بسبب أولاده الذين ارتكبوا الكثير من المحرمات ، وعاد إلى قضاء الشام ، ثم مات بعد مدة سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م ، كان جواداً كريماً محسناً إلى الناس . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٤ ، ص ٣-٤ ، رقم ٣٩٨٢ .

(٣) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٧-٨ ؛ علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٧.

(٤) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٩ ، ص١٠٨ .

(٥) أحمد شلبي ؛ **موسوعة الجيش** ، جـ٢ ، ص٢٤١.

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٥٦ ، القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص٦٢.

السلطان بإطلاق الدنانير واللحم والخبز والعليق له ، حتى يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة ، وبعدها ينتقل إلى إمرة عشرة [1] وما يليها من الرتب حسب حظه [2].

ولم يسمح المماليك لأبناء الأمراء الكبار بالانخراط في الجندية ، وإنما اكتفوا بتوليتهم الوظائف الإدارية والكتابية [3] ، إلا أن من أبناء الأمراء من أَنعم عليهم السلاطين بإمرة ، فقد أمّر السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ابن الأمير بكتاش الفخري [4] على الرغم من صغر سنه ؛ لاشتراكه في محاربة الأمير سنقر الأشقر الذي خرج عن الطاعة [5].

وأنعم السلطان الناصر محمد على ابن الأمير سلار [6] بإمرة عشرة [7]، وأمّر اثنان اثنان من أبناء الأمير سيف الدين بهادر آص [8] ، وأمّر ابن الأمير منكلي بغا الفخري

---

(١) إمرة عشرة من المراتب العسكرية في الدولة المملوكية ، وهي في المرتبة الثالثة بعد أمير مائة وأمير طبلخاناه . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص١٥ ؛ انظر الفصل الثاني المبحث الأول .

(٢) المقريزي ، **الخطط** ، جـ٣ ، ص٥٣ ، القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص٥١ .

(٣) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٧ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص٢٣.

(٤) أمير سلاح وكان من أكابر الأمراء المنصورية ، خرج في عدة معارك ضد الأعداء وانتصر فيها ، ثم مرض واستمر في مرضه حتى مات سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م ، وعمره ٨٠سنة . المقريزي ؛ **المقفى الكبير**، جـ١ ، ص ٤٥٤-٤٥٧ ، رقم ٩٣٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨٣ ، رقم١٣٠٢ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٦٧٠ .

(٦) كان من مماليك الصالح علي بن قلاوون ، ثم صار من خواص أبيه ، ثم من خواص الأشرف ، وناب في في الملك عن الناصر واستمر في ذلك فوق العشر سنين ، ولما تولى الملك لاجين أكرمه واحترمه ، وبعد مقتل لاجين قام بتدبير المملكة ، ولما عاد الناصر محمد إلى الحكم في المرة الثالثة سجن الأمير سلار ، وظل في سجنه حتى مات جوعاً سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م ، وقد كان عاقلاً عارفاً ، اقترح نوعاً من الملابس لازالت تعرف باسمه الملابس السلارية ، وكان له ولد اسمه ناصر ، وقد أمره الناصر بإمره عشرة ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٠٦-١٠٧ ، رقم١٩١٤ .

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٧٥.

(٨) كان هو القائم بأمر الناصر محمد لما كان في الكرك ، توفى سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م ، كان شجاعاً مقداماً مهاباً كثير الصدقة . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٩٣ رقم ١٣٥٨؛ المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٣٢٦.

[1] ، وأمر ثلاثة من أبناء الأمير أيدغمش [2] ، وأنعم السلطان زين الدين حاجي بن الناصر محمد [3] على ابن الأمير تنكز [4] بإمرة طبلخاناه [5] ، وأنعم على أخيه بإمرة عشرة [6] ، وعلى ابن الأمير بكتمر الحسامي [7] بإمرة عشرة وعمره يومئذ ثلاث عشر سنة [8] ، وأنعم السلطان الكامل سيف الدين شعبان على ابن الأمير سيف الدين طشتمر البدري الساقي بتقدمة ألف [9] ، وكذلك ولي الأمير

---

(١) رقاه الناصر محمد إلى أن صيره أحد الأمراء بدمشق سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م ، وكان حسن الشكل فيه خير ومروءة وعصبية ، ثم ناب بطرابلس ، ثم عظمت منزلته في أيام الناصر حسن الأولى وصار من أكبر أمراء المشورة بمصر ، ثم أمسك في دولة الصالح واعتقل في رجب سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م ، إلى أن مات في جمادي الأولى سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٤ ، ص٢٢٤؛ رقم ٤٩٧٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ٢ ، ص٧٤٥ ، رقم٢٥٤٣.

(٢) هو من مماليك قلبان الطباخي ، تقدم عند الناصر محمد وأمره بعد مجيئه من الكرك ، استمر إلى أن مات الناصر ، حدثت له أمور كثيرة مع الأمير قوصون حتى تمكن من القبض عليه ، تنقل في الخدم إلى أن عمل أمير أخور ، استمر على ذلك حتى مات سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م ، وكان كثير العطاء جواداً ، غير أنه لم يكن يمتثل لأوامر السلطان . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٥٠-٢٥١ ، رقم١١٢١.

(٣) هو زين الدين حاجي بن محمد بن قلاوون ، ولد سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م ، ووالده في الحجاز ، تولى السلطنة بعد عزل الأمراء لأخيه الملك الكامل شعبان وذلك سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م ، ولكنه كان محباً للهو والنساء فخلعه الأمراء وذلك سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ، ودام حكمه سنة وأربعة أشهر . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص٣-٤ رقم١٤٧٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٢٥٧ رقم٨٧٧ .

(٤) هو من مماليك الأمير حسام الدين لاجين ، ثم أصبح من خاصكية السلطان الناصر محمد ، ظهرت مكانته في سلطنة الناصر محمد الثانية ، حيث ولاه نيابة الشام سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م ، تدرج الأمير تنكز في المناصب ، غير أن نهايته كانت القتل على يد سيده الناصر الذي أمر بخنقه بعد إشاعة وصلت إليه وذلك سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٣٠٨-٣١١ ، رقم١٤٢٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ٤ ، ص١٥٦-١٦٠ ، رقم٧٩٧.

(٥) من المراتب العسكرية في الدولة المملوكية ، وهي في المرتبة الثانية بعد إمرة مائة ، ويقال لمن يتولاها أمراء الأربعين ، والطبلخاناة ، لفظة فارسية بمعنى بيت الطبل . القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص١٥ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ١ ، ص٣٢١ ، انظر الفصل الثاني المبحث الأول .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٧١٧.

(٧) كان حاجباً بدمشق ، ولي ثغر الإسكندرية سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م ، ومات بها في شهر رمضان سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨٧ ، رقم١٣١٠.

(٨) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٥ ، ق٢ ، ص٣١٤.

(٩) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٨٤ ، مقدم الألف ، يكون أمير مائة ومقدماً على ألف فارس ، ، وهي أولى المراتب العسكرية في الدولة المملوكية . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص١٤ ؛ انظر الفصل الثاني المبحث الأول .

علي بن قراسنقر [1] إمرة طبلخاناة، ثم ولاه تقدمة ألف [2].

أما أبناء الأمراء الذين توفوا فكانوا يعطون إمرة خمسة [3]، وربما أنعم عليهم السلاطين بإمرة عشرة تقديراً لآبائهم [4].

ومن النادر أن يترك إقطاع الأمير المتوفى لأولاده من بعده، فقد تُرك إقطاع الأمير بكتاش الفخري لأولاده وذلك بعد أن طلب ولده من السلطان الناصر محمد أن يخرج إقطاع أبيه، فوافق السلطان على ذلك لتدخل الأمير سلار والأمير بيبرس الجاشنكير في الأمر، وكتب له مسموحاً [5] بذلك [6].

ومن السلاطين من يرفض إعطاء أبناء الأمراء اقطاعاً في الحلقة، مهما بلغت مكانة ذلك الأمير عند السلطان، فقد رفض السلطان المنصور سيف الدين قلاوون طلب كل من الأميرين طرنطاي [7] وكتبغا عندما سألاه الإنعام على ولديهما بإقطاعين في الحلقة، فقال: «والله لو رأيتهما في مصاف القتال يضربان بالسيف، أو كانا في زحف قدامي أستقبح أن أعطي لهما أخبازاً في الحلقة، خشية أن يقال أعطى

---

(١) ولد بالقاهرة ونشأ بها، ثم أخرج من القاهرة بعد وفاة أبيه إلى دمشق أمير طبلخاناه، ترقى إلى أن صار صار من جملة أمراء الألوف بدمشق، وفيه ودّ وتواضع توفي سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣، ص٥٧، رقم٢٨٤٧؛ ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**، جـ١، ص٤٦٨، رقم١٢١.

(٢) ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣، ص٥٧.

(٣) إمرة خمسة، هي أقل الرتب العسكرية في الدولة المملوكية، وهي في المرتبة الرابعة، وهم كأكابر الأجناد. القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ٤، ص١٥؛ أنظر الفصل الثاني المبحث الأول.

(٤) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق٢، ص٣١٤؛ القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ٤، ص١٥.

(٥) المسموح: لفظ وجد في العصر المملوكي، جرى فيه تعيين مبلغ من المال من قبل السلطان لأمير من الأمراء المقطعين فوق إقطاعهم، وهو أيضاً ما يسمح به السلطان لورثة أحد أمرائه بعد وفاته. المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق١، ص١٩، حاشية رقم٥.

(٦) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق١، ص١٨-١٩-٢٠.

(٧) من مماليك المنصور قلاوون، رباه صغيراً وترقى في خدمته، فلما تقلد المنصور مصر جعله نائباً للسلطنة بعد الأفرم الصالحي، وهو أول من سكن دار النيابة، قتله الأشرف خليل لما كان يكنه له من كره سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، كان خيراً ديناً كثير البر والصدقات. المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص٧٥٧؛ ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ١، ق١، ص٣٦٥-٣٦٦.

الصبيان الأخباز»[1].

وقد وليّ أبناء الأمراء على بعض المدن، منهم علي بن أمير حاجب[2]، إذ كان أبوه من الأمراء الظاهرية، فقد أقره السلطان الناصر محمد ولاية القاهرة، فباشرها مدة، ثم أعطي بعد ذلك إمرة عشرة[3].

ومن أبناء الأمراء من أوكل لهم حفظ القلعة أثناء غياب الجيش، فقد أوكل إلى عمر ابن أرغون النائب[4] حفظ قلعة الجبل أثناء خروج الجيش لقتال الأمير يلبغا وأعطي تقدمة ألف[5].

وفي الغالب أن عدد مماليك أي أمير من حيث الكثرة والقلة يتوقف على حالة الأمراء المادية ومكانتهم الاجتماعية، كما يقتدي بعض الأمراء بسلاطينهم في شرائهم للمماليك، ويدفعوا المبالغ الضخمة لشرائهم، فالأمير بكتاش الفخري كانت له رغبة كبيرة في شراء المماليك والخيول بأغلى القيم، وقد بلغت مماليكه الغاية في الحشمة، وكان إقطاع كل منهم في السنة عشرين ألف درهم فضة، ولكل واحد من جنده خبز مبلغه في السنة عشرة آلاف درهم، عدا كلفهم من الشعير واللحم[6].

وكان عدد مماليك الأمير أيدغمش سبعمائه مملوك، وكثيراً ما كان يفتخر بهم ويقول: «إيش أُبالي بالأمراء وغيرهم، وعندي سبعمائه مملوك ألقى بهم كل من في

---

(١) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص٥٣-٥٤.

(٢) كان حسن التنشئة، كانت له عناية قوية بجمع المدائح النبوية، فوجد في تركته لما مات خمسة وتسعون مجلداً كلها مدائح، مات سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣، ص١٨، رقم٢٦٩٣.

(٣) ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣، ص١٨.

(٤) ولد بالقاهرة، سمع الكثير من المحدثين وحدّث، وتولى نيابة الكرك وصفد وولى تقدمة ألف، مات في ذي الحجة سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣، ص٩١، رقم٢٩٦٧.

(٥) ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣، ص٩١.

(٦) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٢، ص٣٤٥-٣٤٦.

الأرض»[1] ، وبلغت مماليك الأمير قراسنقر[2] ستمائة مملوك ، ما منهم إلا من له نعمة ظاهرة وسعادة وافرة[3] ، وكانت مماليك الأمير يلبغا العمري تزيد عن ألف وخمسمائة مملوك[4].

وكثيراً ما كان يخشى السلاطين من ازدياد عدد مماليك الأمراء وخشداشياتهم ، لأن في ذلك تهديداً لمركزه ، فالسلطان عز الدين أيبك كان يخشى الأمير فارس الدين أقطاي ، الذي ازدادت مكانته في البلاط المملوكي ، بل في الدولة كلها ، وذلك بسبب كثرة خشداشيته ، حيث ذكرت المصادر المملوكية في حوادث سنة (٦٥١هـ/ ١٢٥٣م) ، أن الأمير فارس الدين أقطاي زعيم المماليك البحرية - أقوى الفئات المملوكية في تلك الفترة - بلغت مكانته من القوة أنه لم يجرؤ أحد من الأمراء أن يفتح كتاباً ، ولا يتكلم بشيء ، ولا يبرم أمراً إلا بحضوره لكثرة خشداشيته ، وهذا الأمر جعل السلطان عز الدين أيبك يدبر مؤامرة للقضاء عليه ، وتم له ذلك سنة (٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) ، فما كان من أتباعه إلا أن قاموا بتحرك تحرج منه السلطان ، غير أنه تمكن من إبعادهم عن مصر ، فتفرقوا في الشام وفي آسيا الصغرى ، ولم يمنعهم ذلك من إحداث الكثير من المشكلات له ، بل إنهم ساعدوا على اغتياله[5].

الخشداشية حرصوا على تولية أحد زملائهم السلطنة ، وفي حالة نجاحهم لا يترددون في مساندة السلطان الجديد الذي كان إذا اطمأن إلى وقوف خشداشيته بجانبه يعمل على رفعهم إلى أعلى الرتب والمناصب ، ويوليهم الوظائف الرئيسية في

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٥٨٨.

(٢) هو شمس الدين الجوكندار المنصوري ، اشتراه السلطان المنصور قلاوون وترقى في خدمته إلى أن ولي نيابة السلطنة بحلب ، كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة وكرم ، توفي سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م بعد مرض ألم به . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص١٤٨ ، رقم٣٢٥٨.

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٣٦١.

(٤) ابن تغري بردي ، **المنهل الصافي** ، جـ٢ ، ص٤٤٢.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٨٩-٣٩٣ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص١٠-١٢.

الدولة[1].

والسلطان الجديد عمل على إزاحة الأمراء أصحاب السلطة والنفوذ ، حتى لا يكونوا حجر عثرة في طريقه وطريق معاونيه[2] ، فالسلطان الظاهر بيبرس البندقداري عمل على أن يولى خشداشيته بعض المناصب ، ويغفر لهم زلاتهم ، مثلما فعل مع الأمير سنجر الحلبي - نائب دمشق - الذي أعلن العصيان والاستقلال ببلاد الشام ، إلا أن السلطان بيبرس عمل على إصلاح ما كان بينهما ، حتى لا يقف هذا الأمير أمام طموحاته في ضم المزيد من البلدان إلى حوزة الدولة المملوكية[3].

ومن الأمراء من ولّى مماليكه نيابة بعض البلدان ، ومن هؤلاء على سبيل المثال الأمير يلبغا العمري ، حيث أصبح مماليكه نواباً للبلاد ، ومقدمي ألوف ، إذ استكثر هذا الأمير من المماليك والجلبان ، وبالغ في الإحسان إليهم ، وألبسهم الطرز الذهبية العريضة ، وكان يركب معه منهم نحو ألف نفس ، إذا وقعت الشمس عليهم تكاد من شدة لمعان ملابسهم أن تخطف الأبصار[4] .

غير أنهم – أي مماليكه – قاموا بقتله ، إذ تذكر المصادر أن الأمير يلبغا كان يسيء معاملة من يخطئ منهم ، فعندما أمر السلطان الأشرف شعبان بسجنه ثاروا عليه ، وأخرجوه من السجن عنوة وأذاقوه ألواناً من العذاب ، بل قاموا بقطع رأسه عن جسده ومثلوا به أشد التمثيل ، وقد عرف الأمير يلبغا بأنه سفاك للدماء[5] .

والتاريخ المملوكي مليء بالأحداث التى تظهر بوضوح مدى الروابط الوثيقة بين المماليك بعضهم ببعض ، ومدى التضامن المتبادل الذي كان يجمعهم تحت رئاسة واحدة ، هؤلاء المماليك والذين عرفوا بالخشداشية ، حرصوا على الوفاء لبعضهم ، بل وإنقاذ من يقع منهم في مشكلة ما ، حيث ظهر هذا الوفاء جلياً عندما

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٣٨٨ ؛ حمدي عبد المنعم حسين ؛ **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، ص١٥٦.

(٢) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٣٨٨.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٤٤٠ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص٤٥.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣، ق١، ص١٣٠-١٣١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١١ ، ص ٣٦-٤٠.

(٥) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٤ ، ص٢٧٠-٢٧١.

أمر السلطان الأشرف خليل بالقبض على الأمير حسام الدين لاجين ؛ لأنه حرّض الأمراء على الخروج على السلطان ، فما كان من خشداشيته إلاّ أن شفعوا له عند السلطان ، فبادر بإطلاقه تكريماً لخشداشيته[1].

وحاول خشداشية السلطانة شجرة الدر الدفاع عنها عندما قدم مماليك السلطان عز الدين أيبك للأخذ بثأر سيدهم الذي قتل بأمرفها ، ولكنهم فشلوا في ذلك [2].

وكما أظهر الخشداشية الحب والولاء لبعضهم ، أظهروا البغض والكراهية لكل من ليس من إخوتهم وزملائهم ، فالأمير طقزتمر الحموي اعتبر نفسه غريباً في بيت السلطان الناصر محمد أثناء إمارته ، وكذلك الأمير بكتمر الساقي اعتبر نفسه غريباً في قصر السلطان الناصر محمد ، فكان وحيداً لأن المماليك الخاصكية اتحدوا ضده على الرغم من مكانته عند السلطان [3].

وبعض الخشداشية أقدموا على قتل أساتذتهم ، وهذا ما فعله خشداشية السلطان لاجين الذي قدم مملوكه منكوتمر[4] وولاه نيابة السلطنة ، واستبد هذا المملوك بالأمراء وخشداشية سيده ، بل حرّض السلطان عليهم ، فأخذ السلطان يقتل ويعزل من شاء منهم ليرضي مملوكه ، فحفر هذا المملوك قبر سيده بيده ، حيث أقدم خشداشيته على قتله بعد قتل سيده سنة ٦٩٨هـ -١٢٩٩م [5].

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٣٧ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٩٣.

(٢) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص١٣-١٤ ؛ ابن إياس ، **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص١٩١-١٩٢.

(٣) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٩ ، ص٣٠٠.

(٤) هو سيف الدين منكوتمر ، كان مملوكاً للسلطان حسام الدين لاجين فأنعم عليه في أول سلطنته عام ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م بإمره مائة وتقدمه ألف ، فصار أعظم الأمراء لديه ، ثم جعله نائباً للسلطنة مما أثار حقد الأمراء ، لأن السلطان قربه إليه وهمَّ بجعله ولياً لعهده ، وقد كان غشوماً ظالماً . ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص ٨٧-٨٨ ؛ **الدليل الشافي** ؛ جـ٢ ، ص ٧٤٦ ، رقم ٢٥٤٦ ؛ العيني ؛ **عقد الجمان** ، جـ٣ ، ص ٤٣٥-٤٣٦ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٥٧-٨٥٩ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص١٠٠-١٠٣ ؛ ابن إياس ؛ بدائع الزهور ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٣٩٧-٤٠٠ .

الفَصْلُ الثَّانِي

وظائف الأمراء وأوضاعهم الاقتصادية

المبحث الأول

وظائف الأمراء وألقابهم

وطرق تعيينهم وعزلهم

العصـــر المملـوكي مـن العصـور التـي أسـهمت وبـدور فعـال في الحضـارة الإسلامية في العصور الوسطى ، وقد شمل هذا الـدور كافـة جوانبهـا الحضـارية ، فالوظائف والتنويع فيها من أهـم الجوانـب الحضـارية التـي أضـفت عـلى الـبلاط المملوكي نوعاً من التعقيد ، إضافة إلى اشتمالها على مختلف مظاهر التفخيم والتعظيم التي عاشها سلاطين وأمراء الدولة المملوكة في تلك الحقبة من التاريخ .

الدولة المملوكية عندما قامت في مصر استفادت من نظم دول سابقة لها ، مثـل الدولة العبيدية ، والدولة الأيوبية ، وكذلك دولة المغول [١] ، غـير أن تلـك الـنظم لم تلبِ تطلعات هذه الدولة التي كانت آخذةً وبشكل سريع في طور التوسع ومواكبـة التطور الحضاري ، فعملت على إدخال بعض التعديلات والتنظيمات التي تتناسـب مع أوضاع ذلك العصر وظروف هذه الدولة [٢] ، وقد وصف القلقشـندي في كتابـه صبح الأعشى مدى استفادة الدولـة المملوكيـة مـن نظـم مـا سـبقها مـن الـدول ، والتطور الذي وصلت إليه بفضل مـا أدخلتـه مـن تعـديلات وتنظـيمات ، يقـول : «فأخذت في الزيادة في تحسين الترتيب وتنضيد الملك وقيام أُبهته ، ونقلت عـن كـل مملكة أحسن ما فيها ، فسلكت سبيله ونسجت على منوالـه حتـى تهـذبت وترتبـت أحسن ترتيب ، وفاقت سائر الممالك ، وفخر ملكها على سائر الملوك» . [٣]

سلاطين الدولة المملوكية حرصوا على إدخال كل ماله أهمية في تطوير الدولـة وإدارتها ، فأحدثوا بعض الوظائف الجديدة التي لم تعرفها مصـر من قبل ، وأدخلوا عليها بعض النظم والتعديلات كما فعل السلطان الظاهر بيبرس والسلطان المنصور

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٦٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٢٣ .

(٢) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٥٠ .

(٣) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٦ .

سيف الدين قلاوون .[1]

مصر عاشت نهضة حضارية في العصر الفاطمي ثم الأيوبي ، إلا أن البلاط المملوكي لم يكن له نظير ، إذ فاق كثيراً مَنْ سبقه من قبل[2]، وخاصة بعد أن أصبحت مصر مركزاً للخلافة العباسية التي أسقطها المغول في بغداد سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) ، فنقلها السلطان الظاهر بيبرس إلى مصر ، لذا اهتم المماليك ببلاطهم في القاهرة ، وأدخلوا عليه كل مظاهر الترف والبذخ ، وكل ما يليق بمركز بلادهم التي بسطت نفوذها على الشام والعراق والجزيرة العربية[3] .

ولأن الأمراء شكلوا أرفع الفئات العسكرية في العصر المملوكي فقد اتفق المؤرخون على تقسيمهم من حيث رتبهم العسكرية والقيادية إلى أربع طبقات ، وأشاروا كذلك إلى أهم الوظائف الإدارية التابعة لكل مرتبة ، وحددوا مقادير الإقطاعات المخصصة لكل طبقة[4] ، وهذه المراتب هي :

١ - أمراء المئين مقدموا الألوف : وهي أعلى طبقات الأمراء في الجيش المملوكي ، وله أن يتكفل بالإشراف على مائة فارس ، وله التقدمة على ألف جندي ، أي يتولى قيادتهم أثناء المعارك ، لهذا سمي أمير مائة مقدم ألف[5] ، وقد يضاف إلى المائة عشرة أو عشرون حتى يصلون إلى ثلاثمائة فارس[6] . وعدد أمراء المئين قد يزيد وقد ينقص حسب الحالة الاقتصادية للدولة ، فقد رتب السلطان الناصر محمد بن قلاوون عدد أمراء المئين في دولته حسب مساحة أراضي الإقطاع بعد أن راك الأرض[7] سنة (٧١٥هـ / ١٣١٥م) فكان عددهم أربعة وعشرين

---

(١) انظر الوظائف التي أحدثها هذين السلطانين في ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٢٣ .

(٢) ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ٢٦ .

(٣) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ ٢ ، ص ١١ .

(٤) انظر المبحث الثاني من هذا الفصل .

(٥) ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٣ .

(٦) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٥١ .

(٧) فعله راك ، ومعناه في الأصل : مسح الأرض الزراعية في بلد من البلاد ، وقد اصطلح على استعمالها في في مصطلح الإدارة المالية في مصر والشام في العصور الوسطى للدلالة على عملية قياس الأرض وحصرها في سجلات ، وتثمينها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ، لتقدير درجة الخراج المستحق عليها لبيت المال ، وهذه الكلمة قبطية أصلها (روش) ومعناها الحبل ، ويقابل الروك في الوقت الحاضر عمليتا فك الزمام وتعديل الضرائب . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣، ص ٨٤١-

أميراً ، ثم نقص عددهم في أواخر عهد الأشرف شعبان بن حسين [1] ، ولم تبين المصادر مقدار هذا النقص ، وكان أمراء المئين يقومون بقيادة الجيوش وإعداد الفرسان وتدريبهم على القتال ، وإلى جانب ذلك يتولى بعضهم أهم الوظائف في الدولة ،ومنهم من ليس له وظيفة محددة ، وإنما يكلفون بأمر سلطاني بالقيام بوظيفة معينة مثل قيادة الحملات ، أو الخروج في السفارات ، أو القيام ببعض الأعمال الإدارية ، مثل كشف الجسور والمساحة وقبض الغلال . [2]

٢ - أمراء الطبلخانات [3] : وهي الطبقة الثانية من طبقات الأمراء في عصر المماليك ، وبلغ عددهم في بعض الفترات أربعون أميراً ، يخدم كل واحد منهم أربعون فارساً [4] ، ويقود في الحرب سبعين فارساً أو ثمانين [5] ، وقد يصل عدد من يقودهم في الحرب مائة فارس [6] ، ولا تكون الطبلخاناه لأقل من أربعين [7] ، ، وكان للأمراء الطبلخاناة دور حربي وإداري ، ففي الحرب يتولون قيادة معظم جنود الحلقة بالإضافة إلى فرسانهم ، أما من حيث الإدارة فتسند

---

٨٤٢ ؛ إبراهيم علي الطرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص ٩٦ ؛ علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٤٣٤ ، حاشية رقم (١) .

(١) الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، تولى الحكم سنة (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) وعمره عشر سنين ، وقام الأمير يلبغا بتدبير شؤونه ، ولم يسيطر على أمور دولته إلا بعد مقتل الأمير يلبغا سنة (٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) ، غير أنه قتل بعد مؤامرة دبرها الأمراء بعد عودته من الحج سنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م) ، وكان الأشرف خير ملوك زمانه. ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١١٣ ، رقم ١٩٣٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١، ص ٣٤٣-٣٤٤ ، رقم ١١٨٣ ؛ أبي حامد محب الدين ؛ **دول الإسلام الشريفة** ، ص ٧٣-٧٧ .

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٨ ، ص ٢٣٠ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١، ص ٢٥٤ .

(٣) لفظة فارسية ، معناها بيت الطبل ، وهو أحد المخازن الخاصة بالسلطان ، تحفظ فيه الطبول والأبواق وما يتعلق بها من الآلات ، تستخدم اللفظة أيضاً للدلالة على فرقة الموسيقى الخاصة بالسلطان ، والتي تقوم بدق النوبة ليلاً ونهاراً أثناء إقامة السلطان أو سفره أو حربه . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤، ص ١٣ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٣١ .

(٤) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٥ .

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٥ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٦) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ .

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٥ .

إليهم وظائف إدارية كبرى ذات صفة عسكرية في القصر السلطاني وخارجه [1] فعدد أمراء هذه الطبقة غير محدد دائماً ، فقد يزيد أو ينقص ، ولقد علل القلقشندي سبب ذلك بقوله : « تتفاوت بالزيادة والنقصان لأنه مهما فرقت إمرة الطبلخاناة فجعلت إمرتي عشرين أو أربع عشرات أو ضم بعض العشرات ونحوها إلى بعض جعلت طبلخاناة» [2] .

٣ - أمراء العشرات [3] : وكان عددهم قديماً خمسين أميراً ، يخدم كل واحد منهم عشرة فرسان [4] ، وربما كان فيهم من له عشرون فارساً ، ولا يعد إلا في أمراء العشرات [5] ، وأمير العشرة يقود في الحرب عدداً من جنود الحلقة [6] قد يصل يصل إلى أكثر من عدد فرسانه ، ولا ضابط لعدد أمراء العشرات ، فربما زاد عددهم أو نقص [7] ، ففي عهد السلطان الناصر محمد كان عدد أمراء العشرات مائتين، منهم ثلاثون خاصكياً [8] في خدمة السلطان ، ومائة

---

(١) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٣٢-٢٣٣ ؛ انظر الفصل الثالث المبحث الأول والثاني.

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٥ .

(٣) من ضمن الرتب العسكرية أيضاً أمراء العشرينات ، وعددهم عشرون أميراً ، ويخدم كل واحد منهم عشرون مملوكاً . الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٣ ؛ الصوفي ؛ **كتاب الصفوة** ، ص ١٦٠ . غير أن القلقشندي لم يذكرها ضمن الرتب العسكرية التي عددها في كتابه **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٤-١٥ .

(٤) الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٣ ؛ الصوفي ؛ **كتاب الصفوة** ، ص ١٦٠ .

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٥ ؛ المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥٢ ، مطبعة بولاق .

(٦) جنود الحلقة : هم محترفو الجندية من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم ، وهم أقرب فئات المماليك المماليك إلى الجيوش النظامية في العصور الحديثة ، مرتباتهم من ديوان الجيش . سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** ، ص ٣٩٥ .

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٥ .

(٨) الخاصكية : لفظ مملوكي مفردها الخاصكي ، وهم من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمة السلطان صغاراً وجعلهم في حرسه الخاص ، وجعل هذا الاسم خاصاً بهم لأنهم يحضرون عند السلطان في أوقات خلواته وفراغه دون إذن ، وينالون من ذلك مالاً يناله أكابر المتقدمين ، ويحضرون في طرفي كل نهار في خدمة الإصطبل والقصر ، ويركبون مركوب السلطان ليلاً ونهاراً ، ولا يتخلفون في قرب ولا بعد ، ويتميزون من غيرهم في الخدمة بحملهم سيوفهم ولباسهم المطرز المزركش ،

وسبعون خارج الحضـرة السلطانية ، ومماليكهم ألفان [1].

٤ - أمراء الخمسات : وهي أقل مراتب الأمراء العسكرية في العصـــر المملـوكي ، وعددهم قليل جداً وخاصة بالـديار المصــرية ، وغـالبهم مـن أولاد الأمـراء المتوفين ، وكانوا يعطون هذه الإمرة رعاية لسلفهم ، وهم كـأكبر الأجنـاد [2] ، وكان عددهم ثلاثين أميراً ، يخـدم كـل أمـير خمسـة مماليـك [3] ، وكـان أمـراء الخمسات يرقّون إلى أمراء عشرات ، أو أعلى مـن ذلـك ، كـل حسـب همتـه، وربما يصل إلى أمير مائة ومقدم ألف ، وربما ولي الحكم . [4]

وظائف الأمراء في عصـر الدولـة المملوكيـة قسـمت إلى مجموعـات ، وذلـك حسب أهميتها وقيمتها ، فأمراء المئين مقدمو الألوف يشـغلون وظـائف منهـا نيابـة السلطنة ، الأتابكية ، أمير سلاح ، أمير مجلس [5] ، دوادار كبير [6] ، أمير أخور كبـير [1]

ويتوجهون في المهمات الشريفة ، ويتأنقون في مركوبهم وملبوسهم ، وخصص لهـم السـلاطين الأرزاق الواسعة والعطايا الجزيلة . الظاهري ؛ **زبـدة كشـف الممالـك** ، ص ١١٥-١١٦ ؛ محمـد أحمـد دهمـان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** ، ص ٦٦ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكـي في مصروالشام** ، ص ٤١٧-٤١٨ .

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥٦-٥٧ ، مطبعة بولاق ؛ حسن الباشـا ؛ **الفنـون الإسـلامية** ، جــ ١ ، ص ٢٣٩ .

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ١ ، ص ١٥ .

(٣) الصوفي ؛ **كتاب الصفوة** ، ص ١٦١ .

(٤) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

(٥) أمير مجلس : إحدى وظائف البلاط العسكري التي عرفت في عصـر الأيوبيين ، وقد انتقلت إليهم مـن السلاجقة ، والأتابكة ، وانتقلت من الدولة الأيوبية إلى دولة المماليك في مصر والشام ، وهـي مـن أهـم وظائف البلاط ، وقد رتبها القلقشندي في الوظيفة الرابعة مـن وظـائف الأمـراء ، وجعلهـا الظـاهري الوظيفة الثالثة ، ويتولى أمير المجلس مجلس السلطان أو الأمير ، وله التحدث مـع الأطبـاء والكحـالين والجراحين والمجبرين ومن شاكلهم ، وقد عرفت هذه الوظيفة في الدولة الأيوبيـة ، وانتقلـت منهـا إلى الدولة المملوكية ، وهي أكبر قدراً من أمير سلاح . ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٢٣؛ القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤، ص ١٨ ، جـ ٥ ، ص ٤٥٥ ؛ حسـن الباشـا ؛ **الفنـون الإسـلامية** ، جـ١، ص ٢٥٩-٢٦٠ .

(٦) دوار كبير : هو كبير الدوادارية ، ويقال له أمير دوادار أو أمير دوادار كبير ، وهـي تتـألف مـن كلمتـين (دواة) العربية وهي ما يكتب منه (ودار) الفارسية بمعنى ممسك ، والمعنى الكلي ممسك الدواة أو الموكل

أستادار[٢]، شاد الشرابخاناة[٣]، رأس نوبة النوب [٤]، الجاشنكير[٥]، حاجب الحجاب[٦]

بالدواة الخاصة بالسلطان أو الأمير ، وهـي معروفـة في العصـر العبـاسي ، وقـد تطـورت في العصـر المملوكي تطوراً تدريجياً وزادت أهميتها ، وتنظم اختصاصها . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٩ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٥١٩-٥٢٠ .

(١) أمير أخور كبير : اسم مركب من لفظة (أمير) العربية ، ولفظة (أخور) الفارسية ، ومعناها : المعلف أي القائم على أمر الدواب من خيل وبغال وإبـل وغيرهـا مـن الإصـطبلات السـلطانية ، ثـم انتقلـت إلى الوظائف العسكرية الكبرى بقصر السلطان المملوكي . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤، ص ١٨ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ١٧٤-١٧٥ .

(٢) أستادار : الوظيفة العاشرة بين الوظائف العسكرية الكبرى بقصـر السـلطان ، يتـولى صـاحبها شـؤون بيوت السلطان كلها من المطبخ والشراب خاناة والحاشية والغلمان ، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى ، وما يجري مجرى ذلك من المماليك وغـيرهم . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٠ ؛ ابن فضل الله العمري ؛ **التعريف بالمصطلح الشـريف** ، ص ١٠٤، حاشية رقم (١) ؛ المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، مطبعة بولاق .

(٣) شاد الشرابخاناة : الشد تعني التفتيش (المفتش) الشرابخاناة : هو بيت الشراب ، وهي الوظيفـة الثالثـة عشرة بين الوظائف العسكرية الكبرى بقصـر السلطان ، وموضـوعها التحـدث في أمـر الشــرابخاناة السلطانية وما عمل إليها من السكر والمشروب والفواكه وغير ذلـك . القلقشـندي ؛ **صـبح الأعشـى** ، جـ٤ ، ص ١٠-٢١ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٦١٤ .

(٤) رأس نوبة النوب : الوظيفة الثالثة بين الوظائف العسكرية التي يشغلها عسكريون بحضرة السلطان في العصر المملوكي ، والمقصود بالرأس (الأعلى) ونوبة النوب أي المرة بعد الأخرى ، وموضوعها الحكـم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وصاحبها يتحدث على مماليك السلطان أو الأمـير ، وينفـذ أمره فيهم . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٨ ، جـ ٥ ، ص ٤٥٥ ؛ حسن الباشـا ؛ **الفنـون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٥٤٥-٥٤٦ .

(٥) الجاشنكير : الوظيفة الحادية عشرة بين الوظائف بحضرة السلطان ، وهي كلمة فارسية تعنـي الموظـف الذي يذوق المأكول والمشروب قبـل السـلطان أو الأمـير خوفـاً أن يـدس فيـه سـمُ ونحـوه ، فيكـون لصاحبها التحدث في أمر السماط مع الأستادار ، ويقف معه على السماط أثناء جلـوس السـلطان عليـه ويكون الجاشنكير من أمراء المائة ومقدمي الألوف ، ويعاونه عدد من الجاشنكيرات الأقـل منـه رتبـة ؛ القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢١ ، جـ ٥ ، ص ٤٦٠ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنـون الإسـلامية** ، جـ ١ ، ص ٣٤٤-٣٤٥ .

(٦) حاجب الحجاب : الوظيفة الثامنة بين الوظائف العسكرية بحضرة السلطان ، ويعلق على كبير الحجبـة حاجب الحجاب ، بلغت هذه الوظيفة مكانة جليلة في عهد الدولة المملوكية ، وكانت مهمـة الحجـاب حجب السلطان عن الرعية ، ولا يدخل عليه إلا من يريد السلطان رؤيته ، ثم أصبح الحاجـب يركـب أمام السلطان في المواكب السلطانية ويبلغه حاجـات الجنـد ، ويحكـم بـين الأمـراء والجنـد في المسـائل

أمير جاندار [1] ، أمير خازندار كبير ، أمير الحاج الشريف [2] .

والوظائف التي شغلها أمراء الطبلخاناة هي من الرتبة الثانية ، مثل : شاد الشرانجانا ثاني ، داوادار ثاني ، أمير أخور ثاني ، رأس نوبة ثاني ، الحاجب الثاني ، الخازندار الثاني ، نائب القلعة المنصورة ، أمير جاندار ثاني ، مقدم المماليك ، زمام الدور السلطانية [3] ، الزردكاش [4] ، أمير شكار [5] ، ومن هذه الطبقة يتم تعيين الكشاف والولاة في أقاليم الدولة [6] .

والوظائف التي يشغلها أمراء العشرات هي من الرتبة الثالث ، ومنهم يعين صغار الولاة ، مثل : أمير أخور ثالث ، رأس نوبة ثالث ، الحاجب الثالث ، أستادار

الديوانية والإقطاعات ، ويحكم كذلك في المشكلات الشرعية . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٩ ؛ المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣، ص ٦٠ ، مطبعة بولاق .

(١) أمير جاندار : الوظيفة التاسعة بين الوظائف العسكرية بحضرة السلطان ، ومعناها الأمير المسؤول عن حماية السلطان ، ومهمة متوليها الاستئذان للدخول على الأمراء للخدمة ، ويدخل أمامهم إلى الديوان ، وله الإشراف على الزادخاناة ، وهي أرفع قدراً من السجون ، ولا تطول مدة المعتقل إما الإفراج أو القتل ، وله الإشراف كذلك على البريد مع الدوادار وكاتب السر ، ويتولاها أميران مقدم ألف وطبلخاناة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص ٢٠ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ١٩٦-١٩٧ .

(٢) أمير الحاج الشريف : ومهمته اصطحاب ركب الحجاج ورئاسته ، ويكلف بهذه المهمة أمير مائة ومقدم ألف ، وذلك لأهميتها . حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

(٣) زمام الدور السلطانية : أحد موظفي القصور في العصر المملوكي ، وهي من المرتبة السادسة عشرة بين الوظائف العسكرية ، بحضرة السلطان والذي يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدم والخصيان ، وهي كلمة فارسية معناها حافظ حريم السلطان ، أي الموكل بحفظ حريم السلطان . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص٢١ ، جـ ٥ ، ص ٤٥٩-٤٦٠ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ٢ ، ص٥٦٩-٥٧٠ .

(٤) الزردكاش : هي من الوظائف في العصر المملوكي ، وتعني صانع الدروع ، ويعيّن في الدولة عشرة زردكاشية كبيرهم يكون برتبة أمير طبخاناة ، والبقية بدون إمرة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١١ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٥٦٤ .

(٥) أمير شكار : الوظيفة الثانية والعشرون بين الوظائف العسكرية التي يشغلها عسكريون بحضرة السلطان في العصر المملوكي ، وهي كلمة فارسية بمعنى الصيد ، فيكون المراد بها أمير الصيد ، وهي وظيفة عرفت في العصر العباسي ، وشاعت عند السلاجقة ، وانتقلت إلى المغول والمماليك ، ولمتوليها الإشراف على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها ، والصيود السلطانية وأحواش الطيور وغيرها . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٢ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٦) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٥ .

الصحبة [١] ، شاد الدواوين [٢] .

والمملوك أمامه وسيلتان يكافأ بهما ، إما التدرج في الرتب والوظائف المختلفة ، أو زيادة الرواتب والأرزاق له ، حيث يتدرج من الجامكية (الراتب) إلى الإقطاع[٣].

وباب الترقي في الرتب والوظائف في الدولة المملوكية كان مفتوحاً على مصارعيه أمام أي مملوك يصل إلى الإمارة وتتوفر فيه الكفاءة والقدرة على إحكام القبض على أمور الدولة المكلف بها ، فعتق المملوك لا يعني خروجه من دائرة الجندية ، بل بعتقه يدخل مباشرة في خدمة الدولة ، ويبقى جندياً من جنودها ، ويعمل إلى جانب السلطان في الحفاظ على السلطة التي هي هاجس كل مملوك يصل إلى منصب الإمارة ، فعتق المملوك يعتبر شرطاً من شروط التدرج في السلم الوظيفي في الدولة . [٤]

ولا يتم عتق المملوك من فراغ ، ولا ينتقل من رتبة إلى أخرى إلا إذا ظهرت عليه علامات النبوغ والفطنة والذكاء إلى جانب مهارته في الرماية والقتال ، وقبل ذلك الإخلاص التام لسيده [٥].

المصادر المملوكية لم تحدد الفترة التي ينتقل فيها المملوك الأمير من وظيفة إلى أخرى، غير أنها أشارت إلى عدد من الأمراء تدرجوا في الوظائف حتى وصلوا إلى

---

(١) إستادار الصحبة : وظيفة مشتقة من وظيفة الإستادار ، وهي متصلة بالسلطان المملوكي ، ومهمة متوليها الإشراف على المطبخ السلطاني ، وعلى الطعام وإعداد السماط ، ويقف في ذيل السماط عند جلوس السلطان عليه ، وهذه الوظيفة يتولاها أحد العسكريين من أمراء العشرات والعشرينات ، وقد عدها القلقشندي الوظيفة الرابعة عشر بين الوظائف العسكرية بحضرة السلطان . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢١؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٤٩-٥٠ .

(٢) شاد الدواوين : الوظيفة التاسعة عشرة بين الوظائف العسكرية بحضرة السلطان ، وصاحبها رفيق للوزير ، ومهمته التحدث في استخلاص الأموال وكل ما يتقرر في الديوان ، وقد عظم متوليها في العصر المملوكي ، وخاصة بعد إلغاء السلطان الناصر محمد للوزارة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٢ ، ص٦١١-٦١٢ .

(٣) السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص ٢٥٧ .

(٤) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص ٣٠٠ .

(٥) محمد زرق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص ٦٧-٦٨ ؛ عصام شبارو ؛ **سلاطين المشرق** ، ص ١٣٢ .

وظائف متقدمة في الدولة ، ولم يمض على ترقيتهم في مراتبها وقت طويل ، فالأمير منكوتمر أنعم عليه السلطان حسام الدين لاجين في أول سلطنته (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) بإمرة مائة وتقدمة ألف وأقامه نائباً للسلطنة ولم ينصرم العام [١].

وكذلك الأمير أرغون على باك [٢] ، تنقل في مراتب الدولة في عهد السلطان الناصر محمد حتى تولى أمير مائة ومقدم ألف ، وأقره رأس نوبة سنة (٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) [٣] والأمير طشتمر المحمدي [٤] ، كان أمير عشرة فولاه السلطان المنصور علي بن الأشرف شعبان [٥] الأتابكية مباشرة سنة (٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) [٦] .

والأمير برقوق [٧] تنقل في المراتب والوظائف في مدة شهرين ، وقد عدَّ المؤرخ ابن إياس ذلك من العجائب ، حيث يقول : « إنه من العجائب أن برقوق كان جندياً من مماليك يلبغا الخاصكي ، فصار أمير طبلخاناه في يوم واحد ، ثم مقدم

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٢٩ .

(٢) هو من مماليك السلطان الناصر محمد ، مات سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٩م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٠٤ ، رقم ٨٧١ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٤) المعروف باللفاف ، كان ممن قام بالفتنة على السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، مات بالطاعون سنة (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ٣٦٢ ، رقم ١٢٤٣؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق٢ ، ص٢٢٢ .

(٥) المنصور على بن الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ، تولى السلطنة بعد خلع والده الأشرف شعبان ، ولاه الأمير أينبك البدري سنة (٧٧٨هـ / ١٣٧٧م) ، وعمره نحو سبع سنين ، توفي سنة (٧٨٣هـ / ١٣٨١) حكم خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ٤٥٧ ، رقم ١٥٨٤ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٨٨ ؛ أبي حامد محب الدين ؛ **دول الإسلام الشريفة** ، ص ٧٨-٨٠ .

(٦) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٩٠ .

(٧) هو برقوق بن أنص العثماني اليلبغاوي ، أول سلاطين المماليك الجراكسة ، كان اسمه قبل ذلك : الطنبغا، فسماه أستاذه يلبغا برقوق ، تسلطن (٧٨٤هـ / ١٣٨٢م) ، حكم ست سنين وعشرة أيام ثم اختفى سنة (٧٩١هـ / ١٣٨٩م) ، ثم ظهر بالكرك وعاد إلى الحكم مرة أخرى وحكم ست عشرة سنة وأربعة أشهر ، توفي سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٩م) . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ١٨٧-١٨٨ ، رقم ٦٥٦ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور**، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣١٢ .

ألف ، ثم تولى وظيفة أمير أخور كبير ، كل ذلك في شهرين»[1].

ومن الأمراء من تولى مرتبة في عهد سلطان ما ، وبقي عليها حتى زمن سلطان آخر، ثم يتولى وظيفة معينة ، مثل الأمير جركتمر المارديني[2] الذي رقاه السلطان الناصر محمد إلى أمير مائة ومقدم ألف ، وظل على مرتبته حتى كان عهد السلطان الناصر حسن فولاه الحجوبية الكبرى[3] . وكذلك الأمير أيتمش الناصري ولاه السلطان الناصر محمد أمير طبلخاناه سنة (٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م) وظل على مرتبته حتى عهد السلطان الصالح إسماعيل فولاه الوزارة سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) ، وتنقل في عدد من وظائف الدولة[4].

الوظائف في الدولة المملوكية من الصعب أن يتولاها أمراء ليسوا بأهل لها ، إذ فهناك بعض الاعتبارات التي لا بد أن تتوفر فيمن يتولى أي وظيفة كانت كبيرة أو صغيرة ، وخاصة الوظائف القريبة من السلطان ، والتي عن طريقها يمكن للأمير الوصول إلى السلطة التي هي بغية كل أمير مملوكي ، فثقة السلطان بأحد الأمراء واحدة من هذه الاعتبارات التي تجعله ينتقل من وظيفة إلى أخرى ، وقد يجمع بين وظائف عدة ، فعلى سبيل المثال الأمير منجك اليوسفي[5] ، الذي وصل إلى الإمارة ونجح في كسب ثقة السلطان الأشرف شعبان فولاه نيابة السلطنة ، ونظر الخاص

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢١٢ .

(٢) أرسله السلطان الناصر حسن إلى مكة سنة (٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م) ، فتولى إمرتها ، وكان وافر الحرمة على المفسدين ، أُرسل إلى دمشق وقبض عليه وسجنه بالإسكندرية ، ثم ولي إمرة طبلخاناة بعد السلطان حسن وأعيد إلى مصر ، توفي سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٣١٨ ، رقم ١٤٤٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٣١٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص٧٩ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

(٥) تنقل في خدمة السلطان الناصر محمد ، وتولى إمرة سلاح ، ثم وزيراً وأستادار حتى سيطر على أمور الدولة ، أودعه الناصر حسن في السجن مدة من الزمن ، ثم أطلق سراحه ، فتولى نيابة طرابلس ، ثم نيابة حلب وذلك سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م) توفي سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٤ ، ص ٢٢٠-٢٢١ ، رقم ٤٩٦٥ ؛ **أنباء الغمر** ، جـ ١ ، ص ١٠٠-١٠١؛ الصفدي ؛ **الوافي بالوفيات** ، جـ ٢٦ ، ص ١٨ – ٢٦ .

السلطاني[1] ، والوزارة ، ونظر الأحباس[2] ، والأوقاف[3] ، وأعطي إلى جانب ذلك الحرية التامة في اتخاذ كافة التدابير والقرارات الخاصة بالدولة وأقاليمها[4].

ومن المماليك من وصل إلى الإمارة ومن ثم إلى المناصب العليا في الدولة لمجرد إعجاب السلطان به ، فالأمير أرغون الدوادار[5] تولى نيابة السلطنة في عهد الناصر محمد سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) لإعجاب السلطان به ، حيث تربى في قصر السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ، فكان قريباً من الناصر محمد[6] . وأعجب كذلك السلطان بالأمير قوصون الساقي الناصري إعجاباً دفعه إلى شرائه وعتقه ، ورباه مع أولاده ، ونال ما لم ينله أحد عنده ، وقدمه في كثير من الأمور المهمة ، ثم زوجه من إحدى بناته سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)[7] وتزوج هو من أخته فمنحه إمرة

---

(١) نظر الخاص من الوظائف الديوانية التي كان يشغلها مدنيون ، أنشأها السلطان الناصر محمد ووزع أعمالها بين ثلاثة موظفين هم ناظر المال ، وناظر الخاص ، وكاتب السر ، ولمتوليها التحدث فيما يخص مال السلطان ، وله حق تدبير الأمور وتعيين المباشرين ، ولكن بعد مراجعة السلطان ، وله كذلك الدخول على السلطان في مجلسه وقصره ليعرض عليه بعض الأمور المتعلقة بالأموال ، وذلك إذا اقتضت الحاجة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** جـ ٤، ص ٢٩-٣٠ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ٣ ، ص ١٢٠٧-١٤٠٨ .

(٢) الأحباس : يتحدث صاحبها في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس وما يندرج تحتها في سبيل البر والصدقة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٣٨ .

(٣) الأوقاف : الوقف في اللغة هو الحبس ، يقال : وقف يقف وقفاً ، أي حبس يحبس حبساً . ابن منظور ؛ **لسان العرب** ، جـ٦ ، ص ٤٧٨ . واصطلاحاً ، تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة ، وهو صدقة جارية من أموال الواقف في حياته ويستمر بقاؤها بعد مماته . حياة ناصر الحجي ؛ **السلطان الناصر محمد ونظام الوقف في عهده** ، ص ٤٥ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٤٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **أنباء الغمر** ، جـ١ ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٥) اشتراه المنصور سيف الدين قلاوون ، تربى مع ولده الناصر محمد ، وكان حسن السيرة ، عزله الناصر الناصر محمد من نيابة السلطنة سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) وولاه نيابة حلب ، وكان محباً للعلم ، توفي سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣١م) . ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ ١ ، ص ٣٠٦-٣٠٧ ، رقم ٣٦٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص ٢٠٥ ، رقم ٨٧٤ .

(٦) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص ٢٠٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص٤٤١ .

(٧) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص ١٥٤ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص٤٦٥ .

إمرة مائة وتقدمة ألف [١].

كما كان للعصبية والجنس دور في الوصول إلى الوظائف في الدولة ، ظهر هذا الاعتبار منذ أن أخذ نفوذ البرجيه أو الجراكسة يشتد بعد عودة السلطان الناصر محمد إلى السلطنة للمرة الثانية سنة (٧٠٩هـ / ١٣١٠م) حيث قويت شوكتهم بمصر ، وصارت لهم الحماية ، وتردد إليهم الناس في كثير من الأمور ، وقد تولى أمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير ، فأمّر عدداً منهم فأصبحوا أكثر عدداً وأقوى جانباً [٢].

وبالإضافة إلى ذلك كان لصلة القرابة دور في وثوب المملوك إلى المناصب والرتب العليا والمهمة في الدولة ، فقد أمّر بعض السلاطين عدداً من المماليك للمصاهرة بينهم ، فقرب السلطان الناصر محمد عدداً من الأمراء ، وولاهم المناصب العليا ، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر بكتمر الساقي ، فقد كان ذا مكانةٍ عند الناصر محمد ، وتزوج السلطان من ابنته ، وتدرج في المناصب [٣] ، والأمير الطنبغا المرديني اختص به الناصر محمد ، فولاه الإمارة ، وزوجه ابنته ، ثم رقّاه في المناصب [٤] .

والأمير أقبغا عبد الواحد الناصري قدمه الناصر وولاه الجندارية ، ثم الإستدارية ، وولاه إلى جانبها شاد العمائر [٥] ، وجعله مقدماً للمماليك ، وكان سبب ذلك زواج السلطان من أخته [٦] . والأمير أسندمر الكاملي [٧] تنقل في مراتب الدولة

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٣ ، ص ١٥٤ .

(٢) عصام شبارو ؛ **سلاطين المشرق** ، ص ١٣١ – ١٣٢ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٦٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص٢٨٦ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ .

(٥) شاد العمائر : الوظيفة الرابعة والعشرون بين الوظائف التي يشغلها عسكريون بحضرة السلطان ، ولمتوليها التحدث على العمائر السلطانية من بناء للقصور والمنازل والأسوار والمساجد وتجديدها ، ومتوليها يكون برتبة أمير عشرة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص٢٢؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص٢١٦.

(٦) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(٧) هو من مماليك الكامل شعبان ، توفي في أواخر سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) بعد رمد أصابه . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ ، رقم ٩٨٨ .

الدولة حتى أعطي إمرة طبلخاناه في عهد السلطان الناصر حسن ، وتزوج السلطان من أخته فأعطاه تقدمة ألف وذلك سنة (٧٦٦هـ / ١٣٦٥م) [١] .

وكان للزمالة في الرق والتعليم والعتق والخدمة دور مهم في ترقي المملوك من رتبة إلى أخرى ، ومن ثم الوصول إلى السلطنة ، وما السلطان إلا واحد من بينهم ، أجمعوا على اختياره سلطاناً عليهم لقوة شخصيته ، ووفرة أنصاره ، وكثرة جنده ، وقدرته على منافسيه الطامعين في السلطة ، أو لكسبه قلوب مؤيديه وإخوته ، وبالتالي تدرجهم في مراتب الدولة ووظائفها [٢] ، فالسلطان عز الدين أبيك اعترف بفضل خشداشيته عليه ، لذا كان صابراً عليهم ، على الرغم من سوء أخلاقهم معه[٣] ، واختار الأمراء البرجيه الأمير بيبرس الجاشنكير سلطاناً على البلاد بعد أن عزل الناصر محمد نفسه من الحكم سنة (٧٠٨هـ / ١٣٠٩م) لأنهم خشداشيته ، وقد حفظ لهم ذلك ، حيث عمل على تعيينهم نواباً على البلاد الشامية [٤] .

غير أن أهم الاعتبارات التي تؤهل المملوك للوصول إلى أعلى المراتب هي تمتعه بالشجاعة والبسالة في ساحة المعارك ، إذ يخول له ذلك الحصول على التأمير من قبل السلطان ، ومن ثم الترقي في المراتب العسكرية في الدولة ، ومن ذلك تأمير السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٦٦هـ / ١٣٦٨م) لأحد الجند المماليك لما تمتع به من شجاعة عظيمة في قتال الأرمن [٥] ، وأمّر السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الأمير محمد بن بكتاش الفخري [٦] لأنه شارك في قتال الأمير سنقر الأشقر الذي أعلن نفسه سلطاناً على دمشق [٧] وأمّر السلطان الأشرف خليل أحد الأوشاقية [٨] لأنه قاتل قتالاً شديداً وأبلى بلاءً حسناً عند منازلة قلعة الروم سنة (٦٩١هـ /

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .

(٢) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٢٩ ؛ السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٤١ .

(٣) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٧ ، ص ١٠-١٢ ؛ السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٤١ .

(٤) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٨ ، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٥) السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٤٤ .

(٦) توفي سنة (٧٢٤هـ) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٣ ، ص ٢٤٠ رقم ٣٦٨٤ .

(٧) السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٤٤ .

(٨) مفردها أوشاقي ، وهي فرقة من خدم السلطان عملها ركوب الخيل للتسيير والرياضة ، ويقال لهم أيضاً : الأوجاقية . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٥٤ .

١٢٩٢م) [1].

والسلطان هو الذي له حق تأمير الأمراء الذين يخرجون في العادة من طباق المماليك وقد صاحب التأمير مراسم واحتفالات كانت قائمة منذ قيام الدولة المملوكية ، فإذا تأمر المملوك فإنه ينزل من قلعة الجبل وعليه زي خاص به يطلق عليه (التشريف) [2] ، وقد وضع (الشربوش) [3] على رأسه فتوقد شوارع القاهرة ويتوجه في مسيره إلى المدرسة الصالحية [4] الواقعة بين القصرين ، ويحلف عند قبر الصالح نجم الدين أيوب القريب من هذه المدرسة ، ويحضر تحليفه حاجب الحجاب ، وتبدأ اليمين التي يحلفها الأمير [5] بالقسم بالله سبحانه وتعالى ، وبالقرآن الكريم ، وبالنبي صلى الله عليه وسلم [6] مقراً على نفسه بأن يستمر طوال حياته مخلصاً للسلطان ، متفانياً في خدمته ، محباً له ، دائم النصح ، وأن يكون ولياً لمن والاه عدواً لمن عاداه من سائر الناس [7] ، ويُمد السماط [8] السلطاني ، ويحضر كذلك

---

(١) بيبرس المنصوري ؛ **زبدة الفكر في تاريخ الهجرة** ، جـ ٩ ، ص ٣٠٥ .

(٢) جمعها تشاريف ، وهي ملابس خاصة مهداة من السلطان إلى كبار الأمراء والنواب وذوي الوظائف العالية ، وهي على طبقات ، أعلاها ما هو مختص بالأمراء المقدمين من النواب وغيرهم . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٥٢-٥٣ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** ، ص ٤٠٩ .

(٣) قلنسوة طويلة تشبه التاج ، على شكل مثلث ، تُلبس بدون عمامة ، وكانت شارة للأمراء فلا يلبسها المعممون ، ولقد ألغي استعمالها بمصر زمن المماليك البرجية . حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ١٥٨ ، هامش رقم ١ ؛ ماير ؛ **الملابس المملوكية** ، ص ٣٩ ؛ رجب عبد الجواد إبراهيم ؛ **المعجم العربي لأسماء الملابس** ، ص ٢٦١-٢٦٢ .

(٤) المدرسة الصالحية : بناها السلطان الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م ، وهي أول مدرسة بمصر يدرس فيها المذاهب الأربعة . المقريزي ؛ **الخطط** ، مطبعة دار الكتب العلمية ببيروت ، جـ ٢ ، ص ٢٨ ؛ ابن عبد الظاهر ؛ **الروضة البهية** ، ص ٨٥ .

(٥) انظر صيغة اليمين التي يحلفها الأمير وغيره في القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ١٣ ، ص ٣١٨-٣١٩؛ ابن فضل الله العمري ؛ **التعريف بالمصطلح الشريف** ، ص ١٨٦-١٨٨ ، ويلاحظ أن في هذه الأيمان بعض المظاهر المخالفة لما أمر به الشرع المطهر وسار عليه سلف هذه الأمة .

(٦) هذا الأمر مخالف للمنهج الإسلامي ، فلا يجوز الحلف إلا بالله وحده لا شريك له .

(٧) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٥ ؛ السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٣٥ .

(٨) ما يُبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين . سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** ، ص ٤٣٢ ؛ محمد أحمد دهمان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** ، ص ٩٢.

خاصكية السلطان من السلحدارية والدوادارية والجمدارية [1] ، وبعد الانتهاء من السماط يخرج الأمير في مركب من القبة الصالحية متجهاً نحو القلعة ، ويصف على طول شارع القاهرة أهل الأغاني ليزفوه عند صعوده إلى القلعة وعند نزوله منها [2].

سلاطين بيت قلاوون أدخلوا تقاليد وقواعد جديدة عند تأمير المملوك ، حيث اتخذوا من المدرسة المنصورية [3] مكاناً يكون فيه تنصيب المملوك ، فإذا أعطى السلطان أحد مماليكه إمرة ووظيفة أرسله إلى المدرسة المنصورية في جماعة من كبار الخاصكية والنقباء والحجاب ، ثم يخرج ويشق المدينة ، ويأتي إلى حضرة السلطان بالقلعة ، ويقبل الأرض ، ثم يدنوا من السلطان . [4]

التأمير في العادة يكون جماعياً وفي وقت واحد [5] ، ثم يقدم حاجب الحجاب لكل واحد منهم بوقاً وعلماً [6] ، ولا بد أن يكون الأمير لابساً شربوشاً مكللاً مزركشاً وتشريفاً يتناسب مع رتبته ووظيفته [7] . ثم يركب بعد ذلك كل أمير فرسه تحت السنجق [8] ، والأمراء محيطون بهم تحت سناجقهم ، ويشقون القاهرة ، وتوقد الحوانيت ، ويصطف أرباب الملاهي والمغاني يضربون بآلاتهم طرباً ، وتنثر الدراهم من قبل الأمراء ، ثم يصعدون بعد ذلك إلى القلعة [9] ، ويعين مع كل أمير

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص ٦١ ؛ السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٣٦ .

(٢) السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٣٦ .

(٣) المدرسة المنصورية : أنشأها السلطان المنصور قلاوون الصالحي هي والمرستان الكبير المنصوري على يد يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، ورتب فيها دروساً للمذاهب الأربعة والطب . المقريزي ؛ **الخطط**، جـ ٣، ص ٣٤٢ ، مطبعة بولاق .

(٤) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص ٦١ ؛ السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٣٦ .

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص ١٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص٥١٥ ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٣٤ ، ص ٥٨-٥٩ .

(٦) السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٣٧ ؛ إبراهيم علي الطرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص ٢٠٦ .

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٥٣ .

(٨) جمع سناجق ، وهي رايات صفر صغار ، تربط بطرف الرماح ، وحاملها يطلق عليه السنجقدار . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٨ ، جـ ٥ ، ص ٤٥٨ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** ص ٤٣٢ .

(٩) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ١٤، ص ٩٩ .

مماليك تسير في خدمته [1] .

التأمير في الغالب يكون من نصيب المماليك السلطانية ، فقد قال القلقشندي عنهم : (هم أعظم الأجناد شأناً ، وأرفهم قدراً ، وأشدهم قرباً ، وأوفرهم إقطاعاً ، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة) . [2]

الأمراء بعد حصولهم على التأمير يخول لهم الحصول على الوظائف بحسب مراتبهم في الإمارة ، وإن كان هناك من الوظائف ما لا يشترط في شاغلها إمرة ، بل يليها صاحب إمرة [3] أو من هو بغير إمرة [4] .

وعند النظر في الهيكل الوظيفي للدولة المملوكية ، نجد أن هناك عدداً من الوظائف لها أهميتها البالغة في الدولة ، ولمتوليها أدوار رئيسية عسكرية وإدارية في الداخل والخارج، وتمكّن بعضهم من خلع سلاطينهم وتولى الحكم مكانهم ، ومنهم من تمكّنه من السيطرة على أمور الدولة إذا لم يتولى السلطنة [5] ، ومن هذه الوظائف :

:

نيابة السلطنة [6] : وهي من أرفع الوظائف في الدولة المملوكية ، وأولاها

---

(١) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ١٥٨ .

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٥-١٦ .

(٣) مثل المهمندار : دلاّل المماليك ، ومقدم البريد ، ومتولي القاهرة ، ونقيب الجيش . ابن شاهين الظاهري ؛ ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٥ .

(٤) مثل : عشرون حاجباً ، أمير طبر ، أمير علم ، كاشف الطير . ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك الممالك** ص١١٥.

(٥) انظر الفصل الثالث ، المبحث الأول والثاني .

(٦) ويعبر عن صاحبها النائب الكافل ، وكافل المماليك الإسلامية ، يعود أصلها إلى عصر السلاجقة ، وانتقلت إلى الدولة الأتابكية والأيوبية ، وأحياها السلطان الظاهر بيبرس مع ما أحياه من الوظائف الأيوبية ، وذلك لكثرة تغيبه عن مصر ، ورغبة منه في أن يحل النائب محله أثناء اشتغاله بالحروب الخارجية ، وتلحق نيابة السلطنة بالولايات المختلفة باسم المملكة أو الولاية التي ينوب فيها . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٦ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٣ ، ص ١٢٣٠- ١٢٣٢ .

بحضرة السلطان[1] ، والنائب يقوم مقام السلطان في عامة الأمور وغالبها ، وهو سلطان مختصر ، بل هو السلطان الثاني[2] ، ويُختار النائب من أكابر أمراء المئين ، وربما اختير من أوسع الأمراء جاهاً وأفضلهم دهاءً وذكاءً وأكثرهم حنكة[3] . ومن الأمراء من تولى نيابة السلطنة ، وساعده حظه في الوصول إلى سدة الحكم ، والجلوس على عرش مصر ، مثل الأمير سيف الدين قطز المعزي ، والذي كان نائباً للسلطنة في عهد السلطان عز الدين أيبك التركماني (٦٥٠-٦٥٤هـ/ ١٢٥٢-١٢٥٦م)[4] ، ثم في عهد ولده المنصور نور الدين عليه (٦٥٤-٦٥٦هـ/ ١٢٥٦-١٢٥٨م) ، بل إنه تولى إلى جانب نيابة السلطنة الأتابكية ، فاستغل صغر سن السلطان الجديد ، وهجوم المغول على الديار المصرية ، فعزل السلطان المنصور نور الدين علي وتولى السلطنة بدلاً عنه (٦٥٦-٦٥٨هـ/ ١٢٥٨-١٢٦٠م)[5] . وكذلك الأمير كتبغا المنصوري جمع بين وظيفة نيابة السلطنة والأتابكية في فترة الحكم الأولى للسلطان الناصر محمد (٦٩٣-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣-١٢٩٤م) فاستغل صغر سن السلطان وعدم قدرته على تدبير أمور الدولة فعزله ، وتولى السلطنة مكانه[6] ، وفعل الأمير لاجين المنصوري الأمر ذاته مع السلطان كتبغا ، حيث استغل غيابه عن مصر وإقامته بالشام فخلعه ، وتولى السلطنة مكانه (٦٩٦-٦٩٨هـ/ ١٢٩٦-١٢٩٩م)[7] .

ومن الأمراء من تولى نيابة السلطنة وظل بها حتى مات أو عزل منها، ومن

---

(١) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٦ .

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٧ .

(٣) السيد باز العريني ؛ **المماليك** ، ص ١٤٨ ؛ علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٢٧٦-٢٧٧؛ محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص ٩٠ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣٨٤ .

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٧ ، ص ٥٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٩٧-٣٠٢ .

(٦) النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ ٣١ ، ص ١٣١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ٨، جـ٨، ص٤٩-٥٠ .

(٧) النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ ٣١ ، ص ٣١١-٣١٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة. الزاهرة**. جـ٨، ص ٥٦-٦٦ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١، ق ١ ، ص ٣٩١-٣٩٦ .

أبرز هؤلاء الأمراء ؛ الأمير علاء الدين إيدكين البندقداري الصالحي[1] وهو أول نائب للسلطنة بمصر ، تولاها في عهد السلطان عز الدين أيبك سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) وظل بها حتى عزله ، واختار مملوكه قطز[2] والأمير بدر الدين بيلبيك ، تولاها في عهدي السلطان الظاهر بيبرس والسلطان المنصور سيف الدين قلاوون[3] ، ثم تولاها الأمير عز الدين أيبك الأفرام الصالحي ، وبقي بها مدة يسيرة ، ثم طلب من السلطان المنصور سيف الدين إعفاءه لمرضه ، فأعفاه وولى مكانه الأمير حسام الدين طرنطابي سنة (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) وظل بها حتى عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون حيث أمر بقتله سنة (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م)[4] ، وتولى الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري نيابة السلطنة في عهد السلطان المنصور لاجين ، الذي عزله بتحريض من الأمير منكوتمر الذي تولاها من بعده .[5]

ويعتبر عصر السلطان الناصر محمد – وخاصة في مدة حكمه الثالثة – من أكثر العصور التي تعاقب فيه الأمراء على منصب السلطنة ، ومن أبرزهم الأمير بيبرس الدوادار المنصوري[6] سنة (٧١١هـ / ١٣١١م) ، ولم يلبث بها طويلاً حتى عزله ، وأقام مكانه الأمير أرغون الدوادار الناصري سنة (٧١٢هـ / ١٣١٢م) فاستمر بها

---

(١) من أكابر الأمراء الصالحية ، وهو أستادار السلطان الظاهر بيبرس البندقراري ، اشتراه بحماة ، ثم أخده من الملك الصالح ، ثم صار من جملة أمراء السلطان الظاهر بيبرس ، توفي سنة (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ١٦٥-١٦٦ و رقم ٥٩٢ ؛ الصفدي ؛ **الوافي بالوفيات** ، جـ ٩ ، ص ٤٩٠ ، رقم ٤٤٥٣ .

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١، ق ١ ، ص ٢٩٧ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١، ق ١ ، ص ٣١٠ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٧٥٧ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٤٨-٣٦٥ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٢٣ – ٨٢٩ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص٣٩٦ .

(٦) هو صاحب التاريخ المشهور ، وكان من مماليك السلطان سيف الدين المنصور قلاوون ، تنقل إلى أن أمّره السلطان وولاه نيابة الكرك ، ثم دواداراً كبيراً في عهد السلطان الأشرف خليل ، ثم تولى عدداً من الوظائف في عهد الناصر محمد ، كان كثير الأدب والدين ، عاقلاً صاحب برودين مات سنة (٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢، ص٥٣١-٥٣٤ ، رقم ١٠٠٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١، ص ٣٠٠-٣٠١ ، رقم ١٣٨٥ .

حتى عُزل سنة (٧٣١هـ / ١٣٣١م) [١] .

وبعد وفاة الناصر محمد سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) وتولى أبنائه حكم مصر من بعده نجد عدد من الأمراء الذين تولوا منصب نيابة السلطنة ، من أبرزهم الأمير قوصون الساقي تولاها في عهد السلطان الأشرف كجك [٢] ، غير أنه قتل على أيدي أعدائه ومنافسيه من الأمراء سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) [٣] ، ثم تولاها الأمير طُشتمر البدري الساقي في عهد السلطان الناصر أحمد سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) ثم ساءت العلاقة بينه وبين السلطان فعزله وسجنه ، ثم قتله سنة (٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) [٤] . ومن بعده تولاها الأمير سيف الدين الحاج آل ملك في عهد السلطان الصالح إسماعيل سنة(٧٤٤هـ / ١٣٤٣م) ، وبقي بها حتى وفاة سلطانه وتولى أخوه الكامل شعبان بن الناصر محمد ، فأمر السلطان بسجنه بالإسكندرية وقتله سنة (٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) [٥] ، وفي سنة (٧٥٢هـ / ١٣٥١م) تولى نيابة السلطنة الأمير أرغون الكاملي في عهد السلطان الصالح صلاح الدين صالح ، إلا أنه لم يصمد أمام الأمير طاز [٦] الذي أخذ نفوذه يزداد ، بل أصبح صاحب الحل والعقد في الدولة ،

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢، ق ١ ، ص ١١٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٤١ .

(٢) الأشرف كجك بن الناصر محمد بن المنصور الصالحي ، تولى السلطنة وعمره خمس سنوات سنة (٧٤٢هـ / ١٣٤٢م) ، ودبر أمر المملكة الأمير قوصون ، ثم خلع بالسلطان الناصر أحمد ، مات سنة (٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) في أيام أخيه الكامل شعبان . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ٢، ص ٥٥٥ ، رقم ١٩٠١؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٣، ص ١٦٠ ، رقم ٣٣٢٠ ؛ أبي حامد محب الدين ؛ **دول الإسلام الشريفة** ، ص ٦٢-٦٤ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٩٠-٤٩٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص١٥٤-١٥٥ .

(٤) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٩٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص١٣٢.

(٥) ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ ٣ ، ص ٨٥-٨٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٠-٢٤١ .

(٦) طاز قطفاج : تولى إمرة مائة ومقدم ألف في عهد السلطان الصالح إسماعيل ، عظم شأنه حتى رغب في في السلطنة لنفسه ، زادت مكانته في عهد السلطان الناصر حسن ، تولى نيابة حلب في أول سلطنة الناصر حسن الثانية ، ثم نقل إلى دمشق أواخر سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦١م) ، وأعطي إمرة طرخاناً إلى أن مات سنة (٧٦٣هـ / ١٣٦٢م) ، وكان بطلاً شجاعاً محباً للعلماء معظماً لهم . الصفدي ؛ **أعوان العصر** ، جـ٢ ، ص ٥٦٧-٤٧١ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ ، رقم ١٩٩٩ .

وقد أمر السلطان بالقبض على الأمير أرغون وعزله من وظيفته وولى الأمير طاز مكانه نيابة السلطنة سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) [١] .

غير أن نفوذ نائب السلطنة ظهر جلياً في عهد السلطان شعبان بن حسين ، وذلك في أواخر دولة المماليك الأولى ، حيث تولى هذا المنصب الأمير منحك اليوسفي [٢] ، واستمرت نيابة السلطنة على ذلك الحال حتى ضعف حالها في أواخر عهد الدولة المملوكية [٣] .

الأتابكية [٤] : تأتي في الأهمية بعد نيابة السلطنة ، وهي من أرفع الوظائف بحضرة السلطان ، ولم يكن للأتابك وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي ، بل غايتها رفع المحل وعلو المقام ،كما أورد ذلك القلقشندي [٥] ، والأتابك يعد المحور الذي تدور حوله الدولة[٦] ، ومتولي هذه الوظيفة يقتضي أن يكون من مقدمي الألوف ، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب [٧] ، وقد عرفت الأتابكية كوظيفة في العصر المملوكي منذ أن عرفت النيابة ، إذ جمع عدد من الأمراء بين هاتين الوظيفتين ؛ كالأمير قطز المعزي ، والأمير كتبغا المنصوري ، والأمير قوصون الساقي ، والأمير منجك اليوسفي [٨] .

وأول من تولى الأتابكية في العصر المملوكي الأمير عز الدين أيبك التركماني في

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٣٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص٢٠٦.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٢٢٤-٢٢٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص٢٤٢ .

(٣) حمود بن محمد النجيدي ؛ **نيابة السلطنة في مصر المملوكية** ، ص ٣٩٢-٣٩٣ .

(٤) نشأت هذه الوظيفة في المجتمع التركماني القديم ، إذ كانت متمشية مع أنظمه الاجتماعية وتقاليده وعاداته فأحياها السلاجقة ، ثم عرفها المغول والأيوبيون عندما يولون أبناءهم وأفراد أسرتهم حكم بعض الولايات ، فيلحقون بهم أتابكة أو أوصياء ، ثم عرفت في العصر المملوكي وأصبحت تطلق على القائد العام للجيش المملوكي . حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٣-١١ ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ١٢٢-١٢٤ .

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٨ .

(٦) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ ١ ، ص١١٥ .

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٨ .

(٨) أنظر هذا المبحث .

عهد الملكة شجرة الدر سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)[١].

والأتابكية تولاها عدد من الأمراء واستطاعوا الوصول إلى السلطنة ، ومن هؤلاء الأمراء ؛ عز الدين أيبك التركماني ، والأمير قطز المعزي ، والأمير بيبرس البندقداري الذي قتل السلطان قطز وحل مكانه في الحكم[٢] ، والأمير سيف الدين قلاوون الذي عزل السلطان العادل سيف الدين سلامش بن الظاهر بيبرس[٣] ، والأمير بيبرس الجاشنكير الذي عزل الناصر محمد في سلطنته الثانية سنة (٧٠٨هـ / ١٣٠٩م)[٤] ، والأمير برقوق تولاها في عهد السلطان المنصور علي بن الأشرف شعبان سنة (٧٧٩هـ - ١٣٧٧م)[٥] ، وكذلك في عهد أخيه أمير حاجي سنة (٧٨٣هـ/ ١٣٨١م) ، وتمكن من خلع السلطان وتولى مكانه حكم مصر سنة (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م)[٦] .

ومن الأمراء من تولى وظيفة الأتابكية وكان له دور في السيطرة على أمور الدولة والانفراد بها دون العودة إلى السلطان ، ومن أبرز هؤلاء الأمراء على سبيل المثال ؛ الأمير شيخو العمري[٧] في عهد السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد سنة

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ٧ ، ص٦ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص ٢٨٨.

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص ٣٠-٣٠٤ .

(٣) هو بدر الدين سلامش بن بيبرس ، ولي السلطنة بعد خلع أخيه الملك السعيد ، ولم تطل مدته ، وخُلع بعد ثلاثة أشهر ، وقيل خمسة ، وتولى مكانه الأمير قلاوون ، فاستمر ملازماً لداره إلى أن نفاه الأشرف خليل بن قلاوون إلى اسطنبول ، فمات بها سنة (٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) ، وكان مليح الشكل . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** جـ١ ، ص ٣١٥ ، رقم ١٠٧١ ؛ القرماني ؛ **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ** ، جـ٢ ، ص ٢٧٣ .

(٤) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ٨ ، ص ١٨١ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص ٤٢٢ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص ٣٢٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٢٢ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص ٤١٠ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص ٣١٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ١١، ص ٢٠٨ .

(٧) تقدم في عهد السلطان المظفر حاجي ، وكان من أمراء المشورة لدى الناصر حسن ، تولى النيابة بطرابلس سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) ثم قبض عليه وسجن في الإسكندرية ، وظل حتى سنة (٧٥٢هـ / ١٣٥١م) فأفرج عنه السلطان الصالح صالح ، أصبح مدبراً للدولة في سلطنة الناصر حسن الثانية ، مات سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص ١٥١-١١٦ ، رقم ١٩٥١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ١ ، ص ٣٤٦ ، رقم ١١٨٩ .

سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م) [1] ، والأمير يلبغا الخاصكي في عهد السلطانين المنصور محمد بن المظفر حاجي سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦١م) [2] والأشرف شعبان بن حسين سنة (٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) [3] ثم الأمير أسندمر الناصري [4] في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين سنة (٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) بعد قتل الأمير يلبغا [5] ، وبعد وبعد موت أسندمر تولاها الأمير الجاي اليوسفي [6] في عهد السلطان الأشرف شعبان أيضاً سنة (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) [7] ، أما الأمير عز الدين أينبك البدري [8] فقد وليها في عهد السلطان المنصور علي بن شعبان سنة (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) [9] .

رأس نوبة النوب : من الوظائف العليا ، ومتوليها يكون في العادة من أمراء الخاصكية لما لها من أهمية ، إذ يتحدث متوليها بالنيابة عن مماليك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم [10] ، وقد بلغ عددهم في أول أمر الدولة المملوكية أربعة ، ثم أخذوا

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٥٤ .

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٨١ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٤ .

(٤) الأمير الكبير في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، كان دويداراً عند الأمير يلبغا الخاصكي ، شارك في قتل أستاذه يلبغا واستقل بتدبير الدولة ، مات سنة (٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) . ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ؛ ٣٤١-٣٤٤ ، رقم ٤٦٤ ، **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ١٣٢ ، رقم ٤٦٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ ، رقم ٩٨٣ .

(٥) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٥٤ .

(٦) هو زوج أم الأشرف شعبان بن حسين صاحب الوقعة التي مات فيها غريقاً سنة (٧٧٥هـ / ١٣٧٣م) ١٣٧٣م) ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ١٤٨ ، رقم ٥٢٦ .

(٧) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١١١ .

(٨) ظهر في عهد السلطان الأشرف بن شعبان بن حسين ، شارك في الثورة التي تزعمها الأمير طشتمر المحمدي لعزل الأشرف شعبان وتولية ولده علي ، ونجح في ذلك ، غير أنه سجن سنة (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ولقي ألواناً من العذاب داخل سجنه ومات سنة (٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) ، وصودرت زوجته من قبل الأمير برقوق . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص٣٠٦-٣٠٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور**، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٩) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣٠٧ . ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٠٣ .

(١٠) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٥٥ .

في الزيادة حتى تجاوزوا العشرة [1] .

وكبير رأس النوبة يكون من أمراء المئين ومقدمي الألوف ، ويأتي بعده ثلاثة من أمراء الطبلخاناة [2] ، أما من يلونهم فيكونون في مراتب أقل [3] ، ومن الأمراء من من تولى هذه الوظيفة وانفرد بتدبير شؤون الدولة ، ومن أبرزهم الأمير صرغتمش الناصري [4] ، الذي تولاها في أيام السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد الثانية سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م) وكان صاحب الحل والعقد في تدبير أمور الدولة [5] .

الدوادارية : من الوظائف العليا في الدولة ، وقد تطورت هذه الوظيفة وزادت أهميتها وتوسعت اختصاصاتها في العصر المملوكي [6] ، فبعد أن كانت وظيفة صغيرة صغيرة يتولاها أمراء العشرات أو الطبلخانات أصبح يتولاها أمراء المئين ومقدمو الألوف في عهد السلطان الناصر حسن ونائبه من أمراء الطبلخانات [7] ، وزادت مكانتها في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين عندما تولاها الأمير أقبغا الناصري ، وكان يطلق على متوليها أمير دوادار أو أمير دوادار كبيرة [8].

وكان أول جندي يتولى الدوادارية وأصبح من أكابر أمراء المئين الأمير طشتمر العلائي الذي أقره السلطان الأشرف شعبان بن حسين دواداراً كبيراً سنة (٧٧٢هـ

---

(١) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٨ ؛ ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص١١٥ .
ص١١٥ .

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٨ .

(٣) ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٥ .

(٤) هو سيف الدين صرغتمش ، اشتراه الناصر محمد بثمانين ألف دينار ، كان جميل الصورة ، ولم يكن أجمل أجمل صورة ولا أحسن منه شكلاً ، قبض عليه السلطان الناصر حسن سنة (٧٥٩هـ / ١٣٥٨م) وقتل . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص ٣٥٣-٣٥٤ ، رقم ١٢١٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢، ص ١٢٢ ، رقم ١٩٧٩ .

(٥) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٥٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص١٢٢ .

(٦) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٥٢٠ .

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٩ .

(٨) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٥٣٥ .

/ ١٣٧٠م) وكان هذا من النوادر [١] ، ومن أبرز الدوادارية الأمير بيبرس المنصوري في عهد السلطان الأشرف خليل ثم السلطان كتبغا ثم لاجين ، واستمر حتى سلطنة الناصر محمد الثالثة ، وأقره في وظيفته إلى جانب عدد من الوظائف [٢] ، وكذلك الأمير طاز في عهد السلطان الناصر حسن [٣] .

الحجوبية : تلي الدوادارية في الأهمية ، وقد بلغت مكانة جليلة في عهد الدولة المملوكية [٤] ، ويطلق على كبير الحجبة حاجب الحجاب ، ويختار الحاجب ونائبه من أمراء المئين ومقدمي الألوف [٥] ، وله أتباع ، منهم الحاجب الثاني ، ويكون من أمراء الطبلخانات ، والحاجب الثالث ويكون من أمراء العشرات ، وهكذا إلى ما يزيد عن عشرة حجاب برسم الخدمة [٦] . ويذكر ابن إياس أن وظيفة حاجب الحجاب استحدثها السلطان زين الدين كتبغا وجعلها وظيفة كبيرة ، وإنه : «لم يكن قبل ذلك شيء يقال له حاجب الحجاب فعظم أمرها من يومئذ» [٧] . وقد أسند مهمتها للأمير للأمير بهادر المنصوري[٨]. وقد عظم شأن الحجوبية كثيراً في عهد السلطان محمد حتى عادلت نيابة السلطنة [٩] .

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٠١ .

(٢) ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ١ ، ق١ ، ص٤٠٧ ؛ ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٣٠٠. ص٣٠٠.

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٣٦ .

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٦٠ ، مطبعة بولاق .

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٩ .

(٦)حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص٣٨٨ .

(٧) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٨٧.

(٨) هو بهادر بن عبد الله المنصوري المعروف بحاج بهادر ، من أكابر الأمراء في دولة المنصور قلاوون ، اختص به الأشرف خليل ، وقربه السلطان كتبغا وولاه لاجين الجحوبية بدمشق ، وتولى نيابة طرابلس في عهد السلطان الناصر محمد ، مات سنة (٧١٠هـ / ١٣١١م) ، وكان بطلاً شجاعاً كثير المال والحرمة ، جيد الرأي . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ٥٠٤-٥٠٨ ، رقم ٩٨٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، ص ٢٠٢ ، رقم ٧١٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص٢٩٥-٢٩٦ ، رقم ١٣٧٠ .

(٩) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٧ ، ص ١٨٦ .

ومن أبرز الأمراء الذين تولوا الحجوبية ؛ الأمير أقوش الأفرم الجركسي [1] ، تولاها في عهد السلطان المنصور لاجين [2] ، والأمير بيبرس الحاجب [3] ، تولاها بعد بعد عودة السلطان الناصر محمد من الكرك سنة (٧٠٩هـ / ١٣١٠م) [4] ، والأمير بكتمر الحاجب [5] ، في عهد السلطان الناصر محمد ، وكان خبيراً بأمور الدولة [6] ، وتولاها الأمير بشتاك الناصري أيضاً في عهد السلطان الناصر محمد [7] .

أمير سلاح : من الوظائف ذات الأهمية في الدولة المملوكية ، ومتوليها يكون من أمراء المئين ومقدمي الألوف [8] ، وكبيرهم يطلق عليه أمير السلحدارية ، وهو المشرف على المخازن الخاصة بالسلاح [9] ، وقد تولى عدد من الأمراء هذه الوظيفة ، وكانت لهم أدوار رئيسية داخل الدولة وخارجها ، ومن أبرزهم الأمير بكتاش الفخري ، الذي كان من أكابر الأمراء في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ، وبقي حتى عهد السلطان الناصر محمد [10] ، ثم الأمير بكتمر الأبوبكري

---

(١) من مماليك المنصور قلاوون كان محباً للفروسية ، حدثت له أمور كثيرة ، تولى الحجوبية ، ثم نيابة دمشق، مات بهمدان سنة (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) ، كان فارساً بطلاً عاقلاً جواداً محباً لأهل العلم . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ٢٣٦-٢٤٥ ، رقم ٨١٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٣٢-٢٣٣ ، رقم ١٠٢٥ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤١٤.

(٣) كان أمير أخور ، ثم صار حاجباً بعد رجوع الناصر محمد من الكرك ، جرد إلى اليمن سنة (٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) ، تولى عدة نيابات ، ومات سنة (٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص٥٢٠-٥٢٦ ، رقم ٩٩٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ ، رقم ١٣٧٨

(٤) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(٥) كان شاد الدووابن بدمشق ، ثم تولى الحجوبية ، وكان من أمراء المشورة ، وتنقل في النيابات بعد عودة عودة الناصر محمد من الكرك ، سجن في سنة (٧١٥هـ / ١٣١٥م) وصودرت أمواله ، ثم أفرج عنه سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م) ، ومات سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٨م). المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ٤٦٦-٤٦٨ ، رقم ٩٣٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٤-٢٨٥ ، رقم ١٣٠٧ .

(٦) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .

(٧) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٧٦ .

(٨) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٨ .

(٩) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .

(١٠) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٣ .

المنصوري في عهد السلطان المنصور لاجين ، ثم في عهد السلطان الناصر محمد[١] ، وكذلك الأمير بكتمر الظاهري المنصوري[٢] في عهد السلطان المنصور لاجين[٣] ، والأمير منجك اليوسفي في عهد السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد (٧٤٣-٧٤٦هـ / ١٣٤٢-١٣٤٥م)[٤] والأمير طشتمر الناصري[٥] في عهد السلطان المظفر حاجي (٧٤٧-٧٤٨هـ / ١٣٤٦-١٣٤٨م)[٦] ، والأمير طيبغا الطويل[٧] في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين سنة (٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)[٨] .

.[٨]

أمير المجلس : وظيفة لا تقل أهمية عما سبقها من الوظائف ، وقد زادت اختصاصات أمير المجلس فصار يحرس السلطان داخل القصر ، بل وفي حجرة نومه[٩] ، ولا يكون في بلاط السلطان سوى أمير مجلس واحد[١] ، ويختار من بين

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .

(٢) هو أحد الأمراء الكبار بالقاهرة ، اشترك مع جند مصر لمقاتلة أهل مملكة أرمينية الصغرى سيس ، عمل عمل الأمير منكوتمر على القبض عليه وحرض السلطان لاجين ، فلما أحس بذلك هرب إلى بلاد التتار وحدثت له أمور ، ثم عاد في دولة الناصر محمد الثانية وأعطاه تقدمة ألف ، مات سنة (٧٠٣هـ / ١٣٠٤م) ، وكان فارساً شجاعاً كريماً حسن الشكل . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ٤٦٢-٤٦٥ ، رقم ٩٣٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ ، رقم ١٣٠٦ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٠٩ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٤ ، ص ٢٢٠ .

(٥) طشتمر طلكية الناصري ، ترقى في الخدمة إلى أن تأمر واستقر أمير سلاح في سلطنة المظفر حاجي ، مات سنة (٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ ، رقم ٢٠٢٢ .

(٦) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٣٢ .

(٧) طيبغا الطويل : أحد الأمراء الكبار في دولة الناصر حسن ، أمره سنة (٧٥٨هـ / ١٣٥٧م) طبلخاناة ولما مات السلطان حسن أمره الأشرف شعبان بن حسين أمير سلاح ، ثم قبض عليه يلبغا وحبسه في الإسكندرية سنة (٧٦٧هـ / ١٣٦٧م) ، ثم أفرج عنه ، وتنقل في النيابات ، مات سنة (٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص ١٣٩ ، رقم ٢٠٦ . ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** . جـ ٧ ، ص ٣٦-٣٨ ، رقم ١٢٩١ ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ٣٧٥ ، رقم ١٢٨٨ .

(٨) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٤٠ .

(٩) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ .

أمراء المئين ومقدمي الألوف [٢].

ومن أبرز الأمراء الذين تولوا هذه الوظيفة الأمير يلبغا الخاصكي في عهد السلطان الناصر حسن سنة (٧٦٠هـ / ١٣٥٧م)[٣]، وكذلك الأمير جركتمر المنجكي [٤]في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين سنة (٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)، والأمير بركة الجوباني [٥] في عهد السلطان علي بن الأشرف شعبان سنة (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) [٦].

أمير أخور : من الوظائف ذات الأهمية في الدولة المملوكية، ومتوليها يكون في العادة من أمراء المئين ومقدمي الألوف [٧]، ومهمته من أخطر المهمات التي يتولاها أمير مملوكي في السلم والحرب، فهو مسؤول مسؤولية تامة عن الإصطبلات السلطانية وما تحويه من الدواب والخيول لإعدادها أثناء الحرب للسلطان أو للمماليك على حد سواء، وفي أثناء المواكب السلطانية وللسباق [٨]، وكبيرهم يطلق عليه أمير أخور كبير [٩].

ونتيجة للمهام الكثيرة التي يقوم بها أمير أخور فقد كان يعاونه عدد آخر من

---

(١) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ١٨.

(٢) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٨، ص ٢٢٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ٤، ص ٢٧٠؛ ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ ١، ق ١، ص٥٦٨.

(٤) قبض عليه وسجن بالإسكندرية، وتوفي منفياً سنة (٧٦٩هـ / ١٣٦٧م). ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ ١، ق٢، ص٥٨- ١٦٢.

(٥) هو الأمير عز الدين بركة بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي، كان مملوك الأمير يلبغا العمري، ثم صار أمير مائة ومقدم ألف، ثم أمير مجلس رفيق برقوق، ولكن الفتنة وقعت بينهما بسبب السلطة، فتآمر برقوق ضده وقبض عليه وسجنه، ثم قتله سنة (٧٨٢هـ / ١٣٨٠م)، كان أميراً شجاعاً كريماً محباً للعلماء والفقراء. ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**؛ ص ١٨٩، رقم ٦٦٠.

(٦) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٣، ق ١، ص ٣١٧؛ ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ ١، ق ٢، ص ٢١٢.

(٧) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ١٩.

(٨) حسن الباشا؛ **الفنون الإسلامية**، جـ ١، ص ١٧٥-١٧٦.

(٩) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٥، ص ٤٦٠.

أمراء الأخورية ، وهم على حسب المراتب العسكرية التي تلي مرتبة أمراء المئين [1] .

وتولى عدد من الأمراء المماليك هذه الوظيفة ، ولعل أبرزهم على الإطلاق الأمير أيدغمش الناصري في عهد السلطان المنصور أبي بكر بن الناصر محمد (٧٤١-٧٤٢هـ / ١٣٤٠-١٣٤١م) ، ثم في عهد السلطان الأشرف كجك بن الناصر محمد (٧٤٢هـ / ١٣٤١م) وكان هو المشار إليه والمدبر لأمور الدولة في عهده [2] ، وكذلك الأمير برقوق في عهد السلطان علي بن الأشرف شعبان سنة (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) [3] .

الجاشنكير : تعد من الوظائف ذات الأهمية لقربها من السلطان ، ومتوليها يكون من أمراء المائة ومقدمي الألوف [4] ، وله حق الإشراف على طعام السلطان وشرابه وتذوقه ومراقبة المعدين له ، والوقوف مع الإستادار على السماط أثناء جلوس السلطان عليه [5] ، وللجاشنكير معاونون أقل منه مرتبة [6] .

ومن الأمراء المماليك من تولى هذه الوظيفة ثم نجح في الوصول إلى السلطنة ، وظل محتفظاً بلقب الجاشنكير ، مثل عز الدين أيبك التركماني الذي كان جاشنكير الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وهو أول سلاطين المماليك بمصر سنة (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م)[7] ، وكذلك بيبرس الجاشنكير في عهد السلطان الناصر محمد سنة (٦٩٣هـ / ١٢٩٣م) [8] .

هناك وظائف أخرى أقل أهمية من ما سبقها تولاها بعض أمراء المماليك ، ولا يمكن تجاهلها فهي جزء رئيسي من الهيكل الوظيفي للدولة .

---

(١) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٨ ؛ ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص١١٥ .

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٨٨-٤٩٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٠٥ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢١٢ .

(٤) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢١ .

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢١ .

(٦) ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٦ .

(٧) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٧ ، ص ٤ .

(٨) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٨ ، ص ٢٣٢ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص٣٧٩ .

ومن هذه الوظائف **مقدم المماليك** وهو مسؤول على المماليك ، ويكون برتبة طلبخاناة ، ونائبه أمير عشرة [1] ، وأبرز من تولى هذه الوظيفة الأمير أقبغا الناصري الذي تولاها في عهد السلطان الناصر محمد سنة (٧٣٥هـ / ١٣٣٥م) [2] ، وقد نجح في ضبط أمور المماليك داخل الطباق [3] .

ومن الوظائف أيضاً **نقابة الجيش** ، وصاحبها مسؤول عن جند الدولة ، وهي من الوظائف التي شغلها عسكريون بحضرة السلطان [4] ، وأبرز من تولى هذه الوظيفة الأمير أرغون بن قيران السلاري [5] في عهد السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد [6] .

أمير جاندار : وهو مسؤول عن تنفيذ العقوبات الصادرة عن السلطان ، فإما القتل أو السجن أو الإفراج ، وقد تولى عدد من الأمراء هذه الوظيفة ، ومن أبرزهم الأمير ألدمر [7] ، والأمير بيبرس الأحمدي [8] ، والأمير بكتمر المنصوري [9] ، في عهد عهد السلطان الناصر محمد .

وهناك وظائف أخرى أقل رتبة من سابقتها ، واختصاصها مرتبطة بخدمة

---

(١) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢١ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٣ ، ص ١١٣٢ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٤٢١-٤٢٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٥ ، ص ١٠٨-١٠٩ .

(٤) هي في المرتبة السابعة عشرة من حيث ترتيب الوظائف ، ومهمة نقيب الجيش تحلية الجند وعرضهم وجمعهم عند طلبهم ، وإعلامهم بالمهمات المطلوبة منهم ، وتفقد أحوالهم في جميع الأوقات ، وإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ، والترسيم على من يطلب الترسيم عليه ، وله القيام بحراسة السلطان في المواكب والسفر ، وكان يرأس عدداً من النقباء . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص ٢١-٢٢ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٣ ، ص ١٢٩٩ .

(٥) كان نقيب الجيش في عهد السلطان الناصر حسن ، ظل مدة على وظيفته ثم عزله منها لامتناعه عن تولي تولي إمارة الحاج ، وأقام شهراً بطالاً ، ثم أعاده إلى وظيفته ، ومات سنة (٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة**، جـ ١ ، ص ٢٠٤ ، رقم ٨٧٢ .

(٦) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٧) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ .

(٨) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

(٩) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .

السلطان، وقد تم تقسيمها على النحو التالي :

أولاً : الموظفون داخل قصر السلطان وبيوته وتشمل :

المطبخ السلطاني : ويتولى العمل فيه عدد من الأمراء ؛ مثل : الأستادار [1] : ويكون مع الجاشنكير في الإشراف على الأسمطة السلطانية ، غير أن اختصاصاته اتسعت أكثر فصار يقوم بالكثير من الأعمال أكثر مما يقوم به الجاشنكير ، ومن أبرز الأمراء الذين تولوا وظيفة الإستادار الأمير الطنفش [2] في عهد السلطان الناصر محمد ، وظل متولياً لها حتى مات سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) ، والأمير أقبغا الناصري أستادار السلطان الناصر محمد [3] ، وكذلك الأمير طقتمر الأحمدي [4] في عهد السلطان الناصر محمد أيضاً .

أستادار الصحبة : ومتوليها يكون من مرتبة أمراء العشرات أو العشرينات [5] ، ، وله حق الإشراف على أمير يسمى المشرف ، وهو من مرتبة أمراء العشرات ، وله الإشراف على طباخي السلطان مثل الخوان سلار [6] ، والمرقدار [7] ، وأمراء المشوي ،

---

(١) يشغل هذه الوظيفة أمير واحد من مقدمي الألوف ، وثلاثة من أمراء الطبلخاناة ، وله نواب يطلق على على الواحد منهم اسم نائب إستادار . حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

(٢) من مماليك الأفرم ، تولى إستادارية أنوك بن الناصر محمد ، ثم إستادارية أبيه ، كان كثير العصبية لمن يعنى به . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ ، رقم ٨٣٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة**، جـ ١ ، ص ٢٤٠ ، رقم ١٠٦٢ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(٤) كان طقتمر الأحمدي من من مماليك الناصر محمد ، تنقل حتى تولى الإستادارية سنة (٧٤٢هـ) ، ثم تولى تولى عدداً من النيابات ، ومات سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ ، رقم ٢٠٣٦ .

(٥) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٤٩ .

(٦) هو كبير رجال المطبخ السلطاني ، اسمه مركب من لفظين ، أحدهما : خوان وهو الذي يؤكل عليه ، والثاني : سلار ، وهي كلمة فارسية معناها المقدم ، فيكون المعنى (مقدم الخوان) . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٧١ .

(٧) هو الذي يتصدى لخدمة ما يحوز المطبع ويحفظه ، وسمي بذلك لكثرة تعاطيه مرق الطعام عند رفع الخوان . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٧٠ .

، وهم من أمراء العشرات [1] .

شاد الشرابخاناة : وهو من أمراء المئين ، وربما كان أمير طبلخاناة [2] ، وممن شغل هذه الوظيفة الأمير أقجبا الحموي [3] في عهد السلطان الصالح إسماعيل .

الساقي [4] : وسمي بالساقي لأن سقي المشروب كان من أبرز أعماله وآخرها في المجلس [5] ، وهي من الوظائف التي تخول لصاحبها الترقي في مناصب الدولة الرفيعة ، ومنهم من تولى نيابة السلطنة ، مثل الأمير قوصون الساقي [6] ، والأمير طشتمر البدري [7] ومنهم من تولى الأتابكية مثل الأمير بكتمر الساقي [8] ، ومنهم من من صاهرهم السلاطين مثل الأمير بكتمر الساقي والأمير قوصون الساقي والأمير الطنبغا المارديني الذين صاهرهم السلطان الناصر محمد .

زمام الأدر السلطانية : وهو المشرف على حريم السلطان ، ومتوليها من أكبر الخدام وعادته أن يكون أمير طبلخاناة [9] ، ونائبه يكون في مرتبة أمراء العشرات [10] .

.

الخازندار : وهو المشرف على خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير

---

(1) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٢٢٣ .

(2) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١٠-٢١ .

(3) اختص به السلطان الصالح إسماعيل حتى لم يكن له عنده نظير في المكانة ، تولى الحجوبية بالقاهرة ، ومات سنة (٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٢٦١ ، رقم ٨١٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ ، رقم ١٠١١ .

(٤) مما يقوم به الساقي تقطيع اللحم وسقي الشراب بعد الانتهاء من الأكل ، ورفع الخوان ، وسمي ساقي ساقي السلطان الخاص الشريف ، ويختار السقاة من بين الخاصكية . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٥٤؛ ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٦ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢، ص٥٧٧-٥٧٨ .

(5) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٥٤ .

(6) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ .

(7) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

(8) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦ .

(9) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢١ .

(10) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٥٧٠ .

ذلك [1] وقد زادت أهمية هذه الوظيفة في العصر المملوكي ، فبعد أن كان يتولاها أمير طبلخاناة في بداية العصر ارتفعت مكانتها فأصبح يتولاها أمير مائة ومقدم ألف [2] .

أمير خازندار : ويشرف على عدد من الخازندارية الأقل منه مرتبة ، منهم الخازندار الثاني ويكون أمير طبلخاناة [3] ، ومن أبرز من تولى هذه الوظيفة الأمير بكتمر المحمدي [4] خازندار السلطان الأشرف شعبان .

ثانياً : وظائف الأمراء المصاحبين للسلطان في المواكب أثناء السفر والأعياد :

أمير طبر [5] : وهي من الوظائف التي يتولاها أمراء العشرات [6] ، ويختارون من بين المماليك السلطانية [7] ، ومهمتهم حمل الطبر أو الفأس حول السلطان في مواكبه لحراسته ، ويمشون أمام السلطان وبأيديهم الأطبار بعد صلاة الجمعة والأعياد [8] .

أمير علم : وهي الوظيفة الحادية والعشرون من الوظائف العسكرية بحضرة السلطان ، ويتولاها أمراء في مرتبة العشرات [9] ، ومهمتهم الإشراف على الأعلام

---

(١) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢١ .

(٢) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٤٥٦ .

(٣) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٤٥٥ .

(٤) هو أحد أمراء الطبلخاناة ، تولى الخازندارية ، ثم أصبح أمير كبير ، قبض عليه السلطان الأشرف شعبان لوشاية وصلت إليه أنه يريد الفتك بالسلطان ، فقبض عليه وولى من اتفق معه وسجنه ، وقد مات بكتمر سنة (٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ ، رقم ١٣١٢ .

(٥) أمير طبر ، أو الطبر دار ، هي من الوظائف التي عرفت في دولة المماليك ، وهي مركبة من لفظين فارسيين ، هما: (طبر) ومعناها : الفأس ، و(دار) معناه : ممسك ، فيكون المعنى : ممسك الفأس . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٥٨ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٧٣٥ .

(٦) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٢ .

(٧) ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٦ .

(٨) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤٦ ، جـ ٥ ، ص ٤٥٨ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ٢ ، ص ٧٣٥ .

(٩) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٢ .

السلطانية ، والوقوف على الطبلخاناة عند ضربها في كل ليلة ، وتولي أمرها في السفر والاحتياط عليها في الحرب ، وحث العسكر على الإقدام والمبارزة أو الكف حسب ما تقتضيه الحال [1] .

أمير شكار : يتولاها أمراء في مرتبة العشرات [2] ، ومن أبرز من تولى هذه الوظيفة الأمير بكتوت [3] في عهد السلطان كتبغا المنصوري ، والأمير أقسنقر الناصري [4] في عهد السلطان الناصر محمد ، والأمير بكلمش الناصري [5] في عهد السلطان الناصر حسن .

الجوكندار : ومتوليها من المماليك السلطانية [6] ، ومهمته حمل الجوكان للسلطان أثناء لعبه الكرة والصوالجة [7] ، ومن أبرز من تولى هذه الوظيفة الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصوري ، والأمير الحاج آل ملك الجوكندار الناصري [8] .

حارس الطير : ومهمة متوليها حراسة الطيور التي يصيدها السلطان في الأماكن التي تنزل بها الطيور ، ويكون من أمراء العشرات [9] ، وممن تولى هذه

---

(١) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٢ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ .

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٢ .

(٣) هو بكتوت أمير شكار الخزنداري ، نسبة إلى بيليك الخزندار ، تولى نيابة الإسكندرية ، وعظم أمره في عهد الأمير سلار سنة (٧١١هـ / ١٣١١) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ ، رقم ١٣١٧ .

(٤) تولى أمير شكار في عهد السلطان الناصر محمد ، وهو زوج ابنة السلطان ، تنقل في الوظائف في عهد السلطان الصالح إسماعيل ، ثم أمر بقتله السلطان المظفر حاجي سنة (٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) لوشاية وصلت إليه ، وقد كان كريماً مهيباً ، عفيفاً عن أموال الرعية شجاعاً قوي النفس . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ ، رقم ٨٢١ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١، ص ٢٣٠-٢٣١، رقم ١٠١٦ .

(٥) كان أمير شكار في عهد السلطان الناصر حسن ، ثم تولى نيابة طرابلس ، وكان ظالماً جائراً ، قتل سنة (٧٥٤هـ / ١٣٥٣م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ ، رقم ١٣٢٠ .

(٦) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٣٧٣ – ٣٧٤ .

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٥٨ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٣٧٣ .

(٨) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٣٧٥ .

(٩) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٢ .

الوظيفة الأمير بيبغاتتر [1] في عهد السلطان الناصر محمد .

الجمقدار [2] : ومتوليها أحد العسكريين [3] ، وممن تولى هذه الوظيفة الأمير بلبان الجمقدار [4] .

ثالثاً : وظائف يتولها الأمراء تُعنى بالشأن العام للقاهرة :

ومن أبرز الأمثلة عليها :

شاد العمائر : وقد كان يتولاها في بداية الدولة المملوكية أمير عشرة [5] ، ثم أصبح يتولاها من ليس له إمرة [6] ، ومن أبرز من تولاها الأمير أقبغا الناصري [7] ، والأمير أقسنقر الرومي في عهد السلطان الناصر محمد [8] .

الولاية : وهي من الوظائف التي يتولاها الأمراء ، ومتوليها يُعرف باسم الجهة التي يتولى فيها الولاية ، مثل ولاية القاهرة [9] ، وقد رتبها القلقشندي الوظيفة الخامسة والعشرين بين الوظائف العسكرية الكبرى بحضرة السلطان [10] ، ومتوليها

---

(١) أحد الأمراء بمصر ، ولي مراراً نيابة غزة ، ثم ولي نيابة السلطان بالقاهرة في عهد الناصر حسن الأولى ، ، ثم صرفه الصالح صالح ، مات بطالاً بطرابلس سنة (٧٥١هـ/ ١٣٤٩م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٥٥٩ ، رقم ١٠٠٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص٣٠١، رقم ١٣٨٧ .

(٢) الجمقدار ، اسم وظيفة مكون من لفظتين ، الأولى : (جمق التركية) ، ومعناها : الدبوس ، والثانية : (دار الفارسية) ، بمعنى : ممسك ، والمعنى الكلي : (حامل الدبوس) . حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ١ ، ص ٣٦٠ ؛ علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٢٣٦ ، حاشية رقم ٤ .

(٣) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ٣٦٠ .

(٤) بلبان : هو أحد الأمراء بدمشق والقاهرة ، مات سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٩٠ ، رقم ١٣٣٣ .

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٢ .

(٦) ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ١١٥ .

(٧) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٢٨ .

(٨) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٣٠ .

(٩) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٣ .

(١٠) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٢٢ .

في العادة يكون برتبة أمير طبلخاناة[1]، وقد تولى عدد من الأمراء الولاية بالقاهرة من أبرزهم الأمير سنجر السروري[2] وفي عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون سنة (٦٨٦هـ/ ١٢٨٥م)، وفي عهد السلطان الناصر محمد سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) والأمير قديدار[3] في عهد السلطان محمد سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م)، والأمير أسندمر العلائي[4] في عهد السلطان صلاح الدين صالح بن الناصر محمد[5].

رابعاً: وظائف تولاها بعض الأمراء المماليك، والدارج أن يتولاها أصحاب العلم والقلم[6]، ومن أمثلة ذلك:

الوزارة: ومن أبرز من تولى وظيفة الوزارة من الأمراء الأمير علم الدين سنجر الشجاعي في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون سنة (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) وفي أول سلطنة السلطان الأشرف خليل بن المنصور، والأمير بكتمر

---

(١) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ٢٣.

(٢) هو من المماليك المنصورية، ترقى في مراتب الدولة حتى ولي ولاية القاهرة، وكان حسن السياسة، لطيف الذات، حسن الأخلاق، تولى شد الدواوين في عهد السلطان الناصر محمد سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م)، تولى عدد من الوظائف توفي سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م). ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ٢، ص ١٠١، رقم ١٨٨٠؛ ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ ١، ق ١، ص ٤٢٩؛ ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**، جـ ١، ص ٣٢٤، رقم ١١١٠.

(٣) كان خفيف الروح، مليح العبارة، تام الخلقة، تولى ولاية القاهرة فقام بضرب الخبازين والسوقة بالمقارع، وسمر بعضهم، وأراق الكثير من الخمور، مات سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) ومدة ولايته ست سنين. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ٣، ص ١٤٦، رقم ٣٢٥٣.

(٤) ويعرف بحر فوش، كان أمير جاندار بالقاهرة، ثم ولي الحجوبية، ثم أعطي تقدمة بدمشق فتوجه إليها، ومات سنة (٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م). ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ١، ص ٢٢٦، رقم ٩٨٦١.

(٥) هو: صالح بن الناصر محمد، العشرون من ملوك الترك، بويع بالسلطنة بعد خلع أخيه الناصر حسن سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، ولد بقلعة الجبل سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م)، خلعه الأمراء سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م)، سجن بالقلعة إلى أن مات سنة (٧٦٢هـ/ ١٣٦١م)، ولم يكمل أربعاً وعشرين سنة. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ١، ص ١٢١، رقم ١٩٧٣؛ ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**. جـ ١، ص ٣٥١، رقم ١٢٠٧؛ ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ ١، ق ١، ص ٥٣٨-٥٥٣؛ ابن شاهين الملطي؛ **نزهة الأساطين**، ص ١٠٤-١٠٥.

(٦) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ٢٨.

المنصوري [1] في عهد السلطان الناصر محمد سنة (٧١٠هـ / ١٣٠٩م)، والأمير مغلطاي الجمالي [2] في عهد السلطان الناصر محمد سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م).

شاد الدواوين [3]: وهو معاون للوزير، ومهمته استخلاص ما يتقرر في الديوان على من يعسر استخلاصه منه [4]، وقد عظم شأن شاد الدواوين في عصر الدولة المملوكية، وذلك في حالة عدم وجود وزير بالدولة، حيث يستقل هو بتدبير شؤون الدولة [5]، وقد برز عدد من الأمراء تولوا هذه الوظيفة بالقاهرة، مثل مثل الأمير الأكز الناصري [6] في عهد السلطان الناصر محمد، والأمير أغرلو السيفي السيفي [7] في عهد السلطان الكامل شعبان.

وإلى جانب اهتمام سلاطين الدولة المملوكية بتنظيم وظائف الدولة اهتموا كذلك بالهيئة التي يكون عليها موظفوا الدولة عند الاجتماع بالسلطان، وما يرتديه الأمراء والجند من الملابس، والشعارات التي يتخذها موظفوا الدولة والتي عرفت بالرنوك [8]، مما زاد البلاط المملوكي رونقاً وبهاءً، جذب أنظار الكثير من محبي

---

(١) هو من أهل الحل والعقد في أيام النائب سلار والجاشنكير، تنقل في الوظائف، ثم مات مسجوناً في دولة السلطان المظفر بيبرس سنة (٧١١هـ / ١٣١١م). ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ١، ص ٢٨٥، رقم ١٣٠٨.

(٢) هو من مماليك الناصر محمد، ترقى في مناصب الدولة، وكان من أكابر الأمراء الناصرية، تدرج في وظائف الدولة حتى ولي الوزارة سنة (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) إلى جانب الإستادارية، مات سنة (٧٣٠هـ / ١٣٣٠م). ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ٤، ص ٢١٦، رقم ٤٩٤٤.

(٣) شاد الدووايـن: هي الوظيفة التاسعة عشرة من الوظائف التي كان يشغلها عسكريون بحضرة السلطان المملوكي، عرفت هذه الوظيفة في الدولة الأيوبية، ثم انتقلت إلى المماليك في مصر، وكذلك في الممالك الشامية. حسن الباشا؛ **الفنون الإسلامية**، جـ ٢، ص ٦١١-٦١٢.

(٤) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ٢٢.

(٥) حسن الباشا؛ **الفنون الإسلامية**، جـ ٢، ص ٦١٢.

(٦) كان جميداراً، ثم أمَّره الناصر محمد وولاه شد الدواوين، فعمل الشد أعظم من الوزير، وبالغ في تنويع تنويع عذاب من يصادره، حتى كان يحمّي الطاسة ويلبسها له، ويحمّي الدست ويجلسه عليه، مات سنة بضع وثلاثين. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ١، ص ٢٣٦، رقم ١٠٣٩.

(٧) هو أول من أحدث ديوان البذل في سلطنة الكامل شعبان، عظم أمره في القاهرة حتى تعالى على الأمراء، قتل سنة (٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)، وقد كرهه العامة لشدة ظلمه. المقريزي؛ **المقفى الكبير**، جـ١، ص ٢٢٧، رقم ٧٩٨؛ ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ١، ص ٢٢٨، رقم ٩٩٨.

(٨) كلمة فارسية الأصل، مفردها (رنك) بمعنى: اللون، استعملت في العصور الوسطى بمصر وسوريا وسوريا للدلالة على الشارة أو الشعار أو العلامة التي يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره، وكانت عبارة عن رسم لشيء معين، كحيوان أو طائر أو أداة. حسن الباشا؛ **الفنون الإسلامية**، جـ ١

الحضارة الإسلامية من مسلمين وأجانب .

والأمراء عند اجتماعهم بالسلطان يقفون بين يديه بترتيب منظم ، حيث يقف كل أمير في مكانه المعروف الذي يتفق مع مكانته ورتبته ، ولا يلتفت أمير منهم إلى الآخر خوفاً من مراقبة السلطان له (١) ، فإذا جلس السلطان وقف من خلفه مماليك صغار عن يمينه ويساره من السلاحدارية والجمدارية ، ويقف إلى جانبهم الخاصكية ، وعلى بعد خمسة عشر ذراعاً عن يمين السلطان ويساره يكون جلوس أكابر أمراء المئين ، وهم من أمراء المشورة (٢) ، ثم يأتي أرباب الوظائف وبقية الأمراء ويظلون وقوفاً وراء أمراء المشورة ، وحول هذه الحلقة الدائرية من موظفي الدولة يكون وقوف الحجاب والدوادارية لعرض شكاوى الرعية والمحتاجين (٣) . وقد خصص يوما الإثنين والخميس من كل أسبوع لركوب جميع الأمراء تحت القلعة صفاً واحداً ، وفي مقدمتهم نائب السلطنة ، فيسيرون من الصوة (٤) إلى القرافة (٥) ، ويصعدون إلى الخدمة السلطانية بإيوان القلعة (٦) . وإذا وقف النائب بين يدي السلطان فإنه يقف في ركن الإيوان إلى أن تنقضي الخدمة ، فيتجه بعد ذلك إلى دار النيابة والأمراء معه ، فيمد السماط بين يديه كما يمد سماط السلطان ، ويجلس

، ص ١٧٠ ؛ علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٢١٨ ؛ أحمد عبد الرزاق ؛ **الرنوك على عصر سلاطين المماليك** ، ص ٦٧-٦٨ .

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص ٧٦ .

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤٤ .

(٣) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤٤ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص ٧٨-٧٩.

(٤) اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قلعة القاهرة فيما بين القلعة وجامع الرفاعي ، ويتوسط الطريق المعروفة بسكة المحجر ودرب المارستان بخط القلعة . محمد رمزي ؛ **تعليقاته على كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي** ، جـ ١١ ، ص ٢٣ ، هامش رقم (٢) .

(٥) كان بالقاهرة قرافتان ، واحدة على سطح المقطم (القرافة الصغرى) ، والثانية في شرق مصر (القرافة الكبرى)، وفيها مدافن المسلمين منذ فتح مصر . عبد الرحمن زكي ؛ **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام**، ص ١٩٨-١٩٩ .

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥١ ، مطبعة بولاق .

جلوساً عاماً للناس بحضرة أرباب الوظائف ، ويقف أمامه الحجاب ، ثم تُقرأ عليه القصص والشكاوى ويفصل في أمرها [١] ويعتمد عليه السلطان في ذلك ، لأن نائب السلطنة بمثابة سلطان ثانٍ في الدولة ، وله الحكم في بعض الأمور التي يحكم فيها السلطان [٢] .

والمماليك الخاصكية لهم آداب وتقاليد خاصة يتميزون بها عن غيرهم ، حيث يقفون في أثناء الخدمة داخل القصر كلٌ في مكانه المخصص ، ولا يتحدث أحدهم مع الآخر بأية كلمة ، ولا يلتفت إلى زميله ، بل مُنعوا من الإجتماع ببعضهم وخاصة في الرحلات أو الصيد ، والويل لمن خالف هذه الآداب [٣] . ويحرص السلطان على عدم اجتماع الخاصكية مع بعضهم ؛ لأنهم أشد قرباً منه ، وهم معه داخل القصر السلطاني ، وبالتالي يطّلعون على كل كبيرة وصغيرة ، فيخشى السلطان من تسرب أدق الأسرار والتفاصيل إلى بقية الأمراء .

عند الدخول إلى الخدمة السلطانية يلبسون الأقبية التترية [٤] فوقها التكلاوات [٥] ثم القباء الإسلامي فوقها ، وعليها تشد المنطقة بالسيف من جهة اليسار ، والصولق [٦] والكزلك [١] من جهة اليمين [٢] .

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥١ ، مطبعة بولاق .

(٢) انظر الدور الإداري للأمراء ، الفصل الثالث ، المبحث الثاني .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥٤ ، مطبعة بولاق .

(٤) هي عبارة عن ثوب طويل يلبس فوق الثياب الخارجية ، يشبه عباءة المرأة ، ويكون مقفلاً من مقدمته بزراير ، ومفتوح حول الرقبة بفتحة مستديرة ، وأكمامه ضيقة . محمد أحمد دهمان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** ، ص ١٢١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص ٢١٢ ، حاشية رقم (١) .

(٥) نوع من الملابس كان يلبسه الأمراء في العصر المملوكي ، ولا يعرف وصفه بالضبط . سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** ، ص ٤٣ .

(٦) جيوب من الجلد البلغاري ، كبيرة الحجم ، يسع الواحد منها أكثر من نصف ويبه غلة ، يغرز فيها منديل طويل طوله ثلاثة أذرع ، ويوضع ضمن الكمرين اللذين يلبسهما الجندي فوق القباء . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٩٨ ، مطبعة بولاق ؛ ماير ؛ **الملابس المملوكية** ، ص ٥٠-٥١ .

أما كبار الأمراء المماليك فلهم ملبس خاص بهم يكون أكثر فخامة وغنىً حسب مكانة الأمير ومركزه الاجتماعي ، فقد وُصف الأمير سلار بأنه كان مترفاً في ملبسه ، وقد نسبت إليه بعض الملابس عرفت بالسلارية [٣] ، وكان الأمراء المماليك يلبسون فوق ثيابهم ثوبين (الفوقاني) يكون أقصر من (التحتاني) ، ويكون طوله وأكمامه أقصر بلا تفاوت كبير [٤] ، وحرصوا كذلك على أن تكون أكمامهم مطرزة من الزركش أو الحرير الأسود المرقوم [٥] ، أما الحياصة [٦] فهي من الفضة المطلية بالذهب ، وربما جعلت من الذهب الخالص ، ولا ترصع بالجواهر إلا في خلع السلطان لأكابر أمراء المئين [٧] ، وتكون بنود هذه الحوائص ملونة أو بعلبكية [٨] .

وعند سفر السلطان فإن الأمراء يكونون حوله ، إذ يخرج معه عدد كبير من الأمراء الأكابر والأصاغر يحيطون به من كل مكان [٩] .

وهذه الملابس التي كان يرتديها الأمراء جذبت الأنظار إليها نظراً للعناية الفائقة التي أولاها السلاطين لهذه الأزياء ، شأنها في ذلك شأن بقية الأنظمة المملوكية التي أحدث فيها نوعاً من التطوير والتعديل [١٠] .

وقد كان الأمير يعرف من خلال ملبسه الذي اشتمل على القلنسوة [١١] والقباء

---

(١) تطلق عادة في مصر على السكين الصغيرة . عدنان محمد الحارثي ؛ **عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين** ، ص ١٣٤ ، حاشية رقم (٥) .

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

(٣) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص ١٩-٢٠ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٣٦ .

(٤) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤٠ ؛ المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥٥ ، مطبعة بولاق .

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤١ .

(٦) جمعها حوائص ، وهي الحزام أو المنطقة ، وتصنع من المعدن الثمين . ماير ؛ **الملابس المملوكية**، ص٤٧ .

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

(٨) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٧ ، ص ٣٣١ ؛ السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص ٢٢٣ .

(٩) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤٨ .

(١٠) السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص ٢٢٣ .

(١١) أو القلنسية ، جمعها قلانس ، وهي لباس للرأس ، طاقية أو طربوش ، تصنع من جلد الماعز أو الصوف أو الحرير ، وربما لبست تحت العمامة . سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** .

والسيف [1] ، ومن اليسير كذلك على زائر القاهرة أن يميز كل شخص يراه ويحدد وظيفته وديانته إن كان مسلماً أو ذمياً ، وذلك بمجرد النظر إلى هيئته وملبسه [2] .

ملابس الأمراء المماليك تعددت باختلاف المواقف والمناسبات ، إذ وجدت الملابس الخاصة بالخدمة السلطانية ، وأخرى خاصة بالسفر ، وثالثة بالصيد والتنزه[3] ، واختلفت ملابس العساكر في الصيف عنها في الشتاء ، ففي الصيف تكون بيضاء وفي الشتاء تكون ملونة ، وتصنع من الصوف النفيس أو الحرير ، وتحتها فراس السنجاب الفض [4].

أما أكابر الأمراء من ذوي المكانة والسمو فيلبسون فراء السمور [5]، والوشق [6]، والقاقم [7] والفنك [8] ، والسنجاب ، والقندس [9] ، ويضعون على رؤوسهم كلوتات[10] صفر مضربة بكلبندات [1] ، وبغير شاشات [2] ، وشعورهم مضفورة في

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥٠ ، مطبعة بولاق ؛ ماير ؛ **الملابس المملوكية** ، ص ٣٩ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص ٢١٠ .

(٣) ابن شاهين الظاهري ؛ **زبدة كشف الممالك** ، ص ٨٨ .

(٤) هو نوع من الحيوانات يتخذ منه الفراء ، لونه أزرق رمادي ، ومنه اللون السنجابي . لويس معلوف ؛ **المنجد في اللغة** ، ص ٣٥٤ .

(٥) السمور نوع من الحيوانات يشبه السنور ، يتخذ من جلده فراء ثمين يتميز بلينه وخفته وإدفائه. رجب عبد الجواد إبراهيم ؛ **المعجم العربي لأسماء الملابس** ، ص ٢٤١ .

(٦) دابة يتخذ منها الفراء الجيد . رجب عبد الجواد إبراهيم ؛ **المعجم العربي لأسماء الملابس** ، ص٢٤١ .

(٧) نوع من الحيوانات ، تصنع من جلودها فراء جيد غالي الأثمان ، وهي لفظة غير عربية . لويس معلوف ؛ **المنجد في اللغة** ، ص ٦٤٧ .

(٨) دابة يفترى جلدها ، أي يلبس جلدها فرواً . ابن منظور ؛ لسان العرب ، جـ ١٠ ، ص ٤٨٠ .

(٩) نوع من الفرو يتخذ من حيوان بري بحري معروف . رجب عبد الجواد إبراهيم ؛ **المعجم العربي لأسماء لأسماء الملابس** ، ص ٤٠٦ .

(١٠) جمع كلوتة ، وهي كلمة فارسية معناها : الطاقية الصغيرة المصنوعة من الصوف المضربة بالقطن ، وهي شارة الأمراء ، تلبس وحدها بغير عمامة فوقها ، وتسمى كذلك : كلفة وكلفتاة . ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٧ ، ص ٣٣٠ ، حاشية رقم (١) ؛ رجب عبد الجواد إبراهيم ؛ **المعجم العربي لأسماء الملابس** ، ص ٤٣٤-٤٣٥ .

أكياس حرير ملونة بالأحمر أو الأصفر [٣]، وكانت مطرزة بالذهب، ولها زوائد (كلاليب من الذهب) [٤]، وفي أقدامهم ينتعلون الخف، وجرت عادة السلاطين والأمراء المماليك أن يلبسوا في أقدامهم فوق الخف الأول خفاً آخر يسمى سقمان من جلد بلغاري أسود [٥]، ويربط الخف مهاميز مسقطة بالفضة [٦]، وبعضهم يستعمل المهاميز الذهبية [٧].

وقد وجدت ملابس أخرى خصصت للأمراء المعزولين عن وظائفهم وإقطاعاتهم والذين عرفوا بالبطالين [٨]، حيث ذكر المقريزي في حوادث سنة (٧٠٩هـ/ ١٣١٠م) أنه: «قدم أقوش بن عبد الله الأفرم إلى السلطان الناصر محمد [٩]، فركب السلطان إلى لقائه حتى إذا قرب منه نزل كل منهما عن فرسه،

---

(١) جمع كلبندة، وهي كلمة فارسية معناها: لباس الرقبة أو كوفية الرقبة، يلبسها النساء على رؤوسهن، وتربط تحت الذقن لحفظ الرأس، وهي من قماش رقيق. ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**. جـ ٧، ص ٣٣٠، حاشية رقم (٢).

(٢) ما يلف حول غطاء الرأس من قماش رقيق. ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**. جـ ٧، ص ٣٣٠.

(٣) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ٣٩-٤٠؛ ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**. جـ ٧، ص٣٣١.

(٤) مفردها كُلاّب، وهو الإبزيم الذي يربط الشريط الملتصق بالكلوتة. رجب عبد الجواد إبراهيم؛ **المعجم العربي لأسماء الملابس**، ص ٤٣١.

(٥) علي إبراهيم حسن؛ **تاريخ المماليك البحرية**، ص ٤٧٢.

(٦) القلقشندي؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ٤١.

(٧) المقريزي؛ **الخطط**، جـ ٣، ص ٥٥؛ علي إبراهيم حسن؛ **تاريخ المماليك البحرية**، ص ٤٧٢؛ ماير؛ **الملابس المملوكية**، ص ٦٤.

(٨) لفظ استخدم في عصر دولة المماليك للدلالة على الأمراء أو الأجناد الذين تزول عنهم إقطاعاتهم ووظائفهم، فيعزلون بسبب غضب السلطان، أو لكبر سنهم، أو من أجل الاعتكاف، أو لمجرد حب الانزواء والابتعاد. المقريزي؛ **السلوك**، جـ ١، ق ١، ص ٣٧، حاشية رقم (١). سعيد عبد الفتاح عاشور؛ **العصر المماليكي في مصروالشام**، ص ٤٠٤. محمد أحمد دهمان؛ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، ص ٣٥.

(٩) كان أقوش بن عبد الله الأفرم نائباً للسلطان المظفر بيبرس الجاشنكير على دمشق، فلما أراد السلطان الناصر محمد العودة إلى مصر واستعادة حكمه المسلوب منه اجتمع حوله الأمراء بالشام قاطبة مؤيدين ومناصرين له عدا الأمير عز الدين فإنه جمع بقية الأمراء والقضاة ونادى: (يا معاشر أهل الشام ما لكم سلطان إلا الملك المظفر) فصرخ الناس بأسرهم: (لا، لا، ما لنا سلطان إلا الملك الناصر)، فأسقط في يده فخرج إلى الشقيف، ولما تم للناصر الأمر طلب إحضار الأمير، فلم يحضر إلا بعد أن كتب له

فعظّم الأفرم نزول السلطان له ، وقبل الأرض ، وكان قد لبس كاملية [1] ، وشد وسطه وتوشح بنصفيه [2] ، يعني أنه حضر بهيئة البطال من الإمرة وكفنه تحت إبطه » [3] .

وفي سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م) أمر السلطان الناصر محمد بالقبض على الأمير سيف الدين كراي [4] ، وكان قد لبس التشريف (الشاش والكلوتة) ، فأحاط الأمراء به فقبض عليه وهو بتشريفه ، فلما قرأ كتاب السلطان بالقبض عليه امتثل الأمر وخلع ملابس التشريف وتعمم بتخفيفة [5] .

من تقاليد الأمراء المماليك ومراسمهم اتخاذ الرنوك في البيوت السلطانية أو في صفوف الجيش لتدل على وظائفهم حين تأميرهم [6] ، وتوضع هذه الرنوك على البيوت والأماكن المنسوبة إلى صاحبها ، كمطابخ السكر وشؤون الغلال والأمراء

السلطان الأمان وحلف له على ذلك ، فتم له ما أراد وقد شفع له أهل دمشق عند السلطان ، فأكرمه السلطان وأقره نائباً على دمشق . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ١ ، ص ٦٧-٦٨ ؛ **المقفى الكبير** ، جـ١ ، ص ٢٣٩-٢٤٠

(١) جمعها كوامل ، وهي نوع من الملابس الخارجية كالعباءة ، ضيقة عند الكم ، مفرجة الذيل من الخلف ، تبدأ من الحافة السلفى مرتفعة إلى أعلى . سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** ، ص ٤٤٩ .

(٢) جمعها نصافٍ ، وهي ثياب من القطن الخشن . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ١ ، ص ٦٨ ، حاشية رقم (٢) .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ١ ، ص ٦٨ .

(٤) من مماليك السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ، تأمر في عهد السلطان لاجين ، تولى نيابة صفد ، ثم تولى نيابة دمشق سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م) ، أمر السلطان بالقبض عليه لأنه ضيق على الناس كافة ، فبلغ السلطان الناصر محمد ذلك ، فأمر الأمير أرغوان بالقبض عليه وسجنه ، وظل بالسجن إلى أن مات سنة (٧١٩هـ/ ١٣١٩م) ، وقد كان محتشماً شجاعاً صعب الخلق . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٣ ، ص ١٦١ ، رقم ٣٣٢٢ .

(٥) عمامة توضع على الرأس ، وتكون خفيفة ولطيفة . محمد أحمد دهمان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** ، ص ٤٣ .

(٦) السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص ٢٢٦-٢٢٧ ؛ حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ١٧٠ .

والمراكب وغيرها [1] .

الرنوك عرفت في العهد الأتابكي والأيـوبي ، ولكنهـا كانـت أكثـر انتشـاراً في العصر المملوكي حتى أصبحت تقليداً رسمياً يحافظ عليه الأمير ويعتز بـه ، وكانـت تمنح لهم على يد السلطان إذا أمّر أحدهم ، ويظل محتفظاً به طيلـة حياتـه [2] ، غـير أن تلك الرنوك تتغير بتغير الوظائف [3] .

بلغ عدد الرنوك المعروفة في العصـر المملوكي خمسين رنكاً لكل منهـا مدلولـه الخاص[4] ، أهمها ما هو عـلي هيئـة سـيف أو قـوس للوظـائف العسـكرية ، ورنـك الكـأس للسـاقي ، وبقجـة للجمـدار ، ودواة للـدوادار ، وخـوان أو خوانجـة للجاشنكير ، وحذاء للبشمقدار ، وطبلـة وعصـا للطبلـدار ، وعلمـين للعلمـدار ، وإبريق للطشتدار ، وعصا وصولجان للجوكاندار ، وحدوة الفـرس لأمـير أخـور ، ودبوس للجمقدار ، وغير ذلك.

الرنوك على الرغم من أهميتهـا في العصـــر المملـوكي ، إلا أنهـا لم تجـد العنايـة الكافية في المصادر التاريخية ، ولم يشيروا إليها إلا عند الحديث عن بعـض الوقـائع ، وعند الترجمة لأحد الأمراء ، وربما يعود ذلك إلى أن الرنوك كانـت مألوفـة في ذلـك العصر ، ولم تلفت النظر إليها ، شأنها شأن بعض الأشياء الشائعة في ذلك الوقت [5].

.[5]

وقد يرث أبناء الأمراء رنوك آبائهم ، ولكن لا بد أن يكون هـؤلاء الأبنـاء قـد نشأوا نشأة حربية ، وساروا عـلى خطـى آبـائهم [6] ، وكـان رنـك الكـأس الخـاص

---

(١) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٦٢ .

(٢) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ١٧١ .

(٣) السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٤) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٢١٨ .

(٥) أحمد عبد الرزاق أحمد ؛ **الرنوك على عصر سلاطين المماليك** ، ص ٦٨ .

(٦) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٢١٩ .

بالساقي أكثر الرنوك التي تورث ، ومن أمثلة ذلك الأمير أحمد بن بكتمر الساقي[1] ، والأمير حسين بن قوصون الساقي[2] ، ورثا رنوك أبويهما ، ولعل وراثتهما هذه تعود إلى المكانة التي تمتع بها الأميران بكتمر وقوصون لدى السلطان الناصر محمد .

ولقد اعتنى الأمراء برنوكهم ، وأبدع الصناع في صنع أجمل الرنوك التي كان يقتنيها الأمراء ؛ فمنها ما كان بلون واحد ، ومنها ما كان بألوان متعددة ، مثل رنك الأمير سلار الذي كان أبيض وأسود[3] ، ورنك الأمير أقوش بن عبد الله الأفرم الذي كان عبارة عن دائرة بيضاء يشقها شطب أخضر عليه سيف أحمر يمر من البياض الفوقاني إلى البياض التحتاني على الشطب الأخضر ، وقد أعجب النساء به حتى جعلنه نقشاً على معاصمهن[4] وكان رنك الأمير الحاج آل ملك الجوكندار يتألف من عصى بولو بيضاويين على منطقة خضراء[5] .

المملوك إذا وصل إلى الإمارة وتولى الوظيفة التي تتناسب مع مرتبته ، حُق له أن يكاتب بأجل الألقاب[6] ، وقد بلغت الألقاب مرحلة متقدمة من التطور والنضج في العصر المملوكي[7] ، وما ذلك إلا لحب سلاطين الدولة وأمرائها لمظاهر التفخيم والتعظيم التي تليق بهم كحماة لحدود الدولة الإسلامية[8] ، وليس

---

(١) ولد سنة (٧١٣هـ/ ١٣١٣م) وأحبه السلطان الناصر محمد وهو صغير السن حتى كان أكثر الناس يظنون أنه ابن السلطان ، وأمره مائة وهو صغير ، وزوجه ببنت الأمير تنكز نائب الشام ، وعمل له العرس بنفسه ، ولم يزل يرقى حتى حج فمات سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص ٧١ ، رقم ٣١٨ .

(٢) حسين بن قوصون : لم أجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها .

(٣) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ٩ ، ص ٨-٩ ؛ السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص ٢٢٨ ؛ أحمد عبد الرزاق أحمد ؛ **الرنوك في عصر سلاطين المماليك** ، ص ٩٩ .

(٤) ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ١ ، ص ١٤ ؛ السيد الباز العريني ؛ **المماليك** ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٥) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ١ ، ص ٣٧٥ .

(٦) اللقب لغة : النبر بفتح الباء ، واصطلاحاً : ما يخاطب به الرجلُ الرجلَ من ذكر عيوبه ، وما ستره عنده عنده أحب إليه من كشفه ، وليس من باب الشتم والقذف . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٥ ، ص٤٣٨ .

(٧) حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ٦٢ .

(٨) عبد المنعم ماجد ؛ **نظم دولة سلاطين المماليك** ، جـ٢ ، ص ١٣ .

استخدامهم للألقاب إلا امتداداً لما كان متعارفاً عليه في الدولة الأيوبية ، شأنها في ذلك شأن الأنظمة العسكرية والإدارية [1] .

وكلمة أمير ، بحد ذاتها لقب فخري من ألقاب الوظائف التي استعملتها الدول الإسلامية [2] ، وكان الأمراء في العصر المملوكي يُكاتبون بأجل الألقاب ، كل كل حسب مكانته ومرتبته في الدولة [3] ، فإذا كان من أمراء المئين ومقدمي الألوف يكتب إليه المقر الكريم أو الجناب الكريم ، أو الجناب العالي أو المجلس العالي ، وإذا كان من أمراء الطبلخاناة كتب إليه بالسامي ، وإذا كان من أمراء العشرات كُتب بمجلس الأمير ، وإذا ارتفع قدره وعلت مكانته كتب إليه بالمجلس السامي ، أما إذا كان من الجند فيكتب إليه بالأمير الأجلّ [4] .

وإلى جانب مكاتبة الأمراء وتلقيبهم حسب مراتبهم لقبوا كذلك بحسب وظائفهم[5] ، فيكتب بكتمر الساقي ، أرغون الدوادار ، بكتمر الجوكندار [6] ، ويضاف إلى هذه الألقاب لقب المقر [7] ، وقد يضاف إليه الأشرف أو الشريف العالي أو الكريم ، فيكتب المقر الأشرف ، المقر الشريف العالي ، المقر الكريم العالي ، والمقر العالي ، ومنح ذلك لرجال السيف والقلم على حد سواء [8] ، ويضاف إليهم كذلك الأميري ثم الكبيري، وهي أرفع الألقاب فيكتب له على سبيل المثال : المقر العالي

---

(١) حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ٨٧ .

(٢) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ١١٦-١٢٨ .

(٣) ديوان الإنشاء : هو الذي يصدر المراسيم الخاصة بالدولة وألقاب رجالها ، وقد وجد موظفوا هذا الديوان صعوبة بالغة بشأن هذه الألقاب نظراً لكثرتها وتنوعها . حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ١٠٢ .

(٤) ابن فضل الله العمري ؛ **التعريف بالمصطلح الشريف** ، ص ١٠٢-١٠٥ .

(٥) ذكر القلقشندي في كتابه **صبح الأعشى** أن الألقاب التي تلحق بالوظائف على نوعين : ألقاب أصول كالجناب، والمقر ، والمجلس ، وألقاب فروع : كالأمير ، والعادلي ، جـ ٥ ، ص ٤٩٣-٥٠٤ .

(٦) حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ١١١ .

(٧) حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ٤٨٩-٤٩١ .

(٨) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٥ ، ص ٤٩٤-٤٩٥ .

الأميري الكبير السيفي سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصوري [1] ، والمقر الكريم العالي الأمير الكبير بدر الدين بيسري الظاهري [2] .

وعند انتقال الأمير من وظيفة إلى أخرى يكاتب بوظيفته الأولى والثانية معاً ، ومثال ذلك : المقر العالي الأميري الكبيري السيفي سيف الدين مقدم الجيوش بكتمر الجوكندار المنصوري السيفي أمير جندار الناصري [3] .

وقد يكاتب بالأميري الكبيري ، مثل الأميري الكبيري بدر الدين بيسري الظاهري السعيدي الشمسي [4] ، والأميري يلقب بها العسكريون ، أما إذا كان الأمير من الوزراء والمدنيين فله ألقاب أخرى [5] .

وربما تعرض الأمراء المماليك الذين تدرجوا في الرتب والوظائف للنكبات والإذلال والعزل والنفي [6] والسجن والمصادرة [7] ولما جمعوه من الأموال طوال مباشرتهم لوظائفهم ، وقد عُرف هؤلاء الأمراء المعزولون (بالبطالين) . ولم تشر المصادر التاريخية في بعض الأحيان إلى أسباب عزلهم وتعرضهم لمثل هذه العقوبات مثل الأمير أيتمش الجمدار الناصري [8] ، حيث نقله السلطان الصالح إسماعيل إلى نيابة دمشق، ثم أقام بطالاً بصفد[9]، والأمير أرغون القشمري[1] قبض عليه السلطان

(١) حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ٤٩٠ .

(٢) حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ٤٨٩ .

(٣) حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ١١٢ .

(٤) حسن الباشا ؛ **الفنون الإسلامية** ، جـ ١ ، ص ١٦٨ .

(٥) حسن الباشا ؛ **الألقاب الإسلامية** ، ص ١٠٨ .

(٦) النفي لغة : التغريب والطرد والإبعاد ، واصطلاحاً : إخراج أرباب الفساد والمغضوب عليهم من أوطانهم أو من الأماكن التي يعملون بها ، وهو في الواقع إهانة لمن يصدر في حقه . ابن منظور ؛ **لسان العرب** ، جـ ١٥ ، ص ٣٣٦-٣٣٨ .

(٧) من كلام كتاب الدواوين : صودر فلان العامل على مال يؤديه : أي فورق على مال ضمنه . ابن منظور منظور ؛ **لسان العرب** ، جـ ٤ ، ص ٤٤٧ .

(٨) تولى إمرة أربعين في حياة الناصر محمد ، كان حازم الرأي ، كثير الإحسان والتؤدة والسكون ، مات بطرابلس سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ ، رقم ١١١٤ .

(٩) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ .

السلطان الأشرف شعبان بن حسين سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) ونفاه إلى القدس بطالاً ، وظل بها حتى مات في نفس العام [٢] ، وكذلك الأمير أزدمر المعزي [٣] ، سجن بالإسكندرية ثم أطلقه الأشرف شعبان بن حسين ونفاه إلى الشام بطالاً فمات فيها .

بيد أن من الواضح أن الأسباب التي أدت إلى عزل أمثال هؤلاء الأمراء هي الأسباب التي أدت إلى عزل غيرهم ، وعلى رأس هذه الأسباب : الخروج على السلطان ومحاولة خلعه أو قتله ، ففي سنة (٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) اتفق الأمير سيف الدين كوندك [٤] وجماعة من الأمراء على قتل السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، فعلم السلطان بالأمر ، فقبض عليه وعلى من معه من الأمراء ، وكانت نهايته القتل [٥] ، وفي سنة (٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م) قبض السلطان الأشرف شعبان بن حسين على الأمير طشتمر المحمدي فعزله ونفاه إلى القدس بطالاً ؛ لأنه أراد الخروج على السلطان وخلعه وإحلال ابنه أمير علي مكانه [٦] .

وقد يعود ذلك إلى عداوة أو موقف ما بين السلطان وأحد الأمراء ، ففي سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) قتل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الأمير حسام الدين طرنطاي بمجرد توليه العرش لكراهة السلطان له [٧] ، ولم يكتف بذلك بل صادر

---

(١) جعله يلبغا أمير طبلخاناة ، ثم ولاه أسندمر تقدمة ألف . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ ، رقم ٨٧٧ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ .

(٣) هو مملوك بكتمر المؤمني تنقل إلى أن جعله يلبغا أمير طبلخاناة ، ثم تأمر تقدمة ألف ، ثم قبض عليه وسجن بالإسكندرية ، ثم أطلقه الأشرف شعبان بن حسين ونفاه إلى الشام بطالاً ومات بها . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص ٢٠٧ ، رقم ٨٨٣ .

(٤) تولى نيابة السلطنة في عهد السلطان السعيد بركة ، وتمكن تمكناً لم يتمكنه أحد قبله ، عزله السلطان بطلب من الأمراء ، ومنحه إمرة أربعين ، قتل على يد الأمير طرنطاي بأمر من السلطان المنصور قلاوون سنة (٣٨٠هـ/ ١٢٨٠م) . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٦٨٦ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٤٣ . .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٦٨٥-٦٨٦ .

(٦) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٧٤-١٧٥ .

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٧٥٧ .

أملاكه وجميع أمواله [1] .

وفي سنة (٧١٠هـ/ ١٣٠٩م) أمر السلطان الناصر محمد بالقبض على الأمير سلار وسجنه وظل في سجنه حتى مات جوعاً ؛ وذلك لأنه حرم الناصر محمد مما كان يشتهيه من الطعام والشراب في أيام سلطنته الثانية [2] .

ومن الأمراء من جبُن في مواجهة الأعداء ، أو تباطأ في تنفيذ أمر سلطاني أو قصر في أداء المهمة الموكلة إليه ، فكان مصيره العزل أو السجن أو النقل من وظيفته إلى وظائف أخرى خارج القاهرة ، ففي سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) جبُن الأمير بهادر الإبراهيمي [3] في قتال حميضة [4] أمير مكة ، فلما عاد إلى القاهرة تنكر عليه السلطان الناصر محمد وسجنه وظل في سجنه سنتين ، ثم أفرج عنه ، وكحل [5] فذهب بصره [6] . وفي سنة (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) كلف السلطان الناصر محمد الأمير أرغون الدوادار الناصري بالقبض على الأمير مهنا [7] الثائر على الدولة ، ولكنه تباطأ تباطأ في تنفيذ الأمر ، بل إنه أعلم مهنا بنية السلطان ، فغضب عليه ونقله من نيابة

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٧٥٨ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ١ ، ص ٨-٨٩ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٣٦ .

(٣) سيف الدين بهادر الإبراهيمي ، تنقل إلى أن صار نقيب المماليك سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) ، ثم سجنه الناصر سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) ، وفي سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) كحل عينه فذهب بصره . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٥٠٤ ، رقم ٩٨١ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٩٤، رقم ١٣٦١ .

(٤) هو حميضة بن أبي نمي محمد بن حسن بن علي أمير مكة ، كان هو وأخوه رميثة وليا إمرة مكة في حياة أبيهما سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠٢م) ، قبض عليه الأمير بيبرس الجاشنكير بسبب شكاية أخيهما أبي الغيث وعطيفة لأخذه ميراث أبيهما ، وقاده إلى القاهرة ، وقعت له الكثير من الأحداث ، كان شجاعاً كريماً وافر الحرمة مهاباً ، قتل سنة (٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م) . ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ٤٤-٤٦ رقم ١٦٣٨ .

(٥) الكحل : يقصد به إحماء المراود ووضعها في عين المذنب حتى يذهب بصره . علاء طه رزق ؛ **السجون السجون والعقوبات في مصر** ، ص ١٧٦ .

(٦) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ .

(٧) هو مهنا بن عيسى ، ولد بعد سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) ، تأمر في عهد السلطان المنصور قلاوون ، كان كان معظماً خلوقاً ذا حكمة وسياسة ، وكان وقوراً متواضعاً ديناً حليماً ، غضب عليه السلطان الأشرف خليل بعد فتح قلعة الروم فأمسكه وسجنه ، غير أنه أطلقه بعد حين ، خدم الناصر محمد لما كان بالكرك إلى أن كان سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) توجه مهنا إلى الناصر فأكرمه إكراماً زائداً ورده على إمرته إلى أن مات سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٣ ، ص ٢٢٥-٢٢٦ ، رقم ٤٩٨٤ .

السلطان بالقاهرة إلى نيابة حلب ، وظل بها حتى مات سنة (٧٣١هـ/ ١٣٣١م)[1].

وعندما يتطاول الأمير على مصالح الناس ويظلمهم من خلال منصبه الذي يتولاه ، وبلغ ذلك السلطان ، فإن ذلك يؤدي إلى نكبته ، ومن أمثلة ذلك ما حدث في سنة (٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) عندما عزل السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الأمير سنجر الشجاعي ؛ لأنه قصر في أداء واجبه ، ونقم عليه ظلمه للرعية ، وامتلاء سجونه بالناس ، وتناسيه لهم شهوراً وسنيناً ، فعزله من الوزارة وأدبه ، وصادره ونكبه[2] .

وقد يعصي أحد الأمراء أوامر إدارية من سلطان أو أمير له السلطة في الدولة ، فيُنفى أو يُعزل أو يُسجن ، ففي سنة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م) أمر السلطان الناصر محمد الأمير بكتمر الأبوبكري المنصوري بالتوجه إلى صفد نائباً بها ، فاعترض الأمير على ذلك وقال : (أريد أن أعرف ذنبي) ، فغضب السلطان وأمر باعتقاله وسجنه ، وظل في سجنه حتى مات سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)[3] .

وفي سنة (٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م) استصدر الأمير يلبغا الناصري مرسوماً من السلطان الأشرف شعبان بن حسين يأمر فيه الأمير طيبغا الطويل بأن يتوجه إلى الشام نائباً بها، فرفض الأمير طيبغا الأمر ، وقصد قتال الأمير يلبغا ، فما كان من السلطان الأشرف شعبان بن حسين إلا أن قبض على ا لأمير الثائر وسجنه بالإسكندرية مدة، ثم أرسله إلى بيت المقدس بطالاً ورتب له ما يكفيه[4] .

وعُزل الأمير أرغون السلاري من نقابة الجيش بأمر من السلطان الأشرف

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٥ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣، ص ٤٧٠-٧٤١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٨ ، ص ٥٠-٥١ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٥٦ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص ١١٩ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .

(٤) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٥-٢٨ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ١١ ، ص ٣١-٣٢.

شعبان بن حسين لأنه امتنع عن قبول إمرة الحاج التي عينه عليها وأقامه بطالاً[١] .

وقد يشعر بعض السلاطين بشيء من الخوف والريبة من بعض الأمراء ، خاصة عندما يتزايد نفوذهم لاتخاذهم مواقف مناصرة للسلطان ، فينقلب عليهم السلطان ويتخلص منهم مثلما حدث للأمير بزلغي ، وهو من أتباع السلطان بيبرس الجاشنكير وزوج ابنته ، تنكر لسيده ولحق بالناصر محمد لما رأى أن الغلبة له على بيبرس ، فلما تمكن الناصر من الجلوس على العرش قبض على الأمير بزلغي وسجنه حتى مات سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م)[٢] . وهذا ما فعله السلطان الناصر أحمد عندما قبض على الأميرين طشتمر المعروف بحمص أخضر وقطلوبغا الفخري[٣] ، حيث أمر بسجنهما وقتلهما سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م) على الرغم من أنهما كانا سبباً لوصوله إلى السلطنة[٤].

وفي سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) تمكن الأميران ملكتمر الحجازي[٥] وأقسنقر الناصري من خلع السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد وسجنه ومبايعة أخيه المظفر حاجي ، الذي تنكر لما فعله الأميران في سبيل اعتلائه العرش ، فأمر بالقبض عليهما وأرسلهما إلى السجن، ثم أمر بقتلهما خنقاً ، وقد علق ابن إياس على ذلك وقال : «من العجائب أن هؤلاء الأمراء كانوا سبباً لسلطنة الملك المظفر حاجي ، فأُخذوا من الجانب الذي كانوا يأمنون إليه»[٦] .

ومن أسباب تعرض الأمراء للعقوبات تغير خاطر السلطان وسوء ظنه ببعض الأمراء ، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة العصر المملوكي الذي اتسم بالتنافس

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ .

(٣) من أخص مماليك السلطان الناصر أحمد وأكثرهم إدلالاً إلى أن أمره في سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) ، كان شجاعاً مقداماً جواداً ، قتل سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص ١٥٠-١٥١ ، رقم ٣٢٧٤ .

(٤) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٩٥ .

(٥) اشتراه السلطان الناصر محمد وتنقل معه في الخدمة وزوجه ابنته ، وظل مقرباً عنده ، ثم قبض عليه السلطان المظفر حاجي لخوفه من الثوب عليه وخلعه من السلطنة ، وأمر بقتله سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٤ ، ص ٢١٩ ، رقم ٤٩٥٧ .

(٦) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥١٤ .

والتحاسد بين الأمراء الذين سعوا إلى الإيقاع ببعضهم لدى السلاطين بالوشايات التي تصل إلى السلاطين الذين يتخوفون من زوال عروشهم على يد الأمراء ، وخاصة المقربين منهم ، ومن الأمثلة على ذلك الأمير بكتمر الجوكندار[1] ، والذي ساءت العلاقة بينه وبين السلطان الناصر محمد بسبب وشاية مفادها أنه اتفق مع عدد من الأمراء على خلع الناصر محمد وإقامة سلطان غيره ، فقبض عليه سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م) وسجنه بالإسكندرية ثم أمر بقتله سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)[2] ، كما وصلت إلى السلطان الناصر محمد وشاية مفادها أن الأمير بانيجار المنصوري[3] ينوي الفتك بالسلطان ، فسارع بالقبض عليه وسجنه إلى أن مات سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م).

وفي سنة (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) قبض السلطان الناصر محمد على الأمير قطلوبغا الفخري وأخرجه إلى الشام بطالاً ؛ لأنه وجد في مرقده ورقة تتضمن أنه عازم مع الأمير طشتمر البدري على قتل السلطان[4] .وفي سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م) ١٣٣٢م) قتل الأمير ألماس الحاجب الناصري[5] خنقاً بأمر من السلطان الناصر محمد ، وسبب ذلك ورقة أرسلها ألماس إلى الأمير بكتمر الساقي يقول فيها : « إنني حافظ القلعة إلى أن يرد علي منك ما تعتمده» فكانت سبباً في هلاكه[6] . والذي أودى بحياة الأمير بكتمر الساقي وشاية وصلت إلى الناصر محمد بأنه ينوي الوثوب

---

(١) كان جوكندار ، ثم صار أمير جاندار ، وولي إمارة الحاج سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠١م) في عهد الناصر محمد، كان محمود السيرة محباً للخير ، لا يحب سفك الدماء ، حدثت له أمور كثيرة ، قتل بالإسكندرية سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٤٥٩-٤٦١ ، رقم ٩٣٥ ؛ المقريزي؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ١٦٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٣) ترقى في خدمة المنصور قلاوون ، ثم قبض عليه الناصر محمد ، مات سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م) ، كان كريماً فيه مروءة وعصبية . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٣٨٧-٣٨٨ ، رقم ٩٠٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ ، رقم ١٢٧٢ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٣ ، ص ١٥٠ .

(٥) هو الأمير سيف الدين الماس الناصري ، كان وجيهاً عند السلطان الناصر محمد ، تولى الحجوبية الكبرى في عهده ومات قتيلاً سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤) ، له جامع خارج القاهرة . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٢٩٢-٢٩٤ ، رقم ٨٤٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ١٥٤ ، رقم ٥٤٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ ، رقم ١٠٦٤ .

(٦) المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ .

على السلطان وانتزاع العرش منه ، فدس السلطان له من سقاه هو وابنه السم فماتا سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م) [١] ، على الرغم من أن الأمير بكتمر كان من أشد الأمراء قرباً لدى السلطان . أما أرغون الكاملي فقد نفاه السلطان الصالح صلاح الدين صالح إلى القدس بطالاً ، وظل بها حتى مات سنة (٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م) بتحريض من الأمير طاز بالقبض عليه [٢] ، وذلك بسبب التنافس الشديد بين هذين الأميرين . وفي سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) قبض السلطان الأشرف شعبان بن حسين على الأمير بكتمر المحمدي لما وصل إليه أنه يريد الفتنة والقبض على الأشرف وتولية السلطنة لإسماعيل بن الناصر حسن ، فقبض عليه وسجنه بالإسكندرية حتى مات[٣] .

ومن الأسباب التي قد تؤدي إلى إنزال العقوبة ببعض الأمراء عدم احترامهم لسلاطينهم وسوء تعاملهم ، فقد كان الأمير قطلوبغا الفخري سيء التعامل مع السلطان الناصر محمد فقبض عليه لكثرة مجاوباته وتجاسره على السلطان ، فأخرجه إلى الشام سنة (٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) [٤] ، أما طشتمر فقد ظل ممقوتاً عند السلطان الناصر محمد لأنه مر اللسان ، صعب الخلق ، كثير الشر ، ظالم الصورة [٥] .

ومن أسباب القبض على الأمير الماس الناصري حبه لصبي من أولاد الحسينية، وقد أخرج السلطان الناصر محمد الأمير بغا الدوادار الناصري [٦] إلى صفد بطالاً سنة (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) ، وظل بها حتى مات سنة (٧٣٧هـ/

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٥٥-٣٦٤ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص١٠٥-١٠٦ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٦٤ ؛ اليوسفي ؛ **نزهة الناظر** ، ص١٣٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٦ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ .

(٤) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٥٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٣ ، ص١٥٠.

(٥) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٥٨ .

(٦) كان دويداراً صغيراً عند الناصر محمد آخر سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) ، ثم عمل عليه النشو فصرفه ، مات سنة (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٤٣٩ ، رقم ٩٢٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ ، رقم ١٢٩٥ .

١٣٣٧م) لأنه كان مولعاً بالمردان وإدمان شرب الخمر [١] .

وقد يأمر بعض السلاطين بعض الأمراء بلزوم بيوتهم في حال الغضب عليهم دون نفيهم ، فقد رُسم للأمير خليل بن قوصون [٢] أحد الأمراء المقدمين في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين بأن يقيم في بيته بطالاً وذلك سنة (٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) [٣] ، كما رُسم للأمير طيبغا المحمدي [٤] بلزوم بيته بطالاً فبقي حتى مات سنة (٧٧١هـ / ١٣٦٩م)[٥] .

وعلى الرغم من تعرض بعض الأمراء للإهانة والعقوبة بشتى أنواعها من قبل السلاطين ، فإن هذا لم يكن يمنع من عودتهم إلى الوظائف في الدولة ، والتي قد تكون أعلى مرتبة مما كانوا عليه ، وقد تكون أقل من ذلك ، فعلى سبيل المثال كان الأمير سيف الدين كوندك الساقي نائب السلطنة في عهد السلطان السعيد بن الظاهر بيبرس [٦] لكنه عزله منها سنة (٦٧٨هـ / ١٢٧٩م) ونفاه إلى حلب ، غير أنه أنه أبقاه على إمرته ومنحه إمرة أربعين بحلب بعد أن كان مقدم ألف [٧] .

أما الأمير بيبرس المنصوري الدوادار ، فقد تولى في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون نيابة الكرك ، ثم عزله الأشرف شعبان وأقره دواداراً كبيراً ، وظل على وظيفته حتى عهد السلطان لاجين إلى أن عزله الأمير سلار من وظيفته [٨]

---

(١) المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ١ ، ص ٤٣٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ .

(٢) هو الأمير الكبير صلاح الدين ، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، مات سنة (٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) وكان من الفرسان الشجعان . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ٢٩٣ ، رقم ١٠٠٧ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣ .

(٤) هو أحد مماليك الناصر حسن ، تنقل في الخدمة إلى أن تأمر بحماة ، ثم تولى الإستادارية بمصر ، ثم تأمر تأمر بدمشق سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) ، ومات سنة (٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٤ ، ص ١٣ ، رقم ١٤٠٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ، رقم ٢٠٦٢ .

(٥) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٩٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص١٣٩ .

(٦) تولى الملك بعد وفاة أبيه الملك الظاهر بيبرس سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) ، وهو الملك الخامس من ملوك ملوك الترك ، كره الأمراء حكمه عليهم لأنه قبض على أكابر الأمراء وقدم الأصاغر ، فكانت نهايته الخلع بعد أن حكم قرابة سنتين وشهراً ويوماً . القرماني ؛ **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ** ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢-٢٧٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٤٢-٢٤٦ ؛ ابن شاهين الملطي ؛ **نزهة الأساطين** ، ص٧٧ .

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٦٥١-٦٥٥ .

(٨) بسبب شكوى تقدم بها كاتب السر شرف الدين بن فضل الله إلى الأمير سلار بأن بيبرس أهانه وشتمه .

وأبقاه على إمرته ، ولما عاد السلطان الناصر محمد من الكرك أعاده إلى وظيفته ، بل أضاف له كذلك نظر الأحباس ونيابة دار العدل ، ثم عينه نائباً للسلطنة سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م)[1] .

وفي سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) عين السلطان الناصر حسن الأمير منجك اليوسفي وزيراً وإستاداراً بالقاهرة ، غير أنه عزله عن وظيفته وقبض عليه وسجنه وصادره[2] ، ثم أفرج عنه السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد ، وأنعم عليه بتقدمة ألف، فلما عاد السلطان الناصر حسن للسلطنة للمرة الثانية[3] ولاه نيابة الشام ، وسرعان ما غضب عليه ونفاه إلى صفد بطالاً سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤ م)[4] ، وفي سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م) ولاه السلطان الأشرف شعبان بن حسين نيابة السلطنة والأتابكية وفوض إليه معظم الأمور في الدولة[5] .

أما الأمير شيخو العمري فقد ولاه السلطان الناصر حسن نيابة دمشق ،ثم عزله وسجنه سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) ثم أفرج عنه سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) في عهد السلطان الصالح صلاح الدين محمد ، فلما عاد السلطان حسن للسلطنة للمرة الثانية سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) قرب إليه هذا الأمير وجعله أتابك عسكره ، بل إنه ألغى نيابة السلطنة واستحدث مكانها وظيفة أمير كبير ، وولاها للأمير شيخو العمري[6] .

كذلك الأمير أرغون السلاري الذي ولاه السلطان الناصر حسن نقابة الجيش، غير أن الأشرف شعبان عزله من وظيفته وأقامه بطالاً شهراً واحداً ثم

. ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٣٠٠ .

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٢٢-٥٢٣ .

(٣) تولى السلطان الناصر حسن السلطنة مرتين ، الأولى سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) ، ثم عُزل سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) بعد أن حكم ثلاث سنين وتسعة أشهر وأيام ، والمرة الثانية سنة (٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م) ، وقد قُتل على يد مملوكه يلبغا سنة (٧٦٢هـ) ، وهو آخر من ولي ملك مصر من أولاد السلطان الناصر محمد ، ومدة حكمه في الفترة الثانية ست سنين وسبعة أشهر ، فيكون مدة حكمه بالديار المصرية والشامية عشر سنين ونصف وأيام . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق٣ ، ص ٢٢٩ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٣٨-٥٧٧ ؛ ابن حبيب ؛ **تذكرة النبية** ، جـ ٣، ص ١٠٢ .

(٤) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٤ ، ص ٢٢٠-٢٢١ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ١٨٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة**. جـ ١٠ ، ص ٢٥٠ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٣٢ .

(٦) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٥٤ .

أعاده إلى وظيفته [1] .

وقد عاد الأمير بلبان السناني إلى إمرة ضعيفة بعد أن كان إستاداراً في عهد السلطان الناصر حسن ، وبقي على إمرته حتى مات [2] . وتعرض ا لأمير أقبغا الناصري للنفي إلى الشام وإقامته بطالاً بعد أن كان دويداراً عند السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، غير أنه أعاده إلى القاهرة وجعله طبلخاناة وذلك سنة (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) [3] .

وقد يكون عقاب بعض الأمراء خفيفاً وذلك بإحالته إلى منزلة الطرخان [4] وإعطائه إمرة تقل عن إمرته التي كان عليها ، ففي سنة (٧٦١هـ / ١٣٦٠م) حضر الأمير منجك اليوسفي إلى السلطان الناصر حسن ، وكان على هيئة الفقراء [5] ، فلما رآه السلطان وبخه بالكلام ، فقال منجك : «يا مولانا السلطان ، أنا قد تركت الدنيا وخرجت فقيراً سواحاً على باب الله تعالى» ، فرق له السلطان فعفا عنه وأنعم عليه بإمرة أربعين في الشام يأخذ خراجها وهو طرخان إلى أن يموت [6] .

وفي سنة (٧٦١هـ / ١٣٦٠م) أُفرج عن الأمير طاز وكان مسجوناً بالإسكندرية ، وقد أكحلت عيناه بأمر من السلطان الناصر حسن ، فلما مثل بين يدي السلطان صلاح الدين بن المظفر حاجي سأله الإقامة بالقدس فأجابه السلطان

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٩١ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ .

(٤) الأمراء أو الجنود من المماليك الذين كبروا في السن أو ضعفت قدرتهم وأصبحوا لا يستطيعون القتال أو القيام بأعباء العمل في الدولة ، يسمى الواحد منهم طرخاناً ، وحالته طرخانية ، والجمع طرخانيان ، وهو لا يتسلم إقطاعاً ، وإنما يمنح مبلغاً معلوماً من المال ، ويصدر له بذلك تقليد من السلطان ، وفيه مزاياه واستحقاقه ، وله الحق في العيش في أي مكان يشاء دون التقيد بجوار السلطان أو في العاصمة . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ١٣ ، ص ٤٨-٥٢ .

(٥) عبارة عن بشت عسلي وعلى رأسه مئزر صوف أبيض . ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٧٢ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٥٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٥٧٢ .

وأنعم عليه بإمرة أربعين ، وأقام بالقدس فترة ثم نقل إلى دمشق سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦١م) وأعطي إمرة طرخان ، وبقي بها إلى أن مات سنة (٧٦٣هـ / ١٣٦٢م) [١].

وفي سنة (٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م) ارتجع السلطان علي بن الأشرف شعبان من الأمير طينال المارديني [٢] إمرة الطبلخاناة التي كان عليها وأعطاه بدلاً منها إمرة عشرة ، ورسم له أن يكون طرخاناً [٣].

وفي سنة (٧٨١هـ / ١٣٧٩م) سمح السلطان علي للأمير أيدمر الشمسي [٤] أحد المقدمين أن يكون طرخاناً ، ورتب له ما يكفيه [٥] .

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق ١ ، ص ٩٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٥٨١ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص ١٢٩ .

(٢) هو الأمير سيف الدين ، أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، كان من مماليك الملك الناصر محمد ، ثم صار في أيام الناصر حسن أمير مائة ومقدم ألف بالقاهرة ، نفاه الملك الناصر حسن إلى البلاد الشامية ، فأقام بها إلى أن ملك الأشرف شعبان بن حسين سنة (٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) فأحضره إلى القاهرة ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بمصر ، واستمر كذلك فترة ، ثم انتزعها منه وأعطاه إمرة طبلخاناة ، ثم جعله والي قلعة الجبل ، واستكثرها عليه فانتزع الطبلخاناة منه وأعطاه إمرة عشرة ، وتركه طرخاناً حتى مات سنة (٧٩٩هـ / ١٣٩٥م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير**، جـ ٤ ، ص ٧ ، رقم ١٤٠٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** . جـ٧ ، ص ٤٢ ، رقم ١٢٩٥ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ١٢٦-٢١٧ .

(٤) أيدمر الشمسي أحد أعيان الأمراء بالديار المصرية ، تولى ولاية البحيرة ، مات سنة (٧٨٣هـ / ١٣٨١م) ، وبموته خلا الجو لبرقوق فتسلطن . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** . جـ ١ ، ص ١٦٩ ، رقم ٦٠٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٢٣٣-٣٠١ .

(٥) ابن إياس ؛ بدائع الزهور ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٢٣٣ .

الفَصْلُ الثَّانِي

وظائف الأمراء وأوضاعهم الاقتصادية

المبحث الثاني

مواردهم ومخصصاتهم

الأمراء المماليك هم أصحاب الحل والعقد في الدولة المملوكية ، فمنهم السلاطين ، ومنهم كبار رجال الدولة المتسلطون على الأمر والنهي فيها ، لذلك من الطبيعي أن تكون ثروات البلاد في أيديهم ، فقد وُجد عدد من الأمراء يتمتعون بثروات طائلة ، ساعدهم في ذلك ما تمتعت به مصر من رخاءٍ اقتصادي ، حتى صارت حياتهم الخاصة والعامة مليئة بالكثير من ألوان البذخ والترف والغنى

الزائد، ظهر ذلك من خلال الأموال التي فاضت بها خزائنهم ، وما حوته قصورهم من الأواني والأثاث بأنواعه ، وكذلك من خلال النفقات التي ينفقونها على مماليكهم وعلى حفلاتهم وأسمطتهم التي تمد في كثير من المناسبات ، وعند تجهيز بناتهم وهو ما عرف في المصطلح المملوكي بـ (الشوار) [1] .

بعض الأمراء كانوا ينفقون على مماليكهم نفقات كبيرة ، فقد اشتهر الأمير بيبرس الصالحي [2] بكثرة ما يُجري على مماليكه من رواتب وفيرة ، تراوحت في اليوم الواحد بين سبعين رطلاً من اللحم وما يحتاج إليه من التوابل ، فضلاً عن سبعين عليقة [3] وبلغ ما يحتاج إليه هذا الأمير في كل يوم لسماطه ولدُوره ثلاثة آلاف رطل من اللحم ومثلها عليقة [4] .

وكان للأمير شمس الدين بيسري الشمسي [5] عدة مماليك جامكية كل واحد منهم مائة رطل من اللحم ، وفيهم من له في اليوم مبلغ ستين عليقة لخيله ، وبلغ عليق خيله وخيل مماليكه في كل يوم ثلاثة آلاف عليقة ، سوى علف الجمال ، وكان

---

(١) متاع البيت أو المستحسن منه ، (جهاز العروس) . ابن منظور ؛ **لسان العرب** ، جـ٤ ، ص ٤٣٦؛ فائزة الوكيل ؛ **الشوار جهاز العروس في مصر** ، ص ٤٤٧ ، حاشية رقم (٤) .

(٢) هو الأمير ركن الدين بيبرس العجمي ، المعروف بالجالق ، كان أميراً في زمن الصالح أيوب ، ثم في أيام الظاهر بيبرس له أموال جمة . اتصف بالشجاعة ، غير أنه ما خاض معركة إلا وانهزم رغم أنه يبلي فيها بلاءً عظيماً ، توفي سنة ٧٠٧ هـ/ ١٣٠٧ ، وعمره ثمانين سنة . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ٥٢٧ ، رقم (٩٩٤) ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص ٢٩٩ ، رقم (١٣٧٧) .

(٣) علف الدواب . ابن منظور ؛ **لسان العرب** ، جـ ١٠ ، ص ٢٦٩ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٨٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٨ ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٥) هو الأمير بدر الدين الصالحي النجمي ، أصله مملوك الأمير شمس الدين قراسنقر الكاملي ، ثم خدم الصالح نجم الدين أيوب ، أصبح من أمراء الألوف في عهد دولة المماليك البحرية ، اعتقله المنصور قلاوون ثم أفرج عنه الأشرف خليل ، وظل على إمرته حتى كان عهد المنصور لاجين فقبض عليه لوشاية من منكوتمر وظل في سجنه حتى مات سنة (٦٩٨هـ - ١٢٩٩م) ، كان من أحسن الناس وأعرفهم بالفروسية . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ٥٧٦-٥٨١ ، رقم ١٠١٦ ؛ ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ ٣ ، ص ٥٠٠-٥٠٢ .

ينعم بآلاف الدنانير في كثير من المرات [1] .

وكان الأمير أرغون العلائي - والذي عرف بالكرم - ينعم سنوياً على الأمراء المماليك بمائتين وثلاثين فرساً ، ومبلغ أربعين ألف دينار [2] ، وأنفق من ماله في العسكر لكل أمير عشرة مائتي دينار ، ولكل مقدم حلقة خمسين ديناراً ، ولكل جندي خمسة عشر ديناراً [3] .

وبعث الأمير بشتاك الناصري لكلٍ من أكابر الأمراء المقدمين ما بين ثلاثة رؤوس إلى رأسين من الخيول المجهزة بالقماش الفاخر ، وبعث معها الهجن المهرية ، وبعث إلى الأمراء الخاصكية مثل الأمير ملكتمر الحجازي والأمير طاجار الناصري[4] ويلبغا اليحياوي والطنبغا المارديني وغيرهم ؛ شيئاً كثيراً من الذهب والجواهر واللؤلؤ والتحف وفرق عدة من الجواري في الأمراء ، بحيث لم يبق أحد من الأمراء إلا وأرسل له ، وفرق فيهم أيضاً اثني عشر ألف إردب غلة وفعل مع مماليكه وأجناده مثل ذلك [5] ، وفي سنة (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) كسرت يد السلطان الناصر محمد ثم عوفي بعد مدة ، فقامت الأفراح في القلعة وسائر بيوت الأمراء مدة أسبوع ، فلم يبق أمير إلا وعمل في بيته فرحاً وأنفق فيه الأموال الطائلة [6] .

وظهر ثراؤهم كذلك في مواكبهم التي اتصفت بالفخامة والروعة ، فقد حرص بعض الأمراء على التجمل في مواكبهم ومنافسة غيرهم من الأمراء ، فيخرج أحدهم في زينة عظيمة تدل على ثرائه ، فكان الأمير بشتاك الناصري والأمير قوصون يتنافسان فيما بينهما ، فيخرج كل منهما في موكبه غايةً في التجمل ينافس

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤١٢ ، مطبعة بولاق ؛ **المقفى الكبير** ؛ جـ ٢ ، ص ٥٨٠ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢، ق ٣ ، ص ٧٥٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١، ص٢٠٦.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٥٧٧-٥٧٨ .

(٤) تأمر في عهد الناصر محمد أمير عشرة ، ثم أمير طبلخاناه ، ثم بعد مدة طويلة تولى الدويدارية ، وتمكن من الناصر تمكناً عظيماً ، وعلى المنصور أبي بكر ، أراد قتل الأمير قوصون فعاجلة الأمير قوصون وأرسله إلى الإسكندرية وقتل هناك سنة (٧٤٢ هـ / ١٣٤١م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٢٨، رقم (١٩٩٨) .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٥٦١-٥٦٢ ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨-٣٤٩ ، مطبعة بولاق.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢، ق ٢ ، ص ٣١٧-٣١٨ .

أحدهما الآخر [1] ، وكان الأمير أرغون العلائي يخرج في عدة مـن الأمـراء ، ويـزيّن خيله زينة عظيمة ، ويرتبها بنفسه [2] ، وكان الأمير بكتمر الساقي إذا خرج للحج مع السلطان يخرج في تجمل هائـل ، وكـان ثقلـه قريبـاً مـن ثقـل السـلطان وهـو يزيـد بالزركش وآلات الـذهب [3] ، أمـا الأمـير يلبغـا الخاصـكي فإنـه إذا خـرج لمقابلـة السلطان شعبان بن حسين بالقلعة يصطف مماليكه على خيولهم عـلى طـول الطريـق من بيته إلى القلعة [4].

ثراء الأمراء ظهر كذلك في حفلاتهم وما تمد فيها من الأسـمطة المليئـة بـأنواع الأطعمة ، فقد أقام الأمير سلار سماطاً عظيماً للسلطان الناصر محمد عنـدما عـاد إلى القاهرة سنة (٧٠٩ هـ / ١٣١٠م) في ولايته الثالثة بلغت النفقة عليـه اثنـي عشـر ألف درهم ، كما قدّم أعداداً كبيرة من المماليك والخيـون والتعـابي [5] مـا قيمتـه مائتـا ألف درهم [6] ، وأقام كذلك الأمير طاز وليمة عظيمة بداره التي عمرها [7] فحضرها فحضرها السلطان صلاح الدين بن النـاصر محمـد وجميـع الأمـراء ، فلـما انقضـى السماط قدم الأمير طاز للسلطان أربعة رؤوس خيل مسرجة ملجمة بسـروج ذهب وكنابيش [8] ذهب مطـرزة ، ولكـل مـن الأمـيرين شـيخو وصرغـتمش فرسـين –

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤١٤ ، مطبعة بولاق .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٦٤٣ .

(٣) المقريـزي ؛ **السـلوك** ، جــ ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٣٤ ؛ اليوسـفي ، **نزهـة النـاظر** ، ص ١٥٠ ؛ ابـن حجـر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ .

(٤) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٥١ .

(٥) مفردها تعبية ، وهي عبارة عن قطعة قماش توضع فيها الثياب كالبقجـة . محمـد أحمـد دهمـان ؛ **معجـم الألفاظ التاريخية في العصـر المملـوكي** ، ص ٤٦ ؛ سـعيد عبـد الفتـاح عاشـور ؛ **العصـر المماليكـي** ، ص٤٠٩ .

(٦)المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢، ق ١ ، ص ٥٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٠٦ .

.

(٧) تقع هذه الدار بجوار المدرسة البندقدارية تجاه حمام الفرقـاني ، أنشـأها الأمـير طـاز سـنة (٧٥٣ هــ) . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٢٠ .

(٨) خمار لتغطية الوجه ، وأطلق اللف أيضاً على البرذعة التي توضع تحت سرج الفرس . محمد أحمد دهمان؛ دهمـان؛ **معجـم الألفـاظ التاريخيـة** ، ص ١٣١ ؛ سـعيد عبـد الفتـاح عاشـور ؛ **العصـر المماليكـي في مصروالشام** ، ص٤٥١ .

لمكانتهما - ولمن عداهما من الأمراء لكل واحد منهم فرساً [1] .

وقد تُضاهي بعض الأسمطة التي يمدها الأمراء سماط السلطان نفسه ، فقد كان الأمير قوصون نائباً للسلطنة في عهد السلطان الأشرف كجك ، فكان يمد سماطاً - في الدار التي بناها بالقلعة - أعظم من سماط السلطان [2] ، وكان الأمير شيخو يعمل كل يوم جمعة وليمة عظيمة يجمع فيها الفقهاء للمذاكرة والإنشاء [3] .

وكان الأمير بشتاك الناصري إذا خرج لرحلة صيد ومعه عدد من الأمراء يذبح لسماطه في كل يوم خمسين رأساً من الغنم وفرساً ، بخلاف الأوز والدجاج [4] .

.

وضُرب المثل بسماط الأمير يلبغا العمري ، فيقال (الصحن اليلبغاوي) ، وضريبة هذا الصحن عشرة أرطال لحم ضاني [5] .

وفي حفلات الختان تظهر كذلك ثروات الأمراء ، فكلما عظم مركز أهل هذا الحفل عظم اهتمام الأمراء بهم ، فعندما خُتن أخو السلطان الناصر محمد ومعه بعض أولاد الأمراء قام الأمراء بنثر الذهب حتى امتلأت الطشوت منه [6] .

وفي حفلات الزفاف كذلك أبدع الأمراء كثيراً عند حضورهم ، ففي زواج ابن السلطان الناصر محمد (أنوك) [7] على ابنة الأمير بكتمر الساقي ؛ قدم الأمراء الشموع وعدتها ثلاثة آلاف وثلاثون شمعة ، وبينها ثلاثة آلاف وستون قنطاراً ،

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٨٩٧ ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٢٠ ، مطبعة بولاق .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٣ ، ص ١٥٥ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢، ق ٣ ، ص ٨٦٤ .

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٣٤٩ ، مطبعة بولاق ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ١٠ ، ص ٧٤-٧٥ .

(٥) إبراهيم علي الطرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص ٣٠٥ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٧٨٦ .

(٧) ولد في رجب سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) ، نشأ جميلاً للغاية ، أمّره أبوه السلطان الناصر إمرة مائة ، وقدمه على إخوته ، زوجه أبوه وهو ابن عشر سنين ببنت الأمير بكتمر الساقي ، مات سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) وحزن عليه أبوه كثيراً . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ ١ ، ص ١٥٧ ، رقم ٥٥٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ ، رقم ١٠٨٤ .

وقد اعتنى الأمراء بتقادمهم ونقشت نقشاً بديعاً ، وكان أجمل وأبدع ما قُدم شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولي [1] .

ونظراً للثراء الذي تمتع به الأمراء المماليك وحبهم للأبهة والمغالاة في تجهيز بناتهم ؛ نجد أن بنت كل أمير تحمل معها الكثير من الحلي والأمتعة والأثاث بحسب ثراء أبيها [2]. ففي سنة (٧٣٢ هـ / ١٣٣١م) جُهزت بنت الأمير بكتمر الساقي لابن السلطان الناصر محمد (أنوك) ، فخرج شوارها من قصر أبيها ، وكان عدة الحاملين ثمانمائة حمال [3]، ووزن زركش داير البيت ستون ألف مثقال من الذهب [4] ، ، وبلغ ما حمله الأمير بكتمر معها من الشورة ألف ألف دينار مصرية [5] ، ومع هذا لم لم يكن هذا الشوار الذي دخلت به بنت الأمير بكتمر يعجب السلطان الناصر محمد رغم كثرته ، فقال : «أنا رأيت شوار بنت الأمير سلار ، وهو أكثر من هذا وأحسن ، على أن هذا يا أمير بكتمر ما يقابل به أنوك!» ، فالتفت إلى الأمير طقز تمر والأمير سيف الدين أقبغا وقال لهما : «جهزا بنتكما ولا تخاسسا مثل الأمير» . هذا مع أن الذهب الذي دخل في الزركش والمصاغ نحواً من ثمانين قنطاراً [6].

وعندما ولدت بنت الأمير بكتمر زوجة السلطان الناصر محمد قدم لها والدها

---

(١) ينسب لأمير يقال له جاول ، خدم المنصور قلاوون ، تنقل في الوظائف ، قبض عليه الناصر محمد سنة (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م) وأحيط بماله وصودر ، والسبب في ذلك أن الناصر محمد اختار أن يكون تنكز واسطة بينهم وبين الناصر فغضب الجاولي لأنه كان يظن أنه بتقدمة لا يتقدم عليه تنكز ، قبض عليه الناصر ثم أفرج عنه سنة (٧٢٨هـ / ١٣٢٨م) وأمّره مائة ، كان من أمراء المشورة محباً للعلم ، توفي سنة (٧٤٥هـ / ١٣٤٤م) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٠٠-١٠١ ، رقم ١٨٧٨؛ المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٤٥ .

(٢) فائزة الوكيل ؛ **الشوار جهاز العروس** ، ص ٤٤٤ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢، ص ٤١٠ ، مطبعة بولاق ؛ ابن تغري بردي ؛ **المنهل الشافي** . جـ ٣ ، ص١١٠ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ١ ، ص ٢٨٩ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٤٦ .

(٦) ابن تغري بردي ؛ **المنهل الشافي** . جـ ٣ ، ص ١١٠-١١١ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١، ص٢٤٥.

مقنعة وطرحة بلغ ثمنها سبعة آلاف دينار [1].

ومن مظاهر الثراء الذي تمتع به الأمراء تلك القصور التي حوت الكثير من الأثاث وأفخم الكماليات ، فقد عرفت قصور الأمراء بسعتها بحيث تكفي لسكن نسائهم وجواريهم ومماليكهم ، وقد يكون اصطبل الأمير داخلاً في نطاق القصر أو منفصلاً عنه ، ومن أشهر قصور الأمراء التي عرفت بالسعة الدار التي عمرها الأمير ركن الدين بيسري الشمسي ، فقد جاءت من حيث سعتها باصطبلاتها وبساتينها والحمام بجانبها نحو فدانين. وقد بالغ في الصرف عليها حتى أنكر عليه السلطان الظاهر بيبرس ذلك ، فبين له أن القصد من وراء هذا هو التفاخر أمام العدو فيقال إن بعض مماليك السلطان عمر داراً غَرِم عليها مالاً عظيماً [2].

واصطبل الأمير بكتمر الساقي اعتبره المؤرخون من أعظم مساكن مصر وأجلها قدراً وأحسنها عمراناً ، إذ اتسع هذا الاصطبل لستمائة رأس من الخيل يشرف على كل ستة رؤوس منها سائس لكل منهم سطل من نحاس ، وكان عددهم مائة سائس [3] ، وهو غاية في الحسن ، ولا ينزله إلا أعيان الأمراء [4]. وقصر وقصر الأمير بشتاك كان واسعاً للغاية ، حيث قام بشراء قصر الأمير بكتاش – أمير سلاح – وأخذ أرضاً من السلطان الناصر محمد كانت مجاورةً له ، وهدم أحد عشر مسجداً وأربعة معابر قديمة وأدخلها في ذلك البناء لحبه البالغ في التجمل [5] ، بل بالغ في ذلك وجعل سقفه من الذهب ، ونوافذه من الحديد المزخرف ، وكان في وسطه فسقية كبيرة من الرخام [6] .

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤١١ ، مطبعة بولاق .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤١٠ ، مطبعة بولاق ؛ ابن تغري بردي ؛ **المنهل الشافي** . جـ ١ ، ص٣١٦ .

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤١١ ؛ اليوسفي ؛ **نزهة الناظر** ، ص ١٥٠ .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤١٣–٤١٤ ، مطبعة بولاق .

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤١٤ ، مطبعة بولاق ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، **المجتمع المصري** ، ص ١١٢ .

أما ما حوته قصورهم فقد عجب لها عدد من المؤرخين ، وذكروا ذلك في مؤلفاتهم ، واتضح ذلك من خلال المصادرات التي بينت ما بلغه الأمراء من الثراء والغنى ، ففي سنة (٦٨٩ هـ - ١٢٩٠م) أمر السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الأمير سنجر الشجاعي أن يحتاط على موجود الأمير حسام الدين طرنطاي ، فظهر له من الأموال والتحف ما لا يسمع بمثله ، فحُمل كله إلى السلطان [(١)] ، فقد أُخرج من بيته ستمائة ألف دينار ، ومائة وسبعون قنطار فضة ، أما الأواني الفضية والمكفتة والخيل والبغال والهجن والجمال والأبقار والحواصل فهي أكثر من أن تدرك ، ومن القماش شيء كثير من جملته أربعمائة وعشرون ثوباً أطلس ، منها أطلس أحمر معدني، ومنها أطلس أصفر تتروح قيمة كل ثوب بين ألف وخمسمائة وألف وسبعمائة دينار ومنها ألفا حياصة ذهب ، وألف وسبعمائة كلوتة زركش ، ومن أصناف السلاح ثلاثمائة وتسعون قرقلاً [(٢)] ، ومائة وثمانون جوشناً [(٣)] مسقطاً ، وستون بركستوناً [(٤)]، ومائة وستون طارقة [(٥)] مسقطة ، وثلاثمائة سيف ، وألف وستمائة صندوق من النشاب ، ووجد له أربعمائة وثمانون مملوكاً [(٦)] .

والأمير سلار وجد في خزائنه من الأموال والتحف ما لم يسمع بمثله ، فقد استغرق إحصاؤها وجردها أربعة أيام ، في اليوم الأول بلغ الذهب العين مائتي ألف دينار ، ومن الفضة أربعمائة درهم ، وصناديق إفرنجية مصفحة بنحاس داخلها

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٦٦ .

(٢) هو نوع من الدروع يصنع من صفائح الحديد المغشى بالديباج الأحمر والأصفر . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ١١ ؛ محمد أحمد دهمان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية** ، ص ١٢٣ ؛ ماير ؛ **الملابس المملوكية** ، ص٧٣.

(٣) جمعها جواشن وجواسن ، وهي أقمصة الزرد ، تقوى برقائق مستطيلة من المعدن ، تتداخل أطرافها بعضها تحت بعض . ماير ؛ **الملابس المملوكية** ، ص ٦٨ .

(٤) هي أغطية الحصان المزركشة ، وتكون لغير الخيول كذلك كالفيلة . محمد أحمد دهمان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية**، ص ٣٣ .

(٥) ذكر ماير أن الدروع التي على هيئة الطائرة تسمى طارقة وجمعها طوارق . **الملابس المملوكية** ، ص ٨٧ .

.

(٦) العيني ؛ **عقد الجمان** ، جـ ٣، ص ٢٧-٢٩ ؛ المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٧٥٨ .

الفصوص والجواهر بأنواعها ، وبلغت الأموال مائتي ألف دينار من الذهب ، وأربعمائة ألف وواحد وسبعين ألف درهم . أما في اليوم الثاني فقد ظهر له من الذهب العين خمسة وخمسون ألف دينار ، ومن الفضة ألف ألف درهم ، ومن الفصوص المختلفة رطلان ، وظهر له مصاغ من الذهب ما بين خلاخيل وسوار زنتها أربعة قناطير ، ووجد عنده كذلك طاسات وأطباق وطشوت من الفضة ، وأهوان من الذهب ؛ بلغ وزنها ستة قناطير . وفي اليوم الثالث ظهر له من الذهب خمسة وأربعون ألف دينار ، ومن الفضة ثلاثمائة وثلاثون ألف درهم ، وبعض الأدوات الفضية . وفي اليوم الرابع ظهر له من الذهب كذلك ألف ألف دينار ، ومن الفضة ثلاثمائة ألف درهم ، ووجدوا عنده أقبية من الحرير وأخرى ملونة ، ومائة سرج من الذهب [1] ، الأمر الذي أدهش المؤرخون ، وجعلهم يتساءلون كيف جمع الأمير سلار كل هذه الأموال والمقتنيات وله في نيابة السلطنة إحدى عشرة سنة فقط؟ [2] .

والأمير بكتمر الساقي عده المؤرخون من أغنياء الأمراء كثيري المال [3] ، فقد خلف بعد مقتله ثروةً طائلة قال فيها المقريزي في كتابه الخطط : «خلف من الأموال والقماش والأمتعة والأصناف والزردخاناه [4] ما يزيد على العادة والحد ، ويستحي العاقل من ذكره ، فأخذ السلطان من خيله أربعين فرساً ، وقال : هذه لي ما وهبته إياه ، وبيع الباقي من الخيل على ما أخذه الخاصكية بثمن بخس بمبلغ ألف ألف درهم فضة ، ومائتي ألف درهم ، وثمانين ألف درهم فضة خارجاً عما في

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٣٧ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ١ ، ص ٩٧-٩٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٣٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٠٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٤٦٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ .

(٤) هي المكان المخصص لحفظ السلاح (بيت السلاح) والعتاد الحربي ، وقد تطلق على السلاح نفسه . القلقشندي؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٤ ، ص ١١-١٢ ؛ محمد أحمد دهمان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية** ، ص ٨٦ .

الجشارات[1] ، وأنعم بالزردخاناه والسلاح خاناه التي له على الأمير قوصون بعد ما أخذ منها سرجاً وسيفاً القيمة عن ذلك ستمائة ألف دينار ، وأخذ السلطان صناديق جواهر مثمناً لا تعلم قيمة ذلك ، وبيع له من الصيني والكتب والختم والمربعان ونسخ البخاري والدوايات الفولاذ والمطعمة والبُصم بسقط الذهب وغير ذلك من الوبر والأطلس وأنواع القماش السكندري والبغدادي ، وغير ذلك شيء كثير إلى الغاية المفرطة ، ودام البيع لذلك عدة شهور»[2] .

وعندما هجم العامة على قصر الأمير قوصون سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) ونهبوا ما فيه ظهر شيء كثير ، يقول المقريزي في كتابه الخطط : «فأتت النهابة على جميع ما في اصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التي كانت بالقصر وكانت تشتمل من أنواع المال والقماش والأواني الذهب والفضة على ما لا يُحد ولا يُعد كثرة ... واحتمل النهابة أكياس الذهب ، ونثروها في الدهاليز والطرق ، وظفروا بجواهر نفيسة وذخائر ملوكية وأمتعة جليلة القدر وأسلحة عظيمة وأقمشة مثمنة ، وجروا البسط الرومية والآمدية .. وكسروا الأواني البلور والصيني ، وقطعوا سلاسل الخيل الفضة والسروج الذهب والفضة .. وذكر كاتب قوصون أن الذهب المكيس والفضة كان ينيف على أربعمائة ألف دينار ، وأما الزركش والحوايص والمعصبات ما بين خوانجات وأطباق فضة وذهب فإنه فوق المائة ألف دينار ، وأما البلور والمصاغ فإنه لا يحضره . وكان هناك ثلاثة أكياس أطلس فيها جوهر قديم جمعه في طول أيامه لكثرة شغفه بالجوهر ، وجمع ما لم يجمع مثله ملك كان ثمنه نحو المائة ألف دينار ، وفي حاصله عدة مائة وثمانين زوجاً بسط منها ما طوله من أربعين ذراعاً إلى ثلاثين ذراعاً عمل البلاد .. ثمن كل زوج اثنا عشر ألف درهم نقرة ، منها أربعة أزواج بسط من حرير ...»[3] .

---

(١) الجشّار صاحب مربع الخيل ، وخيل مجشرة مرعية ، والجشَار مكان الرعي . ابن منظور ؛ **لسان العرب** ، جـ٤ ، ص ١٣٧ .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٤١٧-٤١٨ ، مطبعة بولاق .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٢ ، ص ٤١٨ ، مطبعة بولاق ؛ ابن إياس ؛ بدائع الزهور ، جـ١ ، ق ١ ، ص٤٩٣ .

ووجد في دار الأمير قراسنقر [1] سنة (٧١٢ هـ / ١٣١٢م) لما أُحيط بها اثنان وثلاثون ألف ألف دينار ، ومائة ألف وخمسون ألف درهم فضة ، وسروج مذهبة وغير ذلك، وحملت إلى بيت المال [2] .

وكان للأمير ألماس الحاجب أموال جزيلة جداً ، وكان يقول للأمراء مفتخراً : «عندي الذهب والدراهم ومن فيكم مثلي» ، ووجد في خزائنه بعد القبض عليه سنة (٧٣٤ هـ / ١٣٣٣م) ستمائة ألف درهم فضة ، ومائة ألف درهم فلوس ، وأربعة آلاف دينار، وثلاثون حياصة ذهب كاملة بكلفتاتها الذهب وخلعها الحرير وبعض الجواهر وعدة أشياء ثمينة [3] .

وعندما مات الأمير سيف الدين بهادر المعزي [4] سنة (٧٣٩ هـ / ١٣٣٩م) ترك أموالاً وفيرة من بينها ثلاثمائة ألف دينار ، وستمائة ألف درهم نقرة ، وأربعمائة فرس ، وثلاثمائة جمل ، ومبلغ خمسين ألف إردب غلة ، وثمان حوائص ذهب ، واثني عشر طراز زركش وعقاراً كثيراً ، فأخذ السلطان الناصر محمد جميع ما خلفه [5] .

وصفوة القول أن معظم الأمراء المماليك كانت لهم ثروات طائلة ، نستنتج ذلك من قول السلطان قطز الذي حمل على عاتقه الدفاع عن مصر من خطر المغول ، حيث جمع الأمراء وطلب منهم مد يد العون والمساعدة لمنازلة المغول والدفاع عن أرض مصر ، فتسابق الأمراء فأحضروا ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلي نسائهم وأموالهم ، وحلف كل واحدٍ منهم أنه لا يملك سوى هذا ؛ ولأنه يدرك غنى

---

(١) تقع برأس حارة بهاء الدين . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٣٨١ ، مطبعة بولاق .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٣٨١ ، مطبعة بولاق .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٦٦-٣٦٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٠.

(٤) من مماليك المنصور لاجين ، رباه صغيراً حين وجده يتيماً بحلب ، ولاه أميراً واستمر على ذلك حتى قبض عليه الناصر محمد سنة (٧١٥هـ / ١٣١٥م) ، وظل معتقلاً مدة خمس عشرة سنة ، ثم أفرج عنه ، ثم قربه الناصر وأعطاه إمرة مائة ، كان خيراً ساكناً حسن الصورة يجيد الفروسية ، توفي سنة (٧٣٩هـ / ١٣٣٩م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ٥٠١-٥٠٢ ، رقم ٩٧٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٩٣ ، رقم ١٣٥٣ .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٢٥ ، مطبعة بولاق .

الأمراء فإنه أمر بفرض دينار على كل فرد وقال : «بلغني أن لكل أمير من الأمراء مالاً جزيلاً ، فمنهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلي ، ويعمل الأناء الذي يستنجي منه في الخلاء من الفضة ، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر» [1] .

هذه المقولة والدولة المملوكية لا تزال في طور الإنشاء ، فكيف يكون الأمراء إذاً في عهد القوة والتمكين وفي عهد سلاطين قربوا إليهم الأمراء وأغدقوا عليهم بالأموال والخلع؟ وعلى الرغم مما قد يكون في هذه الأوصاف من مبالغة فإنها ولا شك تعكس ما كان عليه الأمراء من ثراء .

أما عن مصادر هذه الثروات فيمكن حصرها فيما يلي :

١- الإقطـــاع :

المصدر الأول الذي يحصل منه الأمراء على أرزاقهم من الدولة سنوياً ، وهو عبارة عن أرض ومنها ما هو نقد على جهات يتناولها منها [2] يقررها السلطان له . هذه الأراضي المقطعة تكون أرضاً زراعية ، فما يتحصل الأمراء من هذه الأراضي سواء نقداً أو عيناً تكون أجراً لهم مقابل خدمتهم للدولة وتجهيزهم للجند [3] .

هذه الإقطاعات كان ينظر لها بأنها من نعم السلطان وعطاياه ، بل من صدقاته وكرمه وبره على أمرائه وجنده المخلصين له وللدولة ، اتضح ذلك من بعض المنشورات التي كُتبت ومنها : «وبعد .. فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تُجدد إنعاماً وتزيد إكراماً» ، «فنعمنا إذا أولت ولياً منحها وآلت ، وإذا قدمت صفياً وهبته مزيدها وأنالت» ، «فكرمنا يسبغ المواهب والمنائح ، ونعمتنا تبلغ المآرب والمناجح ..» [4] .

المماليك ساروا على التقسيم الذي وضعه أساتذتهم الأيوبيون في تقسيم أراضي مصر حيث كانت مقسمة إلى أربعة وعشرين قيراطاً ، موزعة على النحو التالي : للسطان أربعة قراريط ، وللأمراء عشرة قراريط ، وللجند عشرة قراريط [5] .

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٩٨ .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥٦ ، مطبعة بولاق .

(٣) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٥٠-٦١ ، جـ١٣ ، ص ١٥٠-١٥٢ .

(٤) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ١٣ ، ص ١٦٩-١٩٧ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٤٢ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٩٧ .

واستمر هذا التوزيع معمولاً به في عصر الدولة المملوكية حتى تولى السلطان لاجين الحكم سنة (٦٩٧ هـ / ١٢٩٦م) وقام بروك الأرض ، فتغير التوزيع في عهده إلى أحد عشر قيراطاً للأمراء والجند ، وتسعة قراريط للعسكر الذي استجده ، وأربعة للخاص السلطاني(١) .

ثم تغير التوزيع أيضاً بعد أن تولى السلطان الناصر محمد الحكم ، حيث عمل على روك الأرض للمرة الثانية سنة (٧١٥ هـ / ١٣١٥م)(٢) فأصبح التوزيع أربعة عشر قيراطاً للأمراء ، وعشرة قراريط للسلطان ومماليكه(٣) .

أما عن كيفية حصول الأمراء والأجناد على إقطاعاتهم فيكون عن طريق السلطان وديوان الإقطاع ، حيث يجلس السلطان مرتين في الأسبوع وفي أوقات معينة ، فيجلس كبار الأمراء عن يمينه ، ثم يتم عرض الجند عليه ، من أجل أن يعرف السلطان من يقطع خبزه لعجزه أو المشكوك في ولائه للسلطان واستبدالهم بغيرهم أكثر ولاءً وعطاءً(٤) ، وإذا حضر الراغب في الإقطاع أو اختاره السلطان يُؤمر ناظر الجيش بكتابة ورقة هي (المثال)(٥) ، وتكتب بشكل مختصر باسم الأمراء أو باسم الأجناد مباشرة . يتوجه بعد ذلك صاحب الإقطاع إلى ديوان النظر ليتم تسجيل الإقطاع واسم صاحبه وتاريخ استحقاقه ، ويعطى بمقتضى ذلك وثيقة ثانية تسمى (بالمربعة)(٦) ، وأخيراً يعطى (منشوراً)(١) بإقطاعه من ديوان الإنشاء ،

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق ٣ ، ص ٨٤٣ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ٨ ، ص ٩٣ .

(٢) مسحت أرض مصر سبع مرات في عصور مختلفة في عهد الدولة الأموية مرتين سنة (٩٧-١١٠هـ) ، وفي عهد الدولة العباسية سنة (٢٥٣هـ) ، وفي عهد الدولة الفاطمية سنة (٥٠١هـ) ، وفي عهد الدولة الأيوبية سنة (٥٧٢هـ) ، ومرتين في عصر الدولة المملوكية سنة (٦٩٦-٧١٥هـ) . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق ٣ ، ص ٨٤٣ ، حاشية رقم ٣ .

(٣) أنظر نتائج الروكين في هذا المبحث .

(٤) إبراهيم علي الطرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص ٦٨ .

(٥) جمعه مثالات ، وهي أول ما يكتب من الأوراق الرسمية إيذاناً بإعطاء أحد المماليك إقطاعاً من الإقطاعات الخالية . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ١٣ ، ص ١٥٣ .

(٦) هي ورقة مربعة الشكل يكتب فيها اسم المعين له الإقطاع وعدد أجناده . إبراهيم علي الطرخان ؛ **النظم النظم الإقطاعية** ، ص ١٢٠ .

ويصبح الإقطاع بعدها شرعياً بعد أن يقيده ديوان الجيش وينفذه ديوان الإنشاء [٢] .

والواقع أن إقطاع السلطان وكبار الأمراء يختلف عن إقطاعات الأمراء والجند، حيث حرص السلاطين على أن يختاروا لأنفسهم ولكبار أمرائهم أجود الأراضي ، ومن يليهم في المراتب يكون لهم الأراضي المتوسطة الجودة ، وبقية الأراضي تكون من نصيب أجناد الحلقة وغيرهم ممن يشملهم الإقطاع [٣].

ففي سنة (٧٠٩ هـ / ١٣١٠م) شرع السلطان الناصر محمد في تأمير مماليكه الخواص الذين صبروا معه وصابروا وحافظوا على مناصحته وثابروا ، فمنهم من نقله إلى الطبلخاناه ، ومنهم من أعطاه إمرة عشرة ، ومنهم من عين له أخاير الإقطاعات [٤].

وإذا كانت إقطاعات أكابر الأمراء تكون أجود من إقطاعات بقية الأمراء فإن هذا يعطي مؤشراً إلى أن مدخولات ومخصصات الأمراء تختلف من أمير إلى آخر بحسب مكانته وحسب دوره في الحروب ، وبحسب رتبته العسكرية ، فقد أعطى السلطان لاجين نائبه الأمير منكوتمر إقطاعاً عظيماً ومتحصله منه مائة وعشرة آلاف إردب غلة [٥].

وكان للأمير بشتاك الناصري إقطاع عظيم تكبر مساحته عن إقطاع الأمير قوصون بما يوازي إقطاع ستة عشر طبلخاناه [٦] ، وذلك للمكانة التي حظي بها لدى السلطان الناصر محمد .

كان للأمير بكتاش الفخري دور فعال في الحروب ، فقد قال السلطان المنصور قلاوون : «أما اليوم فما بقي من الأمراء غير أمير سلاح : إذا قُلت فارس خيل

---

(١) جمعه مناشير ، وهي في الأصل كل ما يصدر عن السلطان من مكاتبات لا تحتاج إلى ختم ، كالمكاتبات الخاصة بالولاية ومنح الإقطاعات . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ١٣ ، ص ١٥٨ .

(٢) إبراهيم علي الطرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص ١١٩-١٢٣ ؛ أحمد محمد عدوان ؛ **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي** ، ص ٣٦-٣٧ .

(٣) أحمد محمد عدوان ؛ **العسكرية الإسلامية** ، ص ٣٩ .

(٤) بيبرس المنصوري ؛ **التحفة المملوكية** ، ص ٢١٠ .

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٨ ، ص ٩٤ .

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٤٥ ، مطبعة بولاق .

شجاع ما يرد وجهه من عـدوه ، وإذا حلـف مـا يخـون ، وإذا قـال صـدق» ، فقـال طرنطاي : «والله يا خوند له إقطاع عظيم ما كان يصلح إلا لي» ، فغضـب السـلطان وقال له : «ويلك! إياك أن تتكلم بهذا ، والله ما كان يصل فيه سيف أمير سـلاح مـا يصل نشابك ولا نشاب غيرك»[1].

أما مدخولات الأمراء فهـي بحسـب مـراتبهم العسـكرية التـي تـدرج منهـا الأمراء من أمير خمسة إلى أمير مائة وهي أعلى الرتـب في الجـيش ، فقـد كانـت عـلى النحو التالي :

أمراء المائة مقدمو الألوف ، فقد تراوحت مدخولاتهم ما بـين مائـة إلى ثمانـين ألف دينار في السنة .

أمراء الطبلخاناه فتتراوح مدخولاتهم من ثلاثين ألفاً إلى ثلاثة وعشـرين ألـف دينار في السنة .

أمراء العشرات تتراوح مدخولاتهم ما بين سـبعة آلاف دينـار في السـنة إلى مـا دونها[2].

أمراء الخمسات تتراوح مدخولاتهم ما بين ألف وخمسـمائة دينـار في السـنة إلى مائتين وخمسين ديناراً[3].

غير أن أرزاق الأمر والجند قلت بعـد عمـل الـروك الحسـامي ، حيـث يقـول المقريزي : «أن السلطان لاجين تولى تفرقة المثالات على الأمراء والمقدمين ، فبان لـه في وجوههم التغيير لقلة العبرة»[4] ، فقد كان متحصـل الإقطـاع في عهـد السـلطان المنصور قلاوون يتراوح بين عشرة آلاف درهم للإقطاعات الصغيرة ، وثلاثين ألف

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٥٦-٥٧ ، مطبعة بولاق .

(٢) ذكر القلقشندي أن مدخولات أمراء العشـرات تـتـرواح مـا بـين تسـعة آلاف في السـنة إلى مـا دونهـا . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٥٠ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٥٣ ، مطبعة بولاق .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٤٥-٨٤٦ ؛ ابـن تغـري بـردي ؛ **النجـوم الزاهـرة** . جــ ٨ ، ص ٩٤ .

درهم للإقطاعات الكبيرة ، فأصبح ما يتحصل من أكبر الإقطاعات عشرين ألف درهم ، ويقل كلما كانت مساحة الإقطاع صغيرة [1] ، فكان قتل الأمراء والأجناد للسلطان لاجين ونائبه منكوتمر من أهم نتائج ذلك الروك [2].

أما الروك الناصري فقد كان من أهم نتائجه أن زادت أرزاق بعض الأمراء ، وقلت عند بعضهم ، فمن بلغ إقطاعه ألف دينار تراجع إلى مائتي دينار ، في الوقت الذي زادت فيه أنصبة الكثير منهم على الرغم من عدم استحقاقهم لتلك الزيادة ، وكان سبب ذلك أن السلطان الناصر لم يكن دقيقاً عند توزيع الإقطاعات على الأمراء ، حيث يعطي المثال من غير تأمل ، وكيفما وقعت يده عليه [3].

ومهما يكن من أمر فإن المتتبع لحياة الأمراء في عهد السلطان الناصر محمد يدرك ما كانت عليه مصر من رخاء اقتصادي انعكس على مدخولات بعض الأمراء، كالأمير بكتمر الساقي ، والأمير قوصون ، والأمير بشتاك ، والتي زادت سنوياً على مائتي ألف دينار ، وبعضهم يصل إلى مائة ألف دينار ، ومنهم من ينقص عن ذلك [4].

كما حظي بعض الأمراء بالزيادة على إقطاعاتهم بناحية من النواحي ، ففي سنة (٧٤٤ هـ / ١٣٤٣م) أنعم السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر على الأمير الحاج آل ملك بناحيتي المطرية [5] والخصوص [6] ومتحصلها أربعمائة وخمسون ألف درهم [7].

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٤٦ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٨ ، ص ٩٤-٩٥.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٤٦ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٨ ، ص ٩٥ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، مطبعة الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ١ ، ص ١٧٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص ٥٠-٥٤ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٥٢٥ .

(٥) من قرى مصر ، عندها الموضع الذي به شجر البلسان الذي يستخرج منه الدهن . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ ٥ ، ص ١٧٤ .

(٦) قرية من أعمال صعيد مصر شرقي النيل ، كل من فيها نصارى . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ٢، ص ٤٢٩ .

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٦٤٠ .

وفي سنة (٧٥٠ هـ/ ١٣٤٨م) أنعم السلطان الناصر حسن بن محمد على الأمير مغلطاي بناحية صهرجت [١] زيادةً على إقطاعه وعبرتها عشرون ألف دينار في السنة [٢].

وكان يدخل للأمير شيخو من إقطاعاته وأملاكه ومستأجراته في كل يوم مائتا ألف ولم يسمع بمثل ذلك في الدولة المملوكية [٣].

٢ - الرواتب الجارية :

هي المصدر الثاني الذي يحصل منه الأمراء على أرزاقهم ، حيث يخصص السلطان لجميع الأمراء بحضرته وفي كل يوم اللحم والتوابل والخبز والعليق والزيت ، وكان لأعيانهم الكسوة والشمع ، وكان للمماليك السلطانية والأجناد رواتب مماثلة من السلطان ولكن اختلفت مقاديرها بحسب مراتبهم وقربهم من السلطان [٤] ، وإذا وُلد لأمير من الأمراء ولد أُطلق له دنانير وخبز ولحم وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة ، ومن ثم يتدرجون في الرتب العسكرية [٥] ، ويوزع على الأمراء كذلك الطيور في كل يوم ، حيث يوزع منها سبعمائة طائر [٦] ، ولأكابر الأمراء في شهر رمضان السكر والحلوى والأضحية على مقادير رتبهم [٧] .

وخص السلاطين بعض الأمراء بأنواع من الإنعامات كالعقار والأبنية الضخمة التي قد يصل كلفة بنائها زيادة على مائة ألف دينار [٨] ، فقد أمر السلطان

---

(١) قريتان بمصر متاخمتان تقع شمالي القاهرة ، معروفتان بكثرة زراعة السكر . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ ٣ ، ص ٤٩٥ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٨٠٩ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .

(٤) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٥١ .

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٥١ .

(٦) إبراهيم علي الطرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(٧) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٥٦ .

(٨) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣، ص ٥٤ ، مطبعة بولاق .

الناصر محمد سنة (٧٣٨ هـ / ١٣٣٨م) بإنشاء قصرين واصطبلين عظيمين، وقدمهما هدية للأميرين يلبغا اليحياوي والطنبغا الماردين[١] .

وليس هذا فحسب فقد جرت عادة السلاطين أن ينعموا على أمرائهم بالخيول مرتين في السنة[٢] - كلاً حسب مرتبته -[٣] .

ولم يكتف الأمراء بذلك، فقد حظوا بنصيب كبير من تشاريف السلاطين وخلعهم، فإذا تولى أحد الأمراء وظيفة ما منحه السلطان خلعة تناسب ولايته[٤]، وكذلك عندما يتولى سلطان جديد الحكم يخلع على الأمراء[٥]، وفي الأفراح السلطانية من زواج أو ختان وغيرها ينعم السلاطين على الأمراء وأرباب المناصب آلاف الخلع، ففي سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م) خلع السلطان الظاهر بيبرس - يوم زواج ولده السعيد بركة - على الأمراء والوزراء والقضاة والكتاب والأطباء ألف وثلاثمائة خلعة[٦].

٣ - المؤسسات التجارية :

الأمراء عملوا على إنشاء المؤسسات التجارية لجني أكبر قدر من الأموال وذلك بتأجيرها على التجار وعلى غيرهم، وقد عرفت هذه المؤسسات بالوكالات[٧] بالوكالات[٧] والخانات[٨]، والقياسر[١]، ومنها على سبيل المثال وكالة الأمير

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك**، جـ ٢، ق ٢، ص ٤٣٨ ؛ **الخطط**، ص ٤١٦-٤١٧، مطبعة بولاق .

(٢) المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله، فينعم على الأخصاء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم، والمرة الثانية عند لعب الكرة بالميدان . المقريزي ؛ **الخطط**، جـ ٣، ص ٥٤، مطبعة بولاق ؛ السيد البازي العريني ؛ **المماليك**، ص ٢٠٣ .

(٣) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ٥٤ .

(٤) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى**، جـ ٤، ص ٥٣ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك**، جـ ١، ق ٣، ص ٧٥٦ .

(٦) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة**. جـ ٧، ص ١٦٧ .

(٧) هي مبنى متسع الأرجاء يستعمل للتجارة والسكن ونزول المسافرين مع بضائعهم، وهي كالخان . عبد الرحيم غالب ؛ **العمارة الإسلامية**، ص ٤٤٢ ؛ محمد محمد أمين ؛ **المصطلحات المعمارية**، ص١٢١ ؛ سعيد عاشور ؛ **العصر المماليكي**، ص ٤٦٨ .

(٨) لفظة فارسية الأصل، وهي المكان الذي يبيت فيه المسافرون، ويستقبل التجار بضائعهم ودوابهم، ويوجد به اصطبل للدواب، وفي أعلاه طباق ومساكن للنازلين تطل على ساحة تتوسط الخان، ويوجد

قوصون [٢]، وهي من الوكالات المملوكية المهمة في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وقد كان ينزل بها التجار ببضائعهم التي يجلبونها من بلاد الشام ، كالزيت والصابون والفستق والجوز واللوز وغير ذلك ، وكانت تلفت نظر من يشاهدها لكثرة ما فيها من أصناف البضائع وازدحام الناس عليها ، حيث اشتملت على ثلاثمائة وستين بيتاً يقطن بها حوالي أربعة آلاف نفس [٣].

ومن القياسر على سبيل المثال ؛ قيسارية بيبرس [٤] ، عمرها الأمير بيبرس الجاشنكير قبل أن يلي السلطنة ، وبعد الانتهاء من عمارتها أُلزم التجار بالسكن فيها[٥].

قيسارية بكتمر ، أنشأها الأمير بكتمر الساقي في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون [٦].

قيسارية طشتمر ، أنشأها الأمير طشتمر ، وسكنها عقادوا الأزر حتى غصت بهم مع كبرها وكثرة حوانيتها [٧].

والفنادق كذلك من المنشآت التجارية المهمة التي كانت تستخدم لإيواء الأجانب في القاهرة ، وهي أشبه بالأسواق الكبيرة ، حيث توضع البضائع في

بها بئر مياه وميضأة ومسجد صغير . عبد الرحيم غالب ؛ **العمارة الإسلامية** ، ص ١٥٢-١٥٣ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** ، ص ٤٦٨ .

(١) هي لفظة يونانية أطلقت في بداية الأمر على سوق مغلق بأروقة تحيط بصحن مكشوف يضم عدد كبير من الدكاكين والمشاغل ، ويعلوه طباق للسكن بارتفاع دورين أو ثلاثة . عبد الرحيم غالب ؛ **العمارة الإسلامية** ، ص ٣٢٠ ؛ سعيد عاشور ؛ **العصر المماليكي** ، ص ٤٤٨ ؛ محمد محمد أمين ؛ **المصطلحات المعمارية** ، ص٩٢.

(٢) تقع بين الجامع الحاكمي ودار سعيد السعداء . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٥٧ ، مطبعة بولاق .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٥٧ ، مطبعة بولاق .

(٤) على رأس باب الجودرية من القاهرة كان موضعها داراً تعرف بدار الأنماط . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص٤٤٩ ، مطبعة بولاق .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٤٩-٤٥٠ ، مطبعة بولاق .

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٥٢ ، مطبعة بولاق .

(٧) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٥٢ ، مطبعة بولاق .

أسفلها ، ويتحول أعلاها ليلاً إلى مكان للنـوم [1]، ومـن هـذه الفنـادق عـلى سـبيل المثال؛ فندق طرنطاي ، أنشأه الأمير طرنطاي وينزله تجار الزيت الواردون من الشام ويعلوه ربع [2] كبير [3] .

فندق الحصر ، أنشأه الأمير سيف الدين تنكز ، يباع فيه بجانب الحصر الرطب والزيتون الأخضر [4].

فندق التفاح ، أنشأه الأمير طقزتمر ، وترد إليه الفواكه على اخـتلاف أصـنافها من الشام والقاهرة [5].

فندق القصب ؛ أنشأه الأمير منجك اليوسفي ، ويباع فيه القصب والسكر [6].

ومـن الأمـراء مـن قـام بشـــراء البسـاتين والأراضي وحولهـا إلى أحكـار [7] ، وتأجيرها على الناس بهدف الاستثمار ، منها على سبيل المثال : حكر الأمير قوصون، كان بستاناً مساحته خمسة عشر فداناً ، فاشتراه الأمير قوصون وقلع غروسـه ، وأذن للناس في البناء عليه ، فحكروه بنوا فيه الأدر وغيرها [8].

حكر أقبغا ؛ بستان استولى عليه الأمـير أقبغـا عبـد الواحـد ، وأذن للنـاس في

---

(1) محاسن محمد الوقاد ؛ **الطبقات الشعبية** ، ص ٧٣ .

(2) هو دار السكن ، والدار وما يحيط بها ، ثم أطلقت على البنـاء المتسـع الـذي يشـترك في سـكنه عـائلات متعددة من عامة الشعب لقاء أجر زهيد ، وهذا النوع من المساكن أخذ فـيما بعـد مسـمى وكالـة . عبـد الرحيم غالب ؛ **العمارة الإسلامية** ، ص ١٩٧ ؛ محمد محمد أمين ؛ **المصطلحات المعمارية** ، ص ٥٢ .

(3) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٥٩ ، مطبعة بولاق .

(4) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٩٤-٩٧ ، مطبعة بولاق ؛ ابن دقماق ؛ **الانتصار** ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

(5) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٥٧ ، مطبعة بولاق .

(6) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٩٨ ، مطبعة بولاق ؛ ابن دقماق ؛ **الانتصار** ، جـ ٤ ، ص ٤٠ .

(7) ما احتُكر وحكره حكراً ظلمه وتنقصه وأساء معاشرته ، وقول أهل مصـــر حكـر فـلان أرض فـلان ، يعنون منع غيره من البناء عليها ، والظاهر في المعنى أن الأمراء حكروا الأرض ولم يمنعـوا النـاس مـن البناء عليها ، وهذا يعود على الأمراء بالفائدة . المقريزي ؛ **الخطط** ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٣ ، ص٢٠٥ ؛ ابن منظور ؛ لسان العرب ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .

(8) المقريزي ؛ **الخطط** ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ٢٠٨ .

البناء عليـه ، فحُكر وبني فيه عدة مساكن [1].

حكر طقزتمر كان بستاناً مساحته نحو الثلاثين فـداناً ، اشـتراه الأمـير طقزتمـر الحموي - نائب السلطنة بمصر ثم دمشق - وقلـع أخشـابه وأذن للنـاس في البنـاء عليه ، فحكروه وأنشـأوا بـه الـدور الجليلـة ، وبـه السـوق والحمامـات والمسـاجد وغيرها[2].

كما تحولت قصور بعض الأمراء إلى وكـالات تجاريـة ، وذلـك بتأجيرهـا عـلى التجار مقابل إيجارات مرتفعة ، وهي عبارة عن أماكن واسعة في وسـطها بهـو عـلى سطحها غرف لنوم التجار ، كما يتم فيها الصفقات التجارية ، ومن هذه الدور عـلى سبيل المثال ؛ الدار البيسرية ، أنشأها الأمير ركن الـدين بيسـري سـنة (٦٥٩هــ / ١٣٦١م) وتقع بخط بين القصرين بالقاهرة ، ويجلس فيها قصاد الفرنج [3].

وقد كان لمرور التجارة الهندية في ذلك العصر عن طريـق مصـر دور كبـير في انتشار تجارة مصر في عصر الدولة المملوكية ، وبالتالي زيادة ثرواتها ، فكانت مصـدر رزق عظيم للدولة وللشعب المصري ، فأدى ذلـك إلى دخـول الكثـير مـن الأمـراء للعمل بها مـدعومين بتشـجيع سـلاطين الدولـة المملوكيـة للتجـارة ، فقـد عمـل السلطان الناصر محمـد عـلى تشـجيع التجـارة في الـداخل والخـارج ، حيـث عقـد المحالفات الودية والتجارية مع امبراطور الدولة البيزنطيه وملـوك أسـبانيا وأمـراء نابولي وجنوة وسلاجقة آسيا الصغرى ، ونتج عن ذلك انتشار التجارة بـين مصـر وهذه الدول [4].

وعمـل بعـض الأمـراء الطـامعين إلى إيجـاد مصـادر أخـرى لزيـادة ثـرواتهم ومدخولاتهم حتى وإن كانت عـلى حسـاب الشـعب المغلـوب عـلى أمـره ، فكـان احتكارهم لبعض السلع المهمة طريقاً لزيادة ثرواتهم ، ومن هذه السلع ؛ الحبـوب ،

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، مطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، جـ ٣ ، ص ٢١٠ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط**، جـ ٢ ، ص ٤١١ ، مطبعة بولاق .

(٤) على إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٤١٦ ؛ علاء طه رزق ؛ **عامة القاهرة** ، ص ٨٩ .

فقد كان الأمراء المماليك يتقاضون جزءاً من رواتبهم سلعاً لا نقداً فيعطون كميات كبيرة من الحبوب ، فيستغلون حاجة العامة إليها فيعملون على تحويل مداخيلهم إلى أموال نقدية ، فيبيعون الفائض من تلك الحبوب في الأسواق ، وذلك عند ارتفاع الأسعار ، فيجنون جراء ذلك أرباحاً طائلة، ففي سنة (٧٠٩هـ / ١٣١٠م) توقفت زيادة النيل وارتفع سعر القمح حتى بيع الإردب بخمسين درهماً ، والإردب الشعير والفول بعشرين درهماً ، ومنع الأمراء البيع من شؤونهم [١] ، من المؤكد أن امتناعهم عن البيع بهذه الأسعار هو للانتظار حتى تزيد الضائقة بالشعب فيضطرون إلى شراء القمح وغيرها بأسعار أعلى من ذلك .

وفي سنة (٧٣٦هـ / ١٣٣٦م) بدأ سعر القمح بالارتفاع ، فما كان من الأمراء إلا أن تسابقوا على بيعه بين الستين والسبعين درهماً ، على الرغم من أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد حدد سعر البيع بثلاثين درهماً ، وذلك من أجل فك الضائقة التي عانى منها الشعب في تلك الفترة من غلاء الأسعار [٢] ، ولولا ما قام به السلطان من فك هذه الضائقة الاقتصادية التي ساهم فيها بعض الأمراء لعانى الشعب كثيراً منها .

وبعض الأمراء عملوا على إكراه تجار الحبوب والطحانين على شراء الحبوب بأسعار أعلى من سعر السوق ، والغريب في الأمر أن بعض السلاطين في بعض الأحيان يوافقون الأمراء على ذلك ، فيجبر التجار على شراء المؤن الغذائية بالسعر الذي يقرره هو أو الأمراء ، ففي سنتي (٧٣٧-٧٣٨هـ / ١٣٣٧-١٣٣٨م) أُجبر التجار على شراء الأخشاب والأغنام بأسعار تزيد كثيراً عن سعرها الحقيقي ، وبيع كذلك القمح والفول والبرسيم بأسعار باهظة أيضاً [٣].

وعندما انتهى الأمير بيبرس من إنشاء قيساريته أكره التجار على السكن بها ، بل جعل أُجرة كل حانوت منها مائة وعشرين درهماً [٤].

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ١ ، ص ٥٥ .
(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ١ ، ص ٣٩٤ .
(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٤١٢-٤٤٤ .
(٤) المقريزي ؛ **الخطط**، جـ ٢ ، ص ٤٤٩-٤٥٠ ، مطبعة بولاق .

٤ – الموارد غير المشروعة :

إن الانخراط في النشاط التجاري وممارسة الاحتكارات لم تكن وسائل لزيادة ثروات الأمراء فحسب ، بل أن بعضهم استغل منصبه ليمارس شتى أنواع ظلم الرعية ونهب أموالهم دون وجه حق ، واستكثروا ما في أيدي الناس من الأموال وحقدوا عليهم ، يقول السبكي : «ومن قبائحهم – أي المماليك – استكثارهم الأرزاق وإن قلت على العلماء ، واستقلالهم الأرزاق وإن كثرت على أنفسهم ، ولو اعتبر الواحد منهم رزق أكبر فقيه لوجده دون رزق أقل مملوك عنده» [1] ، فقد جمع الأمير سنجر الشجاعي جزءً كبيراً من أمواله عن طريق ظلمه للناس ونهبه لأموالهم ومصادرتهم طمعاً بما في أيديهم ، فأمر السلطان المنصور قلاوون بمصادرته في سنة (٦٨٧هـ / ١٢٨٨م) [2] .

وفي سنة (٧٤٨هـ – ١٣٤٨م) : «قدم الأمراء المجردون [3] من الوجه القبلي، وقد أثروا آثاراً قبيحة من سفك الدماء ونهب الأموال بغير حق» [4].

وهناك من الوزراء من عمل على مساعدة الأمراء في جشعهم ، فقد اتصف النشوء (ناظر الخاص) [5] بالظلم والتسلط طوال وجوده في منصبه ، فكان يعمل على رفع الأسعار ، وذلك لكي يستطيع الأمراء والجند بيع القمح بسعر مرتفع ، وبالتالي جني الربح الذي يرغبونه ، فينخفض سعر الطحين والخبز ويتحمل الطحّانون والخبّازون الخسارة الناتجة عن شراء القمح بسعر غالٍ ، ثم بيعه كطحين

---

(١) نقلاً من حياة الحجي ؛ **أحوال العامة** ، ص ١٢٩ ؛ إبراهيم علي الطرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص٣١٠.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٧٤٠–٧٤١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٨، ص٥٠–٥١؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٥٦ .

(٣) جُردوا بسبب فساد العربان . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٤٩–٧٥٠ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٧٥٢ .

(٥) النشوء شرف الدين عبد الوهاب بن التاج ، كان يعمل على خدمة الأمير بكتمر الحاجب ، ثم الأمير أيدغمش ثم جعله الناصر محمد مستوفياً ، وكان ظالماً متعسفاً في الرعية ، وقبض الناصر محمد عليه سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) بسبب ظلمه بالإضافة إلى ضياع أموال التجار على يديه ، وقد مات تحت العقوبة في نفس العام . ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص ١٣١–١٤٣ .

وخبز بسعر منخفض ، فحقق الأمراء بذلك ربحاً أكبر وفائدة أكثر [1]. وفي هذا صورة من صور الظلم التي يمارسها كبار الأمراء على العامة الذين هم أكثر المتضررين من ارتفاع الأسعار .

ومن شدة ظلم وقسوة الأمير أقبغا عبد الواحد أنه عندما أمر السلطان الناصر محمد سنة (٧٣٨هـ / ١٣٣٨م) بإنشاء زريبة للأغنام والأبقار [2] أقام الأمير أقبغا عبد الواحد شاداً وأن يقيم معه من جهة كل أمير استاداره وعدد من جنده ، وألزم الأمراء والعامة بالعمل في إنشائها ، وقسمت الأرض عليهم قطعاً معينة لكل واحد منهم ، فجدوا بالعمل ليلاً ونهاراً ، والأمير أقبغا داير بفرسه عليهم يستحثهم ويخرق بإستادارية الأمراء ، ويضرب بعضهم ويضرب أكثر أجنادهم ، ولم يمكنوا من الاستراحة ، وكان الوقت صيفاً وشديد الحر ، فهلك كثيرٌ منهم في العمل لعجزهم عما كُلِفوا به ، ونزل بهم بلاء عظيم لا عهد لهم بمثله ، وكان أحدهم إذا عجز عن العمل ألقى بنفسه إلى الأرض ورمى أصحابه عليه التراب فمات لوقته ، وكان السلطان يحضر كل يوم حتى يرى العمل [3].

ومن الأمراء من استخدم نفوذه وسلطانه لتسخير العاملين من الصناع فيما ينشؤونه من المباني ، سواء كانت دينية أو تعليمية ، والتي يجب أن يكون الصرف عليها من خالص أموالهم ، وأن لا يستخدموا فيها أحداً بغير أُجرة لأنها نوع من أنواع البر والتقوى والتقرب إلى الله تعالى ، ولكن الأمير أقبغا عبد الواحد اغتصب معظم الأراضي التي بنى عليها مدرسته التي أنشأها سنة (٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) ، كما اغتصب الآلات والأدوات اللازمة للبناء ، بل إنه ألزم الصناع من البنائين والنجارين والمرخمين وغيرهم بالعمل فيها يوماً في كل أسبوع بغير أجرة [4] ، ومع ذلك لم يرحمهم ، بل إنه ما نزل إليها قط إلا وضرب بها أحداً علاوةً على شدة وعسف مملوكه الذي كلفه بالإشراف على هذه العمارة [5].

---

(١) حياة الحجي ؛ **أحوال العامة** ، ص ٢٠٠ .

(٢) كان موقعها على موضع بالقلعة مساحته أربعة أفدنة . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٤٣٣-٤٣٤ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٤٥٥-٤٥٦ ، ٤٨٨-٤٨٩ .

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** . جـ ٩ ، ص ١٤٤ .

ومن الأمراء من تجرأ على أخذ أوقاف بعض الأمراء، سواء برضى صاحب الوقف أو بالقوة، ففي سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م) احتال الأمير قوصون على أن يمتلك حمام قتال السبع[1]، وكان وقفاً، حيث هدم جانباً منه وأحضر شهوداً اتفقوا معهم على أن يكتبوا محضراً بأن الحمام خراب لا يُنتفع به، وهو يضر بالجار والمار، والمصلحة هي بيع أنقاضه، فتم له الأمر، فاشترى الأمير قوصون ذلك الحمام من ولد قتال السبع فجدد عمارته[2].

وفي سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) أخذ الأمير قوصون دار الأمير بيسري بالقاهرة، وكان وقفاً لورثته، حيث شرهت نفسه على أخذها، ووقف معه السلطان الناصر محمد، وسمح له بالتحدث مع ورثة بيسري، فأرسل إليهم الأمير ووعدهم ومناهم وأرضاهم حتى أذعنوا له، وبعث السلطان إلى قاضي القضاة شرف الدين الحراني الحنبلي[3] يلتمس منه الحكم باستبدالها، كما حكم باستبدال بيت قتال السبع وحمامه الذي أنشأ عليه الأمير قوصون جامعه، فأجاب إلى ذلك، وكان هذا الحكم مما شنع على القاضي، حيث اقتدى به بعض القضاة بالحكم باستبدال الأوقاف[4].

ومن الأمراء من قبل الرشوة وأخذها علانية أمام الناس، فالأمير شيخو قبل الرشوة من بعض المقتدرين من أجل تعيينهم في بعض مناصب الدولة[5].

أما الأمير منجك اليوسفي فقد اتخذ لنفسه وسطاء لجمع الرشوة من الناس وقضاء أشغالهم[6]، وكان الأمير برقوق والأمير بركة يأخذان الرشوة على ولاية

---

(١) يقع خارج باب القوس من ظاهر القاهرة في الشارع المسلوك فيه من باب زويلة إلى صليبة جامع ابن طولون، عمره الأمير جمال الدين أقوش المنصوري المعروف بقتال السبع. المقريزي؛ **الخطط**، جـ ٢، ص ٤٤٢، مطبعة بولاق.

(٢) المقريزي؛ **السلوك**، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٢١.

(٣) هو أحمد بن عمر الحنبلي، تولى القضاء سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) في عهد السلطان الناصر محمد، غير أنه عزله سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م)، توفي سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م)، وكان من بيت علم وصلاح. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ ١، ص ١٣٤، رقم ٥٨٠.

(٤) المقريزي؛ **السلوك**، جـ ٢، ق ٢، ص ٣٦٢؛ **الخطط**، جـ ٢، ص ٤١٢، مطبعة بولاق.

(٥) المقريزي؛ **السلوك**، جـ ٣، ق ١، ص ٨-٩.

(٦) المقريزي؛ **السلوك**، جـ ٢، ق ٣، ص ٧٥٠.

الوظائف التي سعى إليها الأنذال والأرذال من الناس ، فانتشر بين العامة : «برقوق وبركة ضربا على الدنيا شبكة»[1] .

وهكذا نجح الأمراء الطامعون في تحصيل الثروات الطائلة بطرق شرعية وغير شرعية ودون رقيب أو حسيب .

وإذا كان هذا حال غالبية الأمراء في ذلك العصر فقد كان منهم العفيف نظيف اليد النزيه المترفع عن أموال الغير ، ومن أبرزهم الأمير منكوتمر ، فقد قال عنه المقريزي : «كان عفيفاً عن الأموال»[2] ، وتعتبر الحجي أن حرص المقريزي على هذه الحقيقة دليلاً على ندرة وجودها بين الأمراء!![3].

الفصل الثالث

إسهامات الأمراء في الحياة السياسية

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٢٠ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٨٥٨ .

(٣) حياة الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص ١١٤ .

والإدارية وأثرهم الحضاري

المبحث الأول

دور الأمراء في الأحداث الداخلية والخارجية

الأمراء المماليك برعوا في إقامة ده لة عظمة حكمت قرابة ثلاثة قرون من الزمان وقد أمسكوا فيها بزمام الأمور ، وبيس هذا غريباً عليهم فقد أَلِفوا التدخل في كل الأحداث الداخلية والخارجية في العصر الأيوبي والذي يشكل المنعطف الأول في تأسيس طائفة من المماليك يُعتمد عليها في كل أمور الدولة ؛ فقد أدى المماليك دوراً عظيماً عندما حملوا على عاتقهم إنقاذ مصر من خطر الصليبيين الحاقدين في حملتهم السابعة المتجهة صوب مصر سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م ، حيث أظهروا أروع فنون القتال في المنصورة ، من أجل الدفاع عن الإسلام والمسلمين، ثم كانت تلك المؤامرة التى دبرها بعض الأمراء المماليك منهم الأمير فارس الدين أقطاي والأمير بيبرس البندقداري والأمير سيف الدين قلاوون وغيرهم ، من أجل اغتيال السلطان الأيوبي الجديد تورانشاه بن الصالح نجم الدين أيوب ، الذى لم يُقدّر ما قام به المماليك من دور في هزيمة الصليبيين في المعركة الآنفة الذكر .

وتأتي معركة عين جالوت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م التي لا يمكن إغفال دور الأمراء

المماليك في تحقيق النصر فيها ، في وقت كان فيه حكام المسلمين يعيشون في ضعف وخوف من مواجهة هولاكو وأتباعه [1] ، ويظهر دور هؤلاء الأمراء في تلك الحماسة والقوة الممثلة في غضب الأمير بيبرس ومن معه من الأمراء البحرية الذين كانوا في دمشق[2] التي كانت هدف هولاكو بعد إسقاطه لبغداد ، فعندما قرر أهلها مداراة المغول والدخول في طاعة هولاكو أدرك الأمير بيبرس ما هم فيه من الخوف ، فما كان منه إلاّ أن صاح بوجه صاحب تلك الفكرة [3] قائلاً : «أنتم سبب هلاك المسلمين» ، فخرج ومعه بقية المماليك البحرية متجهاً إلى مصر للدخول في الجيش المملوكي بقيادة السلطان قطز لقتال المغول ، وقد تحقق لهم النصر في هذه المعركة[4] نتيجة لذلك نجح المماليك في السيطرة على أمور الدولة ، فانتقل دورهم وفي وقت قصير من قادة عسكريين إلى قادة سياسين [5].

الأمراء المماليك الذين حققوا هذه الانتصارات وتمكنوا من تثبيت أركان دولتهم لم يترددوا في إقامة الفتن والثورات في الدولة ، وهذا شر ما ابتليت به مصر في العصر المملوكي ، حيث صاحب ذلك الكثير من الفوضى والاضطرابات وسفك للدماء دون مبالاة ، والسجن والعزل وإضاعة الأموال ، والسبب الرئيسي في معظم هذه الثورات هو التنافس المحموم بين الأمراء على السلطة التي أعمت

---

(١) أبو الفداء ؛ **المختصر في أخبار البشر** ، جـ٣ ، ص ٢٠٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص٧٥ .

(٢) بعد مقتل الأمير فارس الدين أقطاي زعيم المماليك البحرية على يد السلطان أيبك ، خشي الأمراء البحرية على أنفسهم فولوا هاربين إلى دمشق ، ودخلوا في طاعة الناصر صلاح الدين يوسف ، وقد شكلوا خطراً على حكم أيبك ثم قطز ، حتى كان هجوم هولاكو على ديار مصر عادوا للدفاع عنها . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٩٠-٣٩١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٥٣-٥٤-٥٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٩١-٢٩٢.

(٣) كان صاحب تلك الفكرة الأمير زين الدين سليمان الحافظي ، وقد كان له مكانة لدى الملك الناصر يوسف وكان مشتغلاً بالطب . عبد الله سعيد الغامدي ؛ **جهاد المماليك** ، ص٩٤ ، هامش رقم (١) ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي** ، ص ٣٧ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٤٣٠-٤٣١ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٧٨-٧٩ ؛ النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ٢٨ ، ص٤٧٢-٤٧٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٥) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص ٣٥ .

أبصـارهم وقلـوبهم ، حيـث كـان في اعتقـادهم أن وصـول أحـدهم إلى السـلطة ، سيُخول لـه الاسـتحواذ عـلى الأمـوال والجـاة والنفـوذ ، فعرّضـوا حيـاتهم للقتـل والسجن[1] ، كل ذلك لعدم إيمان المجتمع المملـوكي عامـة والأمـراء خاصـة بمبـدأ الوراثة في الحكم ، بل إن الحكم في نظرهم لمن غلب[2] .

فعلى سبيل المثال ، قُتِل الأمير فارس الدين أقطاي سـنة ٦٥٢هــ/ ١٢٥٤م ، بأمر من السلطان عز الدين أيبك ، بسبب ما قام به هذا الأمير من جمع عدد كبير من المماليك البحرية ، واستولى على إقطاع ثغر الإسكندرية ، ثم خطب ابنة المظفـر تقـي الدين محمود صاحب حماة[3] ، وطلب الإقامة في مقر الحكم بالقلعة ، وكثيراً ما عمل على تحقير السلطان ، فأدرك السلطان أيبك أنه أمام منافسٍ قوي طـامع في الحكـم ، فعزم على التخلص منه ، وقتله قبل أن يحقق مبتغاه[4] .

وكذلك كانت نهاية الأمير حسام الـدين طرنطـاي الـذى عـز عليـه ألاّ يتـولى السلطنة بعد وفاة سيده السلطان سيف الدين قلاوون ، حيث تـولى ولـده الأشرف خليل الحكم سـنة ٦٨٩هــ/ ١٢٩٠م ، فأخـذ في تـدبير المـؤامرات للـتخلص مـن السلطان الجديد الذي كشف مؤامرته فقبض عليه وقتله[5] .

واستبد الأمير صرغتمش بالسلطة في عهد السلطان الناصر حسن بن النـاصر محمـد ٧٥٥هــ/ ١٣٥٤م ، وجمـع أمـوالاً طائلـة وطمـع في الاسـتقلال بالملـك ، ووصلت الأخبار إلى السلطان بذلك ، فاتفق مع جماعة من الأمراء على حرب الأمير

---

(١) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ١ ، ص٨٩.

(٢) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٧١.

(٣) المظفر تقي الدين محمود بن محمد بن محمود بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيـوب صـاحب حمـاه ، ولد سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م ، تقلد حكم حماه بعد وفاة والده سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م ، واستمرت دولته خمسة عشر سـنة إلى أن تـوفي سـنة ٦٩٨هــ/ ١٢٩٨م . ابـن تغـري بـردي ؛ **الـدليل الشـافي** ، جــ٢ ، ص٧٢٨، رقم ٣٤٨٦

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٩٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جــ٧ ، ص١٠-١١-١٢ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٢٩١-٢٩٢ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفـة الملوكيـة** ، ص٣٤-٣٥.

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٣٨٣-٣٨٤ ؛ ابن إياس ؛ **بـدائع الزهـور** ، جــ١ ، ق١ ، ص٣٦٥-٣٦٦ ؛ العيني ، **عقد الجمان** ، جـ٣ ، ص٢٦-٣٠.

الخارج ، وحاربوه حتى هُزم وقبض عليه وسجن بالإسكندرية ، ثم قتل سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م[١] .

وتنازع الأمراء المماليك على السلطة جعلهم يقْدِمون على قتل سلاطينهم دونما اعتبار لهم أو رحمة في قلوبهم ، والغريب أنهم إذا أقدموا على قتل سلطان أو خلعه يجتمعون ويتفقون فيما بينهم ، فقد أقدم الأمير بيبرس البندقداري على قتل السلطان المظفر قطز بمساعدة عدد من الأمراء[٢] ، وقد كوفئ باعتلاء العرش .

والسلطان الأشرف خليل أساء إلى الأمراء وتعالى عليهم ، الأمر الذي دفعهم إلى التخلص منه قبل أن يقدم هو على قتل الأمير بيدرا[٣] ، الذي ظهر منافساً له في الحكم[٤] ، وقد حدث بعد مقتل السلطان فتنة بين الأمراء الأشرفية والمتآمرين من الأمراء بقيادة بيدرا انتهت بقتل بيدرا قبل أن يجلس على كرسي الحكم بالقاهرة عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م[٥] .

وكذلك كان اجتماع الأمراء على قتل سلطانهم حسام الدين لاجين لتنكره عليهم بعد تولية السلطة ، وتقديمه لمملوكه الأمير منكوتمر عليهم ، وإطلاق يده في كثير من أمور الدولة ، حتى أخذ يعزل ويولي من شاء من الأمراء ، فأدرك الأمراء

---

(١) المقريزي ؛ السلوك ، جـ٣ ، ق١ ، ص٤١-٤٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة**، جـ١٠ ، ص٣٠٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٧٠-٥٧١.

(٢) كان الدافع إلى قتله هو الانتقام لمقتل زعيمهم فارس الدين أقطاي ، فقد شارك قطز في قتله ، ولأن قطز قد وعد بيبرس بنيابة حلب إذا تحقق الانتصار على المغول ، فلم يف بوعده له . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٤٣٤-٤٣٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧، ص٨٢ ؛ النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ٢٩ ، ص٤٧٧-٤٧٨ ؛ ابن دقماق ؛ **الجوهر الثمين** ، ص٢٧٠.

(٣) الأمير بدر الدين بيدرا أحد المماليك المنصورية ، أصله مغولي ، أسر بعد موقعة عين جالوت ، ترقى في الخدمة حتى صار من أمراء المجلس ، تنقل في الوظائف ، تولى الوزارة في عهد الأشرف خليل ، تغير عليه السلطان فأدرك بيدرا ذلك فعاجله بالقتل وتولى السلطنة مكانه ، وتقلب بالملك الأوحد ، غير أن مماليك السلطان الأشرف قتلوه قبل أن يجلس على كرسي الحكم سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ٥٦٢-٥٦٨ ، رقم ١٠٠٩ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٨٧.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٨٨-٧٩٠ ؛ العيني ؛ **عقد الجمان** ، جـ٣، ص٢٠٥-٢٠٦ ؛ ابن ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٢٧٢-٢٧٣.

أن السلطان لم يفِ بوعوده التى قطعها على نفسه [1] ، وتمكن الأمير كرجي[2] – وهو من المقربين للسلطان – ومعه الأمير سيف الدين طغجي[3] من قتل السلطان ومملوكه منكوتمر في يوم واحد سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م[4] .

واستنكر الأمير بكتاش الفخري ما فعله الأمراء قائلاً : « إيش هذه الأفعال القبيحة تريدوا كل يوم تقيموا لكم سلطان جديد» [5] ، غير أن قوله هذا لم يردع الأمراء بل استمروا في أفعالهم ، حيث أقدموا على قتل السلطان زين الدين حاجي بن الناصر محمد ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ، الذى اتبع سياسة نفّرت منها قلوب الأمراء وأثارت كراهيتهم له [6] ، فقد أساء التصرف معهم بالقبض والقتل لعدد منهم ، فثاروا على حكمه وكان على رأسهم الأمير أرقطاي النائب [7] ، والأمير بيبغا أروس[8] وغيرهم ، واتفقوا على قتله فقتلوه [1] .

---

(١) عندما أقام الأمراء لاجين سلطاناً عليهم شرطوا عليه شروطاً منها : أن يكون واحداً منهم ، ولا ينفرد برأي عنهم ، ولا يبسط يد أحداً من مماليكه ، والتزم بها ، ولكنه لم ينفذها عندما جلس على كرسي الحكم . العيني ؛ **عقد الجمان** ، جـ ٣ ، ص ٣٤٥-٣٤٦ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **زبده الفكر في تاريخ الهجرة** ، جـ ٩ ، ص٣٣٤- ٣٣٥ .

(٢) هو مقدم المماليك البرجيه ومن أقرب الأمراء إلى السلطان لاجين ، كان يدخل عليه بدون حجاب ، وقد قتل بعد ما قتل السلطان لاجين بيوم واحد سنة ٦٩٨هـ . ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ٣، ص٥٥٦ ؛ المقريزي ؛ **السلوك** ؛ جـ١ ، ق٣ ، ص٨٦٨-٨٩ ؛ الصفدي ؛ **الوافي بالوفيات** ، جـ٢٤ ، ص٢٥٢.

(٣) هو سيف الدين طغجي الأشرفي مملوك الملك الأشرف خليل بن قلاوون ، من أحسن الترك وأظرفهم شكلاً ، أمره السلطان الأشرف وأعطاه الأموال والنفائس ، ثم كان أميراً في دولة العادل كتبغا والمنصور لاجين ، شارك في زوال دولة المنصور ، تولى النيابة بمصر أربعة أيام بعد قتله السلطان لاجين ، فقتل سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م . الصفدي ؛ **الوافي بالوفيات** ، جـ١٦ ، ص٢٥٩.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٥٦-٨٥٧ ؛ العيني ؛ **عقد الجمان** ، جـ ٣ ، ص٤٢١-٤٢٩ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **زبده الفكر في تاريخ الهجرة** ، جـ ٩ ، ص٣٥١ ؛ **التحفة الملوكية** ، ص١٥٣ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٦٨-٨٦٩.

(٦) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٣٠٥-٣٠٦.

(٧) هو أرقطاي القفجقي المشهور بالحاج ، كان من مماليك الأشرف خليل تولى نيابة حمص ثم صفد ، عاد إلى مصر أمير مائة ، تنقل في الولايات حتى كان عهد المظفر حاجي ، تولى نيابة مصر ثم حلب ثم دمشق ، غير أنه مات بالطريق قبل أن يدخل دمشق سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م وعمره ٧٨سنة ، كان طريفاً لطيفاً كثير الأدب . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٠٦ رقم ٨٧٨.

(٨) هو سيف الدين بيبغا أروس الأشرفي نائب السلطنة بمصر ، شارك في قتل السلطان المظفر حاجي ، تولى نيابة السلطنة ، أحسن إلى الناس ، ولم يظلم أحداً ، كانت نهايته القتل في حلب وقطع رأسه وحُمل إلى مصر . الصفدي ؛ **أعوان العصر** ، جـ٢ ، ص٨٦-٩٥ ؛ **الوافي بالوفيات** ، جـ١٠ ، ص٢٢١-٢٢٣.

والأمير يلبغا العمري الخاصكي ، الذى انفرد بشؤون الدولة السياسية والإدارية أقدم سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م ، على قتل السلطان حسن في مده حكمه الثانية لأنه أنكر عليه منح الإقطاعات الكبيرة للنساء ، فغضب الأمير من أفعاله وقتله[٢].

وإذا كان قتل الأمراء لسلاطينهم أمراً سهلاً ، فخلعهم أو سجنهم أكثر سهولة بالنسبة لهم ، وكثيراً ما تحدث الفتن نتيجة لذلك ، حتى يضرع الناس إلى الله بانتهاء ما هم فيه من الفتن ، ولا تهدأ الأمور في القاهرة إلاّ بعد أن ينادى بالأمان ، وعودة الحياة لطبيعتها [٣] ، ومن أمثلة ذلك ، السلطان السعيد بركة بن الظاهر بيبرس الذي أقدم على ظلم الأمراء وإيداعهم السجون ، وقرب إليه جماعة من المماليك الأحداث وأطلق أيديهم في إدارة الدولة ، وأغدق عليهم الأموال ، كل ذلك والأمراء مذعنون له وفاءً للعهد الذي قطعوه على أنفسهم أمام السلطان الظاهر بيبرس ؛ ولما تمادى استاء الأمراء منه وعلى رأسهم الأمير سيف الدين قلاوون ، إذ كانوا يرون أنهم أحق بالملك من بيبرس ، وليس من ولده فحسب ، ولكن أنفة بيبرس وقوته جعلتهم يضمرون ذلك في نفوسهم حتى مات [٤] ، فأخذت الفتنة تدب بين السلطان السعيد والأمراء ، وعملوا على التخلص منه قبل أن يسبقهم هو ، فحاصروا القلعة حتى اشتد حصارهم لها ، وأراد السلطان التنازل لهم عن الشام ، ولكنهم طلبوا منه أن يخلع نفسه من السلطنة ، فتم لهم الأمر سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٨م وخرج من القلعة متجهاً إلى الكرك [٥] .

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٧٤١-٧٤٤ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١٠ ، ص١٧٢-١٧٣ ؛ ابن حبيب ، **تذكرة النبيه** ، جـ٣ ، ص١٠٠ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٦٠-٦٣ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١٠ ، ص٣١٢-٣١٣ ؛ موير ؛ **تاريخ دولة المماليك في مصر** ، ص ١١٤ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٦٢٥-٦٧٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٩ ، ص ٤٣ ، جـ ١٠ ، ص ١٥٩ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٣٧ .

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٢٦٨-٢٦٩ ؛ النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ٣٠ ، ص٣٩٧ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص٩٠-٩١ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ،

كما خلعوا أيضاً السلطان كتبغا من السلطنة ، وذلك بعد أن رفع صوته على الأمير شمس الدين بيسري ووبخه وأغلظ في الحديث معه ، ونسب إليه أنه كاتب التتار ، فاجتمعوا عند الأمير حسام الدين لاجين ومعهم الأمير شمس الدين بيسري ، الذي كان أشدهم بغضاً للسلطان ، فقرروا خلعه بل وقتله ، ولكنه فر منهم إلى دمشق ، فأعلنوا خلعه وتولية حسام الدين لاجين السلطنة مكانه سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م[(١)] .

ولما قرب السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م إليه الأمير طاز ، أقدم كلاً من الأمير شيخو والأمير صرغتمش والأمير طقطاي[(٢)] وغيرهم ، على خلع السلطان ؛ لأنه أعرض عنهم وقرب إليه الأمير طاز ، وقد صاحب ذلك فتنة عظيمة بسبب اجتماع الأمراء على الحرب سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م[(٣)] .

وصفوة القول ، أن اجتماع الأمراء على قتل أو خلع أو سجن سلاطينهم كان أمراً مألوفاً لديهم ، خاصة إذا كان السلطان ضعيفاً لا يستطيع أن يحكم الأمراء ويسيطر عليهم ، أو أن يكون صبياً لا يفقه أمور السلطنة ، ولا يعي مشاكل الحكم[(٤)] أو إذا طغى السلطان وظلم الأمراء ، أو تجبر وتعالى عليهم – وهو في الغالب واحد منهم – أو قدم أميراً وأعرض عنهم ، فإن القتل سيكون مصيره لا محالة ، وخاصة إذا بلغ ذلك الأمير المقرب المكانة العظيمة لدى السلطان ، بحيث يأمر وينهى

جـ١ ، ق١ ، ص٣٤٥-٣٤٦.

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨١٩ ؛ ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٦٥-٦٦.

(٢) هو طقطاي الدوادار الناصري الصالحي ، من مماليك الناصر محمد ، عمل بالجمدارية ثم بالدويدارية في عهد الصالح صالح سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م ، واعتُقل وسُجن سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م ، ثم أُفرج عنه توفى سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٣٦، رقم ٢٠٤٦ ؛ ابن حبيب ؛ **تذكرة النبيه** ، جـ٣، ص٢٢٥.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٩٢٩-٩٣٠ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١٠ ، ص٢٨٦-٢٨٧ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٥٢-٥٥٣.

(٤) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٧٨ ؛ محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢١٩.

ويعزل ويولي كيفما شاء ، ويصدقه السلطان في كل ما يقوله عن الأمراء ، فمجتمعهم قائم على الشك والتحاسد [1] .

فالذي أودى بحياة الأمير حسام الدين طرنطاي ، وشاية إلى السلطان الأشرف خليل من الأمير علم الدين سنجر الشجاعي لما بينهما من العداوة [2] ، وحدث ذات الأمر للأمير شمس الدين آق سنقر السلاري [3] ، نائب السلطنة بالديار المصرية ، حيث وشيّ به عند الملك الصالح إسماعيل بأنه يسعى لخلعه من السلطنة وتولية الناصر أحمد ، فسجنه الأمير أرغون العلائي بالإسكندرية وقتله[4] .

وكثيراً ما استغل الأمراء الأحداث التى تحيط بالدولة خارجية كانت أو داخلية ليثبوا على عرش الدولة ، وقد اتصف بعض الأمراء بالمكر والدهاء ، حتى يستطيع الوصول إلى مبتغاه وهي السلطة ، فقد استغل الأمير قطز صغر سن السلطان علي بن المعز أيبك ، ووصول الأخبار بهجوم المغول إلى ديار الإسلام ، فعمل على خلع السلطان وتولى مكانه الحكم [5] ، أما الأمير سيف الدين قلاوون فقد خلع زوج ابنته السلطان السعيد بركة ، ولكنه فضل ألاّ يعتلي العرش مباشرةً ، بل تظاهر بالزهد وعدم الرغبة في الحكم ، وما ذلك إلاّ لكثرة المماليك الظاهرية أتباع الظاهر بيبرس ، فولى العادل بدر الدين سلامش ، وقبض على أعداد كبيرة من المماليك الظاهرية ، ليضمن عدم ثورتهم عليه ، حتى إذا ما أيقن أن الأمور تجري

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **الأيوبيون والمماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٥٧-٧٥٨ ؛ ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٢٨٦.

(٣) هو آق سنقر بن عبد الله السلاري الأمير شمس الدين ، كان من جملة الأمراء في دولة الناصر محمد انتقل إليه بعد موت أستاذه سلار ، تولى عدد من الولايات ، تولى نيابة السلطنة بعد عودة الناصر أحمد من الكرك ، وقد حسنت سيرته ، وأظهر العدل والكرم المفرط ، غير أنه أُمسك بأمر من السلطان الملك الصالح وذلك سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٣م . ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ٢ ، ص٤٩٩-٥٠٠ ، رقم٥٠٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١، ص٢٣٠ ، رقم١٠١٥.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٣٩ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١٠ ، ص٨٦-٨٧؛ ابن حبيب ؛ **تذكرة النبيه** ، جـ٣ ، ص٥٨.

(٥) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٧٢-٧٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور**، جـ١، ق١٠ ، ص٣٠٢ ؛ ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٣٨-٣٩.

على هواه ، جمع الأمراء وأعلن نفسه سلطاناً على البلاد [1] .

أما الأمير برقوق فإنه عندما اشتد الصراع بينه وبين الأمراء وتفاقم زين له بعض الأمراء المؤيدين له تولي السلطة وألحوا عليه ، فجمع القضاة ورجال العلم وبين لهم مدى الاختلاف الذي بينه وبين كبار الأمراء ، وأن الأحوال في الدولة قد تدهورت نتيجة تولي صبية صغار الحكم ، وأنه لا بد من سلطان كبير تجتمع حوله الكلمة ، وبالفعل تحقق له ما كان يسعى إليه ، فخلع الملك الصالح أمير حاج واعتلى العرش[2] ، وقد قصد من وراء ذلك أن يظهر لهذه الفئة الحريصة على تطبيق الشرع الإسلامي حسن نواياه ، مع أن الحوادث أثبتت أنه كان يخطط من أجل التخلص من جميع منافسيه على الحكم [3] .

وكثيراً ما قامت الفتن والثورات والحروب بين الأمراء أنفسهم ، حيث يدب الشقاق فيما بينهم لمجرد انفراد أحدهم بأمور الدولة طمعاً في السلطة ؛ إذ يريد كل أمير أن يتولى هو الحكم ، فيثور هو وأنصاره ومؤيدوه ، وقد ينجح في ذلك وقد يكون في ثورته نهايته ، ففي سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م ، وهي السنة التي قتل فيها السلطان الأشرف خليل ، أقدم أتباعه الأشرفية وعلى رأسهم الأمير زين الدين كتبغا على الانتقام من الأمير بيدرا – قاتل السلطان – وتمكنوا من قتله ، فحاول الأمير كتبغا أن يلي السلطنة – كما جرت العادة – ولكنه اصطدم في القاهرة بالأمير علم الدين سنجر الشجاعي الذي كان نائباً في القلعة طوال غياب الأشرف ، حيث منعه من تولي السلطة ، ويبدو أنه كان يطمع هو بها ، وقد اتفق الأمراء على إقامة أحد أبناء السلطان سيف الدين قلاوون في الحكم ، فنصَّبوا الناصر محمد وعمره ثمان سنين وقد انفرد الأميران بأمور الدولة ، واستمر التآمر بينهما للفوز بكرسي الحكم ، وحدث قتال عنيف ، انتهى بقتل الشجاعي ، ثم أخذ كتبغا بأسباب

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٥٨ ، جـ١ ، ق٣ ، ص٦٦٣ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة**، جـ٧ ، ص٢٨٦-٢٨٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٤٦-٣٤٧ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **مختار الأخبار** ، ص٦٥-٦٩.

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٣١٠-٣١١ .

(٣) حياة ناصر الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص٢١.

السلطنة بعد ذلك ، فخلع الناصر محمد بعد سنة واحدة من حكمه ٦٩٣هـ-٦٩٤هـ/ ١٢٩٣م-١٢٩٤م وتولى الحكم [١] .

وكان يقلق السلطان الناصر محمد اختلاف الأميرين قوصون وبشتاك ، إذ كاد الخلاف أن يؤدي إلى اقتتالهما ، وقد توفي الناصر محمد ومازال الأميران في خلافهما ، بل زاد ما بينهما في عهد المنصور سيف الدين أبي بكر ، حيث أنقسم المماليك إلى طائفتين ، كل طائفة مع أمير منهما ، وقد نجح الأمير بشتاك في الإيقاع بين الأمير قوصون والسلطان حتى ساءت العلاقة بينهما ، فما كان من قوصون إلاّ أن قبض على بشتاك وسجنه ثم قتله ، ثم حرّض الأمراء على السلطان فقبض عليه هو الآخر وسجنه ثم قتله سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م [٢] .

وفي سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م تزايد تسلط الأمير صرغتمش على الأمراء وكثر ترفعه عليهم ، فتنكر له الأمراء حتى كثرت الأقاويل بوقوع الفتنة بينهم وعلى رأسهم الأمير طاز - وكان حاد الخلق - فأراد أن يخرج لقتاله لولا أن منعه الأمير شيخو وأصلح بينهما [٣].

وتسلُّط الأمراء على بعضهم وإقامتهم للثورات وتدخلهم في أمور الدولة ، ظهر كثيراً في الدولة المملوكيه ، لاسيما بعد وفاة السلطان سيف الدين قلاوون ، حيث تعاقب أولاده وأحفاده على الحكم في ظل وجود أمراء متنافسين على السلطة، أو على الأقل المناصب التى تخول لهم التلاعب بالسلاطين والتسلط عليهم ، فقد عانى الناصر محمد منهم كثيراً ، وكذلك أبناؤه وأحفاده من بعده [٤] ، ومن صور ذلك التسلط والتحكم بالناصر محمد ، أنه في سلطنته الثانية ٧٩٨هـ/ ١٢٩٩م أقدم

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٩٨-٨٠٢ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٨٢-٣٨٤ ؛ ابن خلدون ؛ **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر** ، جـ٥ ، ص ٤٠٧ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٥٢٧ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص١٧-٢٠ ؛ ابن حبيب ؛ **تذكرة النبيه** ، جـ٣ ، ص٢٤-٣١.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٨٦٢ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١٠ ، ص٢٦٨ ؛ ابن إياس ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٧٠ .

(٤) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢٩٩-٣٠٠.

كل من الأميرين بيبرس الجاشنكير والأمير سلار ، على فرض الحجر عليه ، وتقليل ما يأكله ويشربه ، بل إنه إذا طلب شيء يشتهيه ردوا عليه بأقبح رد [1]، بل منعوا أن يتحدث معه أي أمير من الأمراء ، وحرصوا على أن يكون معزولاً عنهم حتى لا تصل إليه أخبار تثير الفتنة وتجعل السلطان يشك في نواياهم تجاهه ، ففي سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م أُخرج الأمير بكتمر الحسامي إلى دمشق ، لأنه جلس مع السلطان محمد وتحدث معه طويلاً [2] .

والحقيقة التي لا غبار عليها هي أن وجود سلطان قوي له الحكم والأمر في الدولة يهابه الأمراء سيحُد بالتأكيد من طمعهم واقتتالهم حول السلطة ، وقد شهدت الدولة المملوكية في بدايتها شيئاً من الفوضى ، حيث سعى كل أمير لإثبات نفسه وإظهار قوته ، غير أنها تمتعت بنوع من الهدوء والاستقرار في عهد السلطان قطز (٦٥٧-٦٥٨م) لانشغالهم بدفع الخطر المغولي عن ديار الإسلام ، واستمر الحال كما هو عليه في عهد السلطان الظاهر بيبرس ٦٥٨هـ-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠م-١٢٧٧م ، والذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية ، حيث أدرك مدى حرص كل أمير للوصول للسلطنة ، فغرس مهابته في قلوبهم فلم يجرؤوا على إثارة الفتن إلا بعد وفاته [3] ، ولمعرفة الظاهر بيبرس بالأمراء وطمعهم نجده يوصي ولده السعيد بركة بالعنف ضد كل أمير يحاول أن يقف في طريقه أو يعارض سلطته ، يقول في وصيته : «... إنك صبي وهؤلاء الأمراء الكبار يرونك بعين الصبي ، فمن بلغك أنه يشوش عليك ملكك وتحققت من ذلك ، فاضرب عنقه في وقته ولا تعتقله ولا تستشر أحداً ، افعل ما أمرتك به وإلا ضاعت مصلحتك» [4] .

أما السلطان سيف الدين قلاوون ٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م فقد نجح نوعاً ما في وضع مبادئ الحكم الوراثي حيث كان مبدأ الوراثة يسير دون اعتراض ،

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٧٩ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص١٧٠-١٧٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٢١.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٩٢٣.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٣٧ ؛ قاسم عبده قاسم ، **تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، ص٢١١.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٤١.

إذ حكم أبناؤه وأحفاده من بعده حقبة استطالت إلى مائة عام [1]، تخللها محاولات من بعض الأمراء لاغتصاب العرش، تظهر حيناً وتختفي حيناً أخر، وقد تعرضت الدولة بعد وفاته لفترات عصيبة، حيث أصبح السلاطين أُلعوبة في أيدي الأمراء، وهذا ما تعرض له السلطان الناصر محمد في الفترتين الأولى ٦٩٣-٦٩٤هـ / ١٢٩٣-١٢٩٤م، والثانية ٦٩٨-٧٠٨هـ/ ١٢٩٨-١٣٠٨م من حكمه نظراً لصغر سنه، ونتيجة لذلك اتخذ من سلطنته الثانية ٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣١٠-١٣٤٠م، فرصة للانتقام من كل أمير أذله أو استخف به ولم يترك لأحدٍ منهم الانفراد بأمور الدولة دونه، وقد عُرف عنه أنه يكتم غضبه وغيظه عن أي أمير في نفسه حتى يجد الفرصة التى تساعده على الانتقام [2]، فقد أمر بالقبض على السلطان بيبرس الجاشنكير وقتله خنقاً [3]، ثم قبض على الأمير سلار وسجنه حتى مات جوعاً [4].

وفي سنة ٧١٠هـ/ ١٣١١م عمل الأمير بكتمر الجوكندار على عزل الناصر محمد من السلطنة واستمال الأمراء للدخول في هذه المؤامرة [5] ظاناً أن الناصر محمد ما يزال الشخصية الضعيفة التي بإمكانه أن يتحكم بها، ولكن اعتقاده كان خاطئاً، حيث كشف السلطان هذه المؤامرة بمساعدة الأمير بيبرس الجمدار [6] الذي حرص

---

(١) ابن عبد الظاهر؛ **تشريف الأيام والعصور**، ص٤٣.

(٢) محمد سهيل طقوش؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٣) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق٢، ص٨٠-٨١؛ ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**، جـ٨، ص٢٧٥-٢٧٦، ابن خلدون؛ **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر**، جـ ٥، ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٤) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق٢، ص٨٨-٨٩؛ ابن إياس، **بدائع الزهور**، جـ١، ق١، ص٤٣٦، ابن حبيب؛ **تذكرة النبيه**، جـ٢، ص٢٩.

(٥) ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**، جـ٩، ص٢٤-٢٥؛ ابن أيبك، **كنز الدرر وجامع الغرر**، جـ٩، ص٢١٢-٢١٣.

(٦) هو بيبرس الأحمدي، أحد الأبطال، كان شجاعاً فارساً محباً للفقراء، كثير المماليك الماهرين في الفروسية، كان واحداً من الأمراء الذين إليهم الحل والعقد بعد موت الناصر، تولى عدداً من الولايات والنيابات، توفي سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م وقد تجاوز السبعين. المقريزي؛ **المقفى الكبير**، جـ٢، ص٥٥٥، رقم ١٠٠٥؛ ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ١، ص٢٩٦، رقم١٣٧٣.

على التقرب من الناصر – لما تمتع به الأمراء المقربون منه بالجاه والنفوذ – غير أن الناصر محمد سجن جميع الأمراء المتآمرين ومن بينهم بيبرس الجمدار ، ولم يقبض على بكتمر الجوكندار ولم يعاقبه على تدبيره ، بل تركه حتى أخذه على حين غره سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م[١] ، وقد علل أبو الفضائل في كتابه النهج السديد عن سبب القبض عليه فقال : « إنه – أي بكتمر – شرع في التدبير لخلع السلطان الناصر محمد ، وإنه أراد السلطنة لنفسه»[٢] .

ومن الطريف أن نذكر سبب قبض السلطان الناصر محمد على الأمير أسندمركرجي[٣] وقتله سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م ، فبعد أن قبض عليه سأل هذا الأمير السلطان عن ذنبه فقال له السلطان : « ما لك ذنب إلاّ أنك قلت لما ودعتك عند سفري إلى الكرك : أوصيك يا خوند لا تترك في دولتك كبشاً كبيراً ، وأنشيء مماليكك . ولم يبق عندي كبش كبير غيرك» [٤].

وقبض على الأمير أرغون الدوادار بعد خيانته له ، حيث أمره السلطان بالقبض على الأمير مهنا بن عيسى وهو في طريقه إلى الحج ، فما كان من أرغون إلاّ أن كتب إليه يحذره من الحج وأن السلطان أمر بالقبض عليه ، ولما علم السلطان بخيانته أراد قتله ولكن شفع فيه الأمراء ، فقبل بذلك وأنعم عله بنيابة حلب[٥] .

وصفوة القول إن علاقة الناصر بأمرائه كانت قائمة على الارتياب والخشية وذلك خوفاً من تكرار ما عاناه منهم في فترتي حكمه الأولى والثانية ، فكان يقبض

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٩٠-١٠٢ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢) نقلاً عن المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص١٠٢، حاشية رقم٥.

(٣) تولى نيابة طرابلس سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م ، وكان شجاعاً واستطاع أن يثبت أسس الأمن والهيبة على حدود السلطنة ، قبض عليه كتبغا وسجنه سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م ، كان له مواقف كبيرة في التصدي للتتار ، تولى بعد ذلك نيابة حماه في سلطنة الناصر محمد الثالثة ، ثم حلب ، وقد قبض عليه الناصر محمد وسجنه ثم قتل سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٢٦-٢٢٧ ، رقم٩٨٩.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٩٣-٩٤.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢، ق١ ، ص٢٧٧-٢٧٩.

على كل أمير يشك فيه أو يشتبه في ولائه للعرش ، فيقتله أو يسجنه ومن ثم يصادر أملاكه[1] ؛ وكان الأمراء يخشون منه فقد أفنى الكثير منهم ، وقد بلغ عددهم نحو المائتي أمير ، وكلما قرب إليه أميراً وزاد في ألقابه وأغدق عليه بالخلع والتشاريف حتى إذا كبر وزاد نفوذه غدر به فجأة ، وهذا ما تعرض إليه الأمير بكتمر الساقي ، وشمس الدين قراسنقر [2] ، فكان كما قال عنه الشاعر :

ترجى مكارمه ويُخشى بطشه　　　مثل الزمان مسالماً ومحارباً [3]

وبعد وفاة الناصر محمد ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م دخلت الدولة المملوكية مرحلة جديدة من تاريخها ، وهي المرحلة التى سميت بعصر أبناء الناصر محمد وأحفاده[4] ٧٤١-٧٨٤هـ/ ١٣٤٠-١٣٨٢م ، وأهم ما تميزت به هذه الحقبة ، هي الزيادة الملحوظة في تسلط الأمراء وتحكمهم في سلاطينهم حيث تلاعبوا بهم كالدمى يحركونهم كيفما شاءوا [5] .

ازدياد نفوذ الأمراء أدى إلى استمرار التنافس والتحاسد بين بعضهم ، وتدبيرهم للدسائس والفتن فيما بينهم ، وذلك يعود إلى عدم وجود سلطان قوي يردع الأمراء ويحد من أطماعهم فكانت تلك المؤامرات - التى تعززها منافسات ومشاحنات الأمراء فيما بينهم - تدفعهم إلى الاجتماع حول سلطان يختارونه ، ثم تعمل فئة أخرى منهم على خلع ذلك السلطان وإقامة غيره انتقاماً ممن اجتمع حوله منهم ، مما يؤدي إلى الاضطرابات والفوضى التى لم تتعرض لها مصر في عهد سلاطين لهم القوة سابقاً [6] ، فأصبحت مسرحاً لحركات التمرد المستمرة وعانت من من عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي .

---

(١) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢٩٧ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصر والشام** ، القاهرة ، ص١٢٨.

(٢) اليوسفي ؛ **نزهة الناظر** ، ص١٣٥-١٣٩.

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٨٢.

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي** ، ص١٢٩.

(٥) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٣٠١-٣٠٢.

(٦) حياة ناصر الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص١٥.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول إن هؤلاء الأمـراء لم يركنـوا إلى الهـدوء طـوال تلك الحقبة الأخيرة من تـاريخ هـذه الدولـة ، حتـى كانـت خلافـاتهم فـيما بيـنهم وثوراتهم المستمرة من أهم أسباب تقويض أركـان دولـتهم ، وبالتـالي نهايتهـا بعـد حكم دام قرابة مائة وستة وثلاثين عاماً ، لتقوم على أنقاضها طائفة من المماليك هـم المماليك الجراكسة الذين قبضوا على زمام الأمور في الدولة وأسسوا دولـة لهـم عـلى أرض مصر [1] .

غير أن أهم مـا تميـز بـه المماليـك - بغـض النظـر عـما هـم فيـه مـن الفـوضى والاضطراب - هو وقوفهم صفاً واحداً أمام أي عدوٍ يحاول القضاء على دولـتهم ، حيث يلتفون حول سلطانهم وينسون ما كان بينهم من مشاحنات وخلافات [2] .

ولأن الأمراء المماليك هم مرتكـز السـلطة ، فقـد عمـل السـلاطين في الدولـة المملوكية على الاعتماد عليهم وإرسالهم في حملات عسكرية لإخماد بعـض الثـورات الداخلية والخارجية ، أو لحل بعض المشاكل التى تقع فيها بعض المـدن والولايـات المصرية .

بلاد الشام كانـت مصـدراً مهـماً لـبعض الثـورات التـى عانـت منهـا الدولـة المملوكية ، حيث انتهز الأمـراء بُعـد الشـام عـن مركـز السـلطنة وحـاولوا فـرض سلطتهم عـلى النيابـات وفـرض كلمـتهم عـلى السـلاطين ، وخاصـة في الأزمـات الداخلية أو التحديات الخارجية التى كانت تعاني منهـا القـاهرة مـن حـين إلى آخـر فعمل الأمراء المماليك بالشام على إثارة الفتن والثورات في وجـه سـلاطين مصـــر ، وطالبوا بالسلطنة لأنفسهم ، واستعانوا بأعـداء الدولـة مـن مغـول وصـليبيين ممـا أضعف الدولة سياسياً وعسكرياً [3] .

بل أن الشام أصبحت مأوى للأمراء الخارجين عن السلطة بالقاهرة ، مما سبب الكثير من المتاعب للسلاطين ، فعلى سبيل المثال في سنة ٦٥٨هــ/ ١٢٦٠م ، وهـي

---

(١) قاسم عبده قاسم ؛ **الأيوبيين والمماليك** ، ص٢٧٣ ؛ محمـد سـهيل طقـوش ؛ **تـاريخ المماليـك في مصــر وبلاد الشام** ، ص٣١٢ ؛ حياة ناصر الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص١٥.

(٢) عبد الله سعيد الغامدي ؛ **جهاد المماليك** ، ص١٠٥ ؛ سعيد عبـد الفتـاح عاشـور ؛ **العصــر المماليكـي** ، ص٣٦-٣٧.

(٣) مفيد الزيدي ؛ **موسوعة التاريخ الإسلامي** ، ص٢٠٢.

السنة التى اعتلى فيها الأمير بيبرس البندقداري الحكم ، خرج عن طاعته الأمير سنجر الحلبي نائب الشام في دمشق [1] ، وقد حاول السلطان بيبرس أن يثنيه عن عزمه ذلك ، فأرسل إليه يستميله ويرده إلى الطاعة ، ولكنه رفض الخضوع للسلطان فجرد إليه حمله عسكرية بقيادة الأمير علاء الدين البندقداري لإخماد فتنته ، وقد تم ذلك وقُبض على الأمير سنجر وسيق إلى القاهرة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م[2] .

وعلى نفس الوتيرة كان خروج الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، نائب دمشق على السلطان سيف الدين قلاوون سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م ، حيث أعلن الثورة على السلطان وجمع حوله الأمراء وتلقب بالملك الكامل [3] ، وحاول السلطان أن يقضي على ثورته فأرسل عدة حملات [4]، كان أخرها بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة بمصر ، فما زال به الأمير حتى أذعن الأمير سنقر للصلح واستسلم وذلك سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م[5] ، وباستسلامه دانت بلاد الشام للسلطان قلاوون ، بعد أن كانت تشكل مصدر قلق لأي سلطان يتولى حكم الدولة المملوكية[6] .

---

(١) كان سبب خروجه عن الطاعة احتجاجه لمقتل السلطان قطز ، وتولى بيبرس السلطنة دون أن يستشير بقية الأمراء . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٤٣٨-٤٣٩ ؛ أبو الفداء ؛ **المختصر في أخبار البشر**، جـ٣ ، ص٢١٠ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص٤٥ ؛ **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** ، جـ٩، ص٧٧.

(٢) ابن كثير ؛ **البداية والنهاية** ، جـ١٣، ص٢٥٩ ؛ ابن إيبك ؛ **كنز الدرر** ، جـ٨ ، ص ٦٩-٧٠ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص٤٦ ، قاسم عبده قاسم ؛ **عصر سلاطين المماليك السياسي والاقتصادي ، ص ٨٧** .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٦٧٠؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة**، جـ٧ ،ص٢٩٤ ؛ ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٦١-٦٩.

(٤) الحملة الأولى بقيادة الأمير سنجر الحلبي ، والثانية سنة ٦٧٩هـ بقيادة الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، ومال سنقر الأشقر إلى الصلح ، لكنه استمر على العصيان ، فأرسل إليه السلطان المنصور حملة ثالثة بقيادة الأمير حسام الدين طرنطاي ونجح في إخماد فتنته . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٦٨٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٩٦-٢٩٥.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٦٨٨ ؛ ابن عبد الظاهر ، **تشريف الأيام والعصور**، ص١٥٠ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **زبده الفكر في تاريخ الهجرة** ، جـ٩ ، ص١٦٦-١٦٧ .

(٦) نعمان جبران ؛ **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، ص٣١٢.

وفي سنة (٧٦٢ هـ / ١٣٦٤ م) خرج الأمير بيدمر الخوارزمي نائب الشام [١] على السلطان المنصور علي بن السلطان حاجي ، وأعلن التمرد والعصيان فخرج الأمير يلبغا العمري بالعساكر المصرية ، ومعه السلطان ، وتم القبض على الأمير الثائر والقضاء على حركته [٢] .

وعلى الرغم من تكاتف الأمراء واتحادهم ضد أعدائهم ، نجد منهم من يطلب العون من أعداء الدولة ، أو يخرج إليهم فراراً من السلطان ، مثل الأمير سنقر الأشقر والأمير قبجق [٣] ، فقد استعانا بالتتار على دولتهم [٤].

ومن الأخطار التي كثيراً ما هددت أمن الدولة المملوكية ، وجُرد الأمراء للقضاء عليها ثورة العربان [٥] الذين كانوا يقيمون في نواح متفرقة منها الشرقية والغربية والبحرية والوجه القبلي [٦] ، فلم يسلم سلطان مملوكي من ثورة العرب وقطعهم للطرقات وسفكهم لدماء الأبرياء والنهب والسرقة وغيرها ، وعلى سبيل المثال ؛ فقد ثار العرب ببلاد الصعيد والوجه البحري سنة ٦٥٢هـ-١٢٥٤م ، وقطعوا الطريق براً وبحراً ، وسبب ذلك احتقارهم للعنصر التركي ، إذ لم يرضوا

---

(١) أول ما ولي نيابة حلب سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م ، وغزا سيس سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م ، ثم توفى نيابة دمشق في أواخر دولة الناصر حسن ، تنقل بيدمر في النيابات وقبض عليه نائب قلعة دمشق ، وكان أخر العهد به وذلك سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م ، وكان مشكور السيرة . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٣٠٣ ، رقم١٣٩٤؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٢٠٩ ، رقم٧٣٦.

(٢) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١١ ، ص٤-٥ ، ابن حبيب ؛ **تذكرة النبيه** ، جـ٣ ، ص٢٤١.

(٣) هو قبجق بن عبد الله المنصوري ، أصله من المغول ، وقع أسيراً في الهجوم على الإبلستين لما دخلها بيبرس سنة ٦٤٥هـ/ ١٣٤٥م فأعطاه للمنصور قلاوون ، كان يميل إلى المغول مات سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م ، وكان بطلاً شجاعاً عارفاً جيد الرأي. ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص١٤٥-١٤٦ ، رقم٣٢٤٩؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ٢ ، ص٥٣٣ ، رقم١٨٢٦.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، صـ٨٧٢-٨٧٣ ، جـ٢ ، ق١ ، ص١٠١-١١١-١١٥

(٥) هم القبائل العربية التى استوطنت مصر سواء جاءت مع الفتح الإسلامي أو قدمت إليها بعد ذلك ، وهم جماعات كثيرة وقبائل متعددة ، سكنت في الوجهين القبلي والبحري ، وهم في القبلي أكثر ، حيث الامتداد الطبيعي نحو الصعيد وبلاد النوبة ، الأمر الذي ساعدهم على وجود ملاذ آمن لحماية أنفسهم في وقت الثورة على المماليك ، وقد أدت هذه الثورات إلى الاضطرابات والأزمات والفتن . حمود بن محمد النجيدي ؛ **نيابة السلطنة في مصر المملوكية** ، حاشية رقم٦٣.

(٦) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ ٢ ، ص٣٠٤.

بسلطان مسه الرق على حد قولهم ، وكثيراً ما ضايقوا السلطان أيبك في الطرقات ، ورددوا : « لا نريد إلاّ سلطاناً رئيسياً مولوداً على الفطرة»[1] ، و« أن ملك مصر يجب أن يكون للعرب وليس للعبيد الأرقاء»[2] ، ونتيجةً لذلك أرسل السلطان أيبك حملة عسكرية تأديبية للقضاء على هذه الثورة بقيادة الأمير فارس الدين أقطاي ، الذي تمكن بفضل مهارته الحربية من القضاء عليها[3] ، وهي واحدة من الثورات التى شكلت خطراً على الدولة المملوكية واستقرارها في مصر[4].

وفي عهد السلطان المنصور قلاوون سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م ، ثار عرب الصعيد، فخرج إليهم الأمير حسام الدين طرنطاي ، وقتل جماعة من العربان وحرق كثيراً منهم بالنار ، وأخذ خيولاً كثيرة وسلاحاً ورهائن من أكابرهم وعاد إلى القاهرة محملاً بالغنائم[5] .

وفي سنة ٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م اختلفت قبيلتا جابر ومرديس بالحيرة ، فبعث إليهم السلطان الناصر محمد حملة تأديبية بقيادة الأمير بيبرس المنصوري الدوادار وتمكن من كسرهم كسرة قوية ، فهربوا إلى الجبال ، وغنم جنود السلطان غنائم كثيرة وعادوا إلى القاهرة[6].

العربان كثر عبثهم وفسادهم بالوجه القبلي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م ومنعوا إرسال الخراج للدولة مستغلين فرصة انشغال الدولة بدفع خطر غازان ، فخرج إليهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، فأوقع بالكثير منهم ، وقتل المفسدين ، وجمع سائر الأسلحة والخيول ، ولم يترك مع العربان والفلاحين منها شيء وعاد بها

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص١٣ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٣٨٦.

(٣) النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ ٢٩ ، ص٤٢٩ .

(٤) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٤٧ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٥١-٧٥٤ ، جـ٢ ، ق١ ، ص١٢٩-١٣١-١٣٢ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٩١٤ ؛ وذكر الأمير بيبرس المنصوري في كتابه التحفة الملوكية أن أن هذه الواقعة حدثت سنة ٧٠٠هـ ، ص١٦٠-١٦١ .

إلى القاهرة ، وقد سكن ما بالبلاد من الشر ودان الفلاحون ودفعوا الخراج [1] .

وفي سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م بلغ السلطان الناصر محمد ثورة عرب الصعيد ، وقطعهم الطريق ، وقتلهم الكثير من الناس ، فوجه إليهم العساكر مع الأميرين سلار وبيبرس الجاشنكير ، ونجحوا في إخماد ثورتهم وقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا غنائم كثيرة [2] .

غير أن أعظم حوادث الصعيد التى واجهها الأمراء المماليك كانت سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م في عهد السلطان الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون ، حيث خرج العربان بالوجه القبلي عن الطاعة وأقدموا على سفك الدماء ، وقطع الطرقات ، ونهبوا أموال الناس ، واستمر الحال بالصعيد سنة كاملة ، وهلك فيها خلق كثير ، فقرر الأمراء تجريد حملة عسكرية بقيادة الأمير شيخو ومعه اثنى عشر مقدماً وعدد من الأمراء ، ودارت بين العرب والمماليك معركة عظيمة رجحت فيها كفة الأمراء المماليك ، وكانت هذه المعركة من أعظم المعارك التى خاضها المماليك مع العرب [3] .

والواقع أن معارك العرب مع المماليك ، مهما بلغ فيها استعداد العرب ، إلاّ أن نتيجتها هي هزيمتهم أمام قوة المماليك والاستيلاء على ممتلكاتهم ، وما ذلك إلاّ أن المماليك نظروا إلى أن أي ثورة يقوم بها العرب هي طمع في الحكم ، فاستخدموا وسائل القوة والعنف لقمع ثوراتهم [4] .

وفي خضم الأحداث التى تناوب بعض الأمراء على إقامة الثورات فيها وإخمادهم لبعضها ، يظهر دور العامة وإثارتهم للفتن ، على الرغم من أن ما قاموا به كان من أجل التعبير عن غضبهم لاضطراب الأمور في الدولة ، وإبداء استنكارهم

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٩١٤-٩٢٠.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص١٩١-١٩٢ ؛ الصفدي ؛ **نزهة المالك والمملوك** ، ص١٨٤-١٨٥.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٩٠٧-٩١٤.

(٤) محمود السيد ؛ **تاريخ القبائل العربية** ، ص١٦٨- ١٦٨ .

لأفعال الأمراء القهرية على السلاطين ، وخاصةً من أبناء السلطان سيف الدين قلاوون وأحفاده ، فقد كان لأسرة قلاوون مكانة خاصة في قلوب عامة الشعب المصري منذ حكمه على البلاد ، وزادت هذه العلاقة في عهد الأشرف خليل ثم الناصر محمد[1] .

كما كان للعامة دور عظيم في إعادة الناصر محمد إلى عرشه المسلوب ، إذ ناصروه ووقفوا معه ضد الممارسات التي اتبعها كبار الأمراء المماليك ، وقد قدّر الناصر محمد دورهم ذلك ولم ينسه طيلة تربعه على عرشه ، إذ اعتبره بمثابة الأساس الذي ارتكز عليه في بناء دولة عظيمة طوال اثنين وثلاثين عاماً[2] ، ففي سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠ تمادى الأمير بيبرس الجاشنكير وسلار على الناصر محمد واتفقا على التضييق والحجر عليه ، وتآمرا عليه ، فلما وصلت الأخبار إلى عامة الشعب ثاروا في شوارع القاهرة ، وتجمهروا حول القلعة وهم يصيحون باسم الناصر ، وقد حاول الأميران بيبرس وسلار مواجهة الأمر حتى لا تزيد الفتنة ، واستخدموا وسائل القوة لتفريق جموعهم ولكن دون جدوى[3] ، الأمر الذي أدى إلى وقوع الاشتباكات بين الطرفين ، وزادت الثورة فما كان من الأميرين إلا أن خضعا للعامة وطلبا من السلطان الناصر محمد الخروج أمام العامة حتى تهدأ ثورتهم ، فلما خرج الناصر محمد لهم هدأت فتنتهم وتفرقوا[4] .

سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م كره العامة بالقاهرة حكم السلطان بيبرس الجاشنكير[5] فثاروا عليه ، فقرر الهرب خاصة بعد أن وصلت إليه الأخبار باجتماع الأمراء حول

---

(١) حياة ناصر الحجي ؛ **أحوال العامة** ، ص١٠٢.

(٢) حياة ناصر الحجي ؛ **أحوال العامة** ، ص١٩٢.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٣٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص١٧١-١٧٢.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٣٥-٣٦ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة**، جـ٨ ، ص١٧٢-١٧٣.

(٥) بسبب الغلاء الذي حدث في عهده حتى تشاءم الناس أن يقع لهم ما وقع في عهد كتبغا وغنوا : (سلطاننا ركين ونائبنا دُقين ، يجينا الماء من أين ، جيبوا لنا الأعرج ..) ، المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٥٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٢٤٣-٢٤٤.

الناصر محمد ، وأنه في طريقه من الكرك إلى القاهرة ، فلما رآه العامة فاراً ومعه عساكره صاحوا به وتبعوه حتى زاد صياحهم عن الحد ، ولم يكتفوا بذلك، بل رماه بعضهم بالحجارة ، وقد حاول من معه مقاتلتهم ، ولكنه منعهم حتى لا يتفاقم الأمر ، وحاولوا اشغالهم بالدراهم ولكن دون جدوى ، فقد أخذ العامة يشتمون ويصيحون عليه حتى اختفوا عن الأنظار فصاحوا باسم الناصر محمد وخُطب له على منابر القاهرة [1] ، فزال بذلك حكم الجاشنكير وبدأ عهد جديد للدولة المملوكية هو في الحقيقة من أزهى عصورها على الإطلاق .

على أن هذه الثورات التى أقامها عامة الشعب المصري المغلوب على أمره ، لم تكن اهتماماً منهم بنظام العرش أو ما للناصر محمد من حق في عرش أبيه ،بقدر ما هو بحثاً عن الاستقرار السياسي والاقتصادي والهدوء الداخلي في الدولة ، والذي أخذ في الانهيار بسبب منازعات الأمراء ، الأمر الذي جعلهم يرون في السلطان الناصر محمد المخلّص لهم لما هم فيه من الاضطرابات ، ولما كان يتمتع به من مكانة عظيمة في قلوبهم [2].

وقد يُحدث العامة بعض الثورات مطالبين بخلع مسئول متسلط أو والى جائر أو أمير ظالم ، ولتهدئة الوضع يلجأ الأمراء إلى استجابة مطالبهم ، وما ذلك إلا لكسب ودهم ، وبالتالي سكوتهم عن تردي الأوضاع الداخلية سياسياً واقتصاديا واجتماعيا [3]، وتكون ثورتهم في بعض الأحيان كبيرة لا يجدي معها استخدام القوة فيضطر الأمراء إلى الاستجابة لهم ، وهذا ما حدث مع الأميرين بيبرس وسلار ، كما سبق أن ذكر آنفاً .

ومن أمثلة ثورة العامة على بعض الأمراء بسبب جورهم وظلمهم لهم ، والتي

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٨٧٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٤٠-٤٣١ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص٥٥.

(٢) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص ٨٨-٨٩ ؛ محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص ٢٢٩ .

(٣) حياة ناصر الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص١٠٤.

يظهر من خلالها مدى استغلال بعض الأمراء موقف العامة لصالحهم بالوقوف معهم والاستجابة لهم ، وبالتالي كسب تأيدهم ووقوفهم معه في حالة رغبته في الوصول إلى السلطنة ، ومثال ذلك ما حدث سنة ٧٨١هـ/ ١٣٨٠م حيث تخوف العامة من الأمير بركة الذي عزم على الخروج على العامة وإعمال السيف فيهم - بلا سبب يذكر - فما كان منهم إلاّ أن أغلقوا حوانيتهم من أول الليل ، فاستغل الأمير برقوق الموقف فنادى بالأمان ، وخوّل للعامة القبض على من يعاديهم ، وإحضاره إليه فاطمأنوا ، وازدادوا حباً له وتعصبوا له وأيدوه عند توليه السلطة[1] .

وفي سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م قام العامة بثورة في شوارع القاهرة مطالبين السلطان شعبان بن حسين بن الناصر محمد بعزل والي القاهرة الشريف بكتمر [2] وتسليمهم إياه ؛ وذلك لأنه ضرب عدداً منهم بالمقارع [3] ، فتجمعوا حول القلعة وضجوا بالشكوى منه ، فأمر السلطان بعزل الوالي إرضاءً لهم ولم يسلمه لهم ، فما كان منهم إلاّ أن رموا الوالي بالحجارة عندما كان صاعداً إلى القلعة ، فاجتمع الأمراء لتفريق جموعهم وإخماد ثورتهم ، وخرج الأمير ألجاي اليوسفي ومن معه من الأمراء فقتلوا جماعة منهم وسجنوا جماعة ، فضجت القاهرة ، فلما علم السلطان بالأمر شق عليه ذلك وعنّف الأمراء ، وأخرج من كان بالسجون من العامة ، وهدأت الأمور بعد ذلك [4] .

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣٥٢-٣٥٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٢٤٠.

(٢) هو الشريف بكتمر بن علي الحسني ، تولى ولاية القاهرة ثلاث مرات الأولى سنة ٦٧٤هـ/ ١٣٧٣م ، ثم عزل منها سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٦م ، ثم تولاها في المرة الثانية في ٧٦٧هـ/ ١٣٦٧م ، لكنه عزل منها سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٨م ، ثم تولاها للمرة الثالثة وعزل سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٨٤-١١٥-١٤١-١٥٥-١٧٣-١٧٤ ، ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥-١٦-٥٩-٧١-٧٤-٨٩.

(٣) سبب ضرب الوالي لهم هو تجمعهم على مراكز العقوبة ، مما أثار غضبه فأمر بضربهم بالمقارع حتى يرتدعوا عن التجمع . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١، ص١٧٣ ؛ حياة ناصر الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص١٠٢.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص١٧٣-١٧٤ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٨٨-٨٩.

وكثيراً ما تأثر العامة بالأوضاع الداخلية في الدولة وحدوث الثورات التي يقوم بها بعض الأمراء الطامعين في السلطة ، ففي سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٩م عزم الأمير طشتمر الدوادار على إيقاف مسيرة الحج بسبب الفتنة التي دبرها بعض الأمراء ضد السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، فثارت العامة ورجموه ونهبوا الأسواق [١] .

كما شاركوا في إخماد بعض الفتن التي أحدثها الأمراء ضد بعض السلاطين وخاصةً من أبناء الناصر محمد ، ففي سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٨م حَسّنَ الأمير أسندمر الدوادار[٢] للأمير خليل بن قوصون السلطة ووعده بالوقوف معه حتى يعتلي العرش - على اعتبار أنه ابن بنت السلطان الناصر محمد - فخرجا على السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، وطلبا منه خلع نفسه من السلطنة ، بل حاولا الوثوب عليه وقتله ، فصاح السلطان بالعامة : «بأن هؤلاء مخامرون فارجموهم» ، فصاح العامة ورجموهم بالحجارة مع المماليك السلطانية حتى انكسر الأميران ومن معهما وقبضت عليهما العامة وسلموهما للسلطان فسجنهما [٣] .

ولم يكن للعامة حيلة في التخلص من بعض الأمراء الذين تسلطوا عليهم سوى أنهم يعبرون عن غضبهم بنهب قصورهم الفخمة وبيوت أتباعهم ، وقد يشجعهم على ذلك بعض الأمراء بسبب العداء بينهم وحسدهم لذلك الأمير المتسلط على ما وصل إليه من المكانة ؛ فعلى سبيل المثال ، في سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م ساءت الأحوال بين الأميرين قوصون وأيدغمش وكادت تقع فتنة عظيمة بينهما [٤] ، وبقي الأمر حتى تمكن الأمير أيدغمش من جمع العامة على إصطبل قوصون لنهبه ،

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، صـ٢٨٤ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص١٧٨ .

(٢) هو الأمير الكبير في دولة الأشرف ، كان دويداراً عند يلبغا الناصري ، ثم كان ممن ثار على أستاذه فلما قتل استقر مدبر المملكة أمَّره الأمير يلبغا وقدمه ، إلا أنه خرج عليه وانضم مع الأجلاب الذين أقاموا الفتنة فسجن أسندمر بالإسكندرية ، ومات في رمضان سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٨م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٢٥ ، رقم٩٨٣ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص١٥١-١٥٣ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٦-٦٩ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣، ص٥٧٩ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٩٢ .

ولم تمضِ إلاّ ساعات من النهار حتى نهب العامة جميع ما في إصطبل الأمير قوصون، وقد وقف العامة مع الأمراء ضد قوصون حتى انتهى الأمر باستسلامه [1].

أما الأمير يلبغا الخاصكي الذي استفحل أمره في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين وتحكم بالأمور ، وارتكب الكثير من المظالم ضد عامة الناس ، لما قتل على يد الأمراء وانتهى خبره خرج العامة إلى بيوت أتباعه فنهبوها ولم يتركوا بيتاً منها إلا وانقضوا عليه كالجراد المنتشر ، ولم تهدأ الأحوال في ذلك العام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م إلا بعد تدخل الأمراء والمناداة بعودة الأمان ، ومن استمر في ذلك منهم شنق ، فانكفوا [2].

والملاحظ في ثورة العامة مع الأمراء أنها لم تحدث في عهد الناصر محمد إلاّ في القليل النادر[3] ، وذلك لتمتع العامة في عهده بنوع من الرخاء الاقتصادي والاستقرار الداخلي في الدولة ، إضافةً إلى وقوف السلطان معهم إذا وقعت أزمات اقتصادية أو تسلط عليهم الأمراء [4] ، ومن صور وقوف الناصر محمد مع عامة الشعب ضد مظالم بعض الأمراء المماليك أنه في سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م ، أمر أن يجلس بدار العدل في كل إثنين وينادي أن من له مظلمة فليرفعها لدار العدل فخاف الأمراء من بطش الناصر ، فأدوا إلى الناس حقوقهم من غير شكوى ، وقد أنصف الناصر محمد المظلومين من الناس وأستمر على ذلك [5] .

ساهم الأمراء المماليك على بسط نفوذ دولهم على أقاليم مختلفة قريبة ومحيطة بمصر والشام ، ففي الحجاز الذي حرص سلاطين المماليك على ضمه تحت لوائهم

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٥٧٩-٥٨٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٩٣-٤٩٤.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص١٣٦-١٣٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٠-٥٣.

(٣) أحدث العامة في عهد الناصر محمد حريقاً في بعض كنائس بالقاهرة مما أغضب الناصر غضباً شديداً عليهم فخافوا بطشه . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٢١٨-٢١٩.

(٤) حياة ناصر الحجي ؛ **أحوال العامة** ، ص٢٣٠.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص١٠٣.

لأسباب سياسية واقتصادية ودينية [1] على يد السلطان الظاهر بيبرس [2] ، الذي ضمن اعترف أشراف مكة بحكم المماليك ووضع إمارتهم تحت السيادة المملوكية ، على اعتبار أنهم حماة الدين الإسلامي ، مما زاد من هيبتهم أمام المسلمين [3] .

لذلك كان أشراف مكة يستنجدون بسلاطين مصر كلما وقع خلاف بينهم على السيادة والنفوذ ، الأمر الذي سهل على سلاطين المماليك بسط نفوذهم وسيادتهم على الحجاز ، بل والتدخل في تعيين أمرائها [4].

ففي سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠٢م) ، خرج عدد من الأمراء المماليك للحج ، وعددهم ثلاثون أميراً ، منهم الأمير بيبرس الجاشنكير وأمير الركب الأمير بيبرس المنصوري الدوادار ، فلما وصلوا إلى مكة شكا إليهم الشريفان عطيفة [5] وأبو الغيث [6] من أخويهما أسد الدين رميثة [7] وحميضة لانفرادهما بالأمارة دونهما ،

---

(١) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٠٧-١٠٨ ؛ علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص١٧٥-١٧٦ .

(٢) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص١٠٩ .

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** ، ص٣٣٦.

(٤) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص١٧٦ .

(٥) هو الشريف عطيفة بن محمد بن حسن بن علي ، أمير مكة ، أقرّه الأمير بيبرس الجاشنكير لما حج ، عوضاً عن الشريفين حميضة ورميثة سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠٢م ، عُزل عن أمارة مكة مرتين وعاد إليها سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م بأمر من السلطان الناصر محمد ، وكان حسن السيرة لم يتعرض لأموال الناس، وفي سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م قبض الناصر محمد عليه وسجنه بالإسكندرية وسجن معه ولده مبارك . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢، ص٢٧٦-٢٧٧ ، رقم٢٦٣١.

(٦) هو الشريف أبو الغيث بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسني المكي ، تولى إمارة مكة سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م شريكاً لأخيه عطيفة ، ثم عزل عنها سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م ، ثم عاد إلى إمارتها سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م ، قتل بأمر من أخيه حميضة بعد حروب بينهما وذلك سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م . ابن فهد ، **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام** ، جـ٢ ، ص١١١-١١٢ ، رقم ١٨١ ؛ الفاسي المكي ؛ **العقد الثمين** ، جـ٨ ، ص٧٩-٨٠ ، رقم٢٩٥٥ .

(٧) هو الشريف رميثة أسد الدين أبو عرادة بن أبي نمي ، ولي إمرة مكة مع أخيه حميضة ثم استقل سنة ٧١٥هـ ، قبض عليه السلطان الناصر محمد سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م في ذي الحجة غير أنه هرب ، وعاد بعد مدة إلى مكة ، قامت بينه وبين أخيه عطيغه حروب تضرر منها الناس ، غير أنهما اصطلحا ، أكرمه الناصر محمد عندما حج السلطان سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م ، انفرد رميثة بالحكم سنة ٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م وظل على ذلك حتى سنة ٧٤٤هـ ، وترك الأمره لولديه ثقبة وعجلان ، ومات سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة**، جـ٢ ، ص٦٦ ، رقم١٧٢٦.

فما كان من الأمير بيبرس إلاّ أن قبض على رميثة وحميضة ، وحملهما إلى القاهرة وذلك سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م ، وولى عطيفة وأبا الغيث إمارة مكة [١] .

وفي سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م قدم إلى القاهرة أمير مكة رميثة فاراً من أخيه حميضة يشكو إلى السلطان الناصر محمد أن حميضة مَلَكَ مكة وخطب لأبي سعيد خربندا [٢] ، وأخذ أموال التجار ، فأرسل السلطان حملة عسكرية إلى مكة على رأسها الأمير صارم الدين أُزبك الجرمكي [٣] ، والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمي ، في ثلاثمائة فارس من أجناد الأمراء [٤] ، ولكن الحملة عادت إلى القاهرة سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م دون القبض على حميضة ؛ وذلك لأن الأمير بهادر منع أزبك من القبض على حميضة ، وأمام هذا التصرف من الأمير بهادر ، أمر السلطان بالقبض عليه وسجنه [٥] .

وفي سنة ٧٣١ هـ/ ١٣٣١م حدثت فتنة في مكة بين الشريفين عطيفة ورميثة ، وتعدى الأمر إلى الخروج على السلطان الناصر محمد ، وتحريض العبيد على جماعة الأمراء المماليك ، فخرج العسكر من القاهرة بقيادة الأمير سيف الدين أيتمش [٦] ومعه عدد من الأمراء بلغ عددهم سبعمائة فارس ، وقد نجح الأمير

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٩٢٤ .

(٢) هو ملك التتار وصاحب العراق والجزيرة وخراسان والروم ، كان مسلماً حسن الإسلام جيد الخط جواداً عارفاً بالموسيقى ، حكم قرابة عشرين سنة ، ومات سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م بالأرق ، وتأسف الناصر عليه لما بلغه موته . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٩٦ ، رقم١٣٧١ .

(٣) هو صارم الدين أزبك الحموي الجرمكي ، أحد مماليك المنصور صاحب حماه ، ترقى إلى أن صار من أمراء حماه ، كان مقدماً شجاعاً مهاباً جواداً ، مات سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م في حماه وقد قارب المائة . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٠٧ ، رقم٨٨١ . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١١٢ ، رقم٣٨٨ ، ابن حبيب ؛ **تذكرة النبيه** ، جـ٢ ، ص٢٨٤ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص١٧٦ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص١٨٠ .

(٦) هو سيف الدين أيتمش ، أحد مماليك الأشرف خليل ، كان في خدمة كتبغا ثم الناصر محمد لما خرج إلى إلى الكرك في سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م ، ولما عاد الناصر محمد إلى مصر استنابه بالكرك ، ثم نقله إلى مصر سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م وصار من أكابر الأمراء ، وكثيراً ما ولاه الناصر النيابات ويرسله في المهمات حتى مات سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م ، وكان الناصر معجباً به وكان يقول عنه : (كان أيتمش

أيتمش في إقناع رميثة بالرجوع إلى طاعة السلطان ففعل ، وأخبر السلطان بأنه لا علاقة له بهذه الفتنة ، فعفا عنه وأعاده إلى مكة وعينه أميراً عليها ، وقد أثنى السلطان على العسكر المجرد لقضائهم على الفتنة [1].

وخضعت بلاد اليمن للدولة المملوكية ، حيث استطاع السلطان الناصر محمد حسم المنازعات والخلافات التي كانت قائمة في تلك البلاد بين أمرائها ، ففي سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م تجددت النزاعات الداخلية في اليمن ، وتراجع نفوذ المجاهد سيف الدين صاحب اليمن[2] أمام تصاعد نفوذ صاحب دملوه [3] ، بحيث لم يتعد حصن تعز ، فطلب المساعدة من السلطان الناصر محمد والذي أعد جيشاً بقيادة الأمير بيبرس الحاجب والأمير طينال[4] ، ونجحا في حسم النزاع فيها ، وبالتالي تأمين مصالح الدولة المملوكية وإخضاع ملوك هذه البلاد لطاعة المماليك ، فصاروا يرسلون الإتاوات إلى مصر خوفاً من تحرك الجيوش المملوكية لغزو بلادهم[5].

وكان حكام بلاد النوبة [6] يسببون الكثير من المتاعب لسلاطين الدولة المملوكية ، الأمر الذي دفع سلاطين المماليك لوضع حدٍ لتعدياتهم على حدود مصر الجنوبية ، ففي سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م جرد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري

ميمون العشرة ما أرسلته في أمر مهم إلاّ قضاه ولا وقف في عسكر إلاّ وأنتصر) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٤٨-٢٤٩ ، رقم١١١٣.

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٣٣١-٣٣٢.

(٢) هو علي بن داود بن يوسف بن محمد بن علي بن رسول ، بُويع بالسلطنة بعد موت أبيه سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م وعمره ١٥ سنة ، له الكثير من المآثر باليمن ومكة ، توفي سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٤م وعمره ٥٨ سنة وقيل ٥٧سنة . الفاسي ؛ **العقد الثمين** ، جـ٦ ، ص١٥٨-١٧٣ ، رقم٢٠٥٨.

(٣) هو ابن عم المجاهد ، ويدعى الظاهر عبد الله بن منصور . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق ١ ، ص ٢٥٩.

(٤) هو طينال الأشرفي الحاجب ، ولي نيابة طرابلس في ربيع الآخر سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م فباشرها بعظمة وحمق ، ثم نقل إلى نيابة غزة سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م إهانة له بشكوى تنكز ، تنقل في النيابات ، ومات بصفد في أيام الصالح إسماعيل سنة ٧٤٣هـ . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٣٩-١٤٠ ، رقم٢٠٦٧.

(٥) المقريزي ؛ السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، ص٢٥٩-٢٦٨ ؛ محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢٦٧ ؛ جمال سرور ؛ **دولة بني قلاوون** ، ص ١٣٨ .

(٦) بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر ، وهم نصارى أهل شدة في العيش . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ ٥ ، ص ٣٥٧ .

حملة عسكرية إلى بلاد النوبة المسيحية بقيادة الأمير أقسنقر الفارقاني [١] من أجل التصدي للاعتداءات التي قام بها النوبيون على جنوب مصر سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢ وقد نجح الأمير في وضع حدٍ لهذه الاعتداءات وعاد إلى مصر [٢] .

وفي سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م قرر السلطان سيف الدين قلاوون إخضاع بلاد النوبة للحكم المملوكي مستغلاً النزاع القائم بين الحكام النوبيين ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة الأمير سنجر السروري الذي نجح في ترتيب الأوضاع الإدارية بها ثم عادت الحملة إلى مصر[٣].

غير أن الضربة القاضية التي قضت على تسلط الحكام النوبيين وغاراتهم على الحدود المصرية كانت في عهد السلطان الناصر محمد الذي نجح في ضم بلاد النوبة إلى العالم الإسلامي بعد عدة محاولات كان آخرها سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م ، حيث أرسل الأمير علاء الدين بن علي قراسنقر [٤] إليها ، وقد نجح في إخضاع بلاد النوبة النوبة للحكم المملوكي [٥] ، ودخل سكان هذه البلاد في الإسلام ، وتأثروا بالعرب بسبب هجرة القبائل العربية إليها ، ولم يعد لها أي خطر على حدود مصر الجنوبية [٦] .

خضعت بلاد أرمينه الصغرى [٧] للقوات المملوكية ، حيث نظمت حملات

---

(١) أقسنقر بن عبد الله النجمي الفارقاني ، كان من عتقاء الأمير نجم الدين حاجب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، اتصل بخدمة السلطان الظاهر بيبرس وتقدم عنده ، تولى نيابة السلطنة في عهد السلطان الظاهر بيبرس وعهد السلطان السعيد بكرة ، غير أنه قبض عليه سنة ٦٧٦هـ / ١٣٧٦م ، وظل في سجنه حتى مات سنة ٦٧٧هـ / ١٣٧٧م ، وكان أميراً كبيراً جسيماً شجاعاً ذا رأي وتدبير وعقل ، وكان كثير الصدقات عالي الهمة . ابن تغري بردي ؛ **المنهل الصافي** ، جـ٢ ، ص ٤٩٥-٤٩٦ ، رقم ٥٠٠.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٦٢١-٦٢٣ ؛ النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ ٢ ، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٣٦-٧٤٣.

(٤) ولد بالقاهرة ونشأ بها ، وهو من جملة أمراء الألوف بدمشق وكان قبل ذلك أمير طبلخاناة ، وكان فيه تواضع ، مات سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص٥٧ ، رقم٢٨٤٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٤٦٨ ، رقم ١٦٢١.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٢٥٠.

(٦) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢٨١-٢٨٢ .

(٧) تقع أرمينيا في المناطق الجبلية الممتدة جنوبي القوقاز والبحر الأسود ، أي بين بلاد فارس والعراق شرقاً

عسكرية بقيادة عدد من الأمراء الذين نجحوا في إرغام حكام هذه البلاد بدفع الجزية والخضوع للدولة المملوكية ، ففي سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م ، أرسل السلطان الظاهر بيبرس البندقداري حملة عسكرية بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون وبمشاركة عدد من الأمراء إلى مملكة أرمينية الصغرى ، وقد اصطدم الجيش المملوكي بالجيش الأرميني عند درب الشام ، وانتهت هذه المواجهة بهزيمة ساحقة للجيش الأرميني[1] .

وفي سنة ٦٦٩هـ/ ١٢٦٩م وجد السلطان الظاهر بيبرس نفسه متفرغاً لهذه المملكة ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة الأمير سيف الدين قلاوون ومعه عدد من الأمراء تمكنوا من استرداد المصيصة [2] ، ولحق بها السلطان وخربها ومعها ميناء إياس [3] وعاد الجيش المملوكي إلى أنطاكية [4] محملاً بالكثير من الغنائم ، وعبر المقريزي عن كثرتها قائلاً : «غنم ما لا يُحصى كثره وطرحت الغنائم بمرج أنطاكية ، فملأته طولاً وعرضاً» [5] .

وفي سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م قرر السلطان سيف الدين قلاوون إخضاع بلاد النوبة للحكم المملوكي ، فأرسل حملة عسكرية بقادة ثلاثة من أكابر أمرائه ، وهم سنجر السروري ، وعز الدين أيدمر السيفي [6] ، وقد نجحوا في ترتيب الأوضاع

شرقاً وبلاد الأرمن غرباً . محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص ١٢٩ ، هامش رقم ٢.

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٥٢ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص٥٦-٥٧.

(٢) المُصيصة : مدينة على نهر جيحان ، من ثغور الشام بين إنطاكية وبلاد الروم ، وتقع بالقرب من طرسوس . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ ٥ ، ص ١٦٩ .

(٣) ميناء إياس : هو ثغر على ساحل البحر المتوسط بأرمينيه الصغرى . القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤، ص١٣٣.

(٤) أنطاكية : قصبة العواصم من الثغور الشامية من أعيان البلاد وأمهاتها في اقصى الشمال الغربي من بلاد الشام . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ ١ ، ص ٣١٦ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦١٧-٦١٨ ؛ وقد ذكر بيبرس المنصوري في كتابه ، **التحفه الملوكية** ، ص٨٠-٨١ أن هذه الواقعة حدثت سنة ٦٧٣هـ.

(٦) هو عز الدين أيدمر السيفي بن عبد الله الشيخي ، كان من مماليك الناصر محمد ، ترقى إلى أن ولي تقدمة ألف في أيام السلطان حسن ، وتولى نيابة حماه مرتين ، وكانت له حرمة ومكانة وعنده تواضع ، مات بحلب سنة (٧٧٣هـ) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٥١ ، رقم ١١٢٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ ١ ، ص ١٦٨ ، رقم ٦٠٢ .

الإدراية بها ، ثم عادت الحملة إلى مصر [1] .

وفي سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م جهز السلطان الناصر محمد حملة تأديبية إلى أرمينية الصغرى ، لانضمامهم مع المغول في الحملة المتجهة إلى بلاد الشام سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م ، وعهد بقيادة الحملة إلى الأمير بدر الدين بكتاش الفخري ومعه عدد من الأمراء ، ونجحت الحملة في الانتقام من الأرمن والاستيلاء على العاصمة سيس [2] للمرة الثانية [3] ، ولم يغادروا بلاد الأرمن إلاّ بعد أن دفع الملك الأرمني كل المتأخرات عليه من الجزية وكانت مضاعفة [4] .

نجح الأمراء المماليك في العمل على تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام بعد أن عهد إليهم سلاطين الدولة المملوكية بالتوجه لمحاربة الصليبين هناك ، ففي سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٨م أرسل السلطان سيف الدين قلاوون الأمير حسام الدين طرنطاي في حملة عسكرية للسيطرة على اللاذقية [5] ، وذلك لعدم أمان التجار لإرسال بضائعهم إلى هذا الميناء ، وقد نجح الأمير طرنطاي في السيطرة على المدينة بسهولة ، ولم تُقدِم الإمارات الصليبية أي مساعدات للمدينة [6] .

وفي سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩٢م جرد السلطان سيف الدين قلاوون جيشاً بقيادة الأمير بيبرس الجاشنكير إلى صور[7] – وهي أمنع المدن الساحلية – وقد تمكن الجيش

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٧٣٦-٧٤٣ .

(٢) سيس : أعظم الثغور الشامية ، وهي عاصمة أرمينيه الصغرى ، تقع بين أنطاكية وطرسوس . ياقوت الحموي ؛ معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٣٣٨ .

(٣) كانت المرة الأولى سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م ، في عهد السلطان لاجين ، وكانت الحملة بقيادة بدر الدين بكتاش . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٣٨-٨٣٩.

(٤) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢٣٧.

(٥) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال حمص . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ ٥ ، ، ص ٦

(٦) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧ ، ص٣١٩ ، بيبرس المنصوري ؛ **التحفة الملوكية** ، ص١١٧-١١٨.

(٧) صور : مدينة مشهورة تشرف على بحر الشام ، داخلة في البحر ، يحيط بها البحر من جميع الجهات . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ ٣ ، ص ٤٩٢ .

الجيش المملوكي من دخولها [1] ، وفي العام نفسه كان دخول الجيش المملوكي بقيادة الأمير سنجر الشجاعي إلى بيروت ، وقد أذعن سكانها للجيش فأسرهم ، ثم هدم أسوارها وحطم ما بها من القلاع ، وحول كنائسهم إلى مساجد ، وساق الأسرى إلى دمشق ومصر [2] .

كما انبرت القوات المملوكية للدفاع عن حدود دولتها بقيادة الأمراء ، ففي سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م هجم جيش مغولي سلجوقي مشترك على البيرة [3] من أجل الاستيلاء عليها ، فأعد السلطان الظاهر بيبيرس حملة عسكرية خرج بها إلى حمص ، وأمر الأمير سيف الدين قلاوون والأمير بدر الدين بيسري بالعبور في الفرات ، وقد تمكن الجيش المملوكي من إنزال هزيمة ساحقة بالمغول ، وغنموا غنائم كبيرة وعادوا إلى مصر [4] .

ولم يكتف سلاطين الدولة المملوكية بتجريد الأمراء في حملات عسكرية ، بل كانوا يبعثونهم إلى الدول كسفراء لدولتهم ، و كثيراً ما تكون سفاراتهم ذات أثر كبير في تحسين علاقات الدولة المملوكية بغيرها ، وتوجيه السياسة بما يؤدي إلى توثيق الصداقة ، أو تحقيق التحالف ، أو المصاهرة ، والواقع أن ملوك أوروبا وأسيا سعوا إلى خطب ودّ سلاطين الدولة المملوكية وإبرام المعاهدات معهم ، خاصةً السلطان الظاهر بيبرس ، والسلطان سيف الدين قلاوون ، والسلطان الناصر محمد[5] ، ومن هذه السفارات والبعوث التي صحبها أمراء ، على سبيل المثال لا الحصر ، تلك السفارة التي كانت سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م ، وعليها الأمير فارس الدين أقوش المسعودي[6] ، وقد بعث بها الظاهر بيبرس إلى سلاجقة الروم [1] .

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص٥٧٦ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٦٩.

(٣) البيرة : قلعة شرقي نهر الفرات ، وهي قرب سُميساط بين حلب والثغور الرومية . ياقوت الحموي ؛ **معجم البلدان** ، جـ ١ ، ص ٦٢٤ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٠٦-٦٠٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٧، ص١٥٩؛ ابن عبد الظاهر ؛ **تشريف الأيام والعصور** ، ص٤٠٥-٤١٠ .

(٥) النويري ؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، جـ٣٠ ، ص٨٧.

(٦) فارس الدين أقوش المسعودي . لم أجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها .

وفي سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م أرسل الظاهر بيبرس الأمير بدر الدين الأتابكي[٢] إلى الروم ومعه كتاب منه إلى سلاجقة الروم في الإبلستين[٣]، يحثهم على إخلاص النية والانقياد له، وقد استقبله أمراء الروم أحسن استقبال، ووعدوه بمساعدته على المغول[٤].

وفي سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م أرسل السلطان سيف الدين قلاوون الأمير شمس الدين الغتمي[٥] والأمير سيف الدين بلبان[٦] من القاهرة، ومعهما كتاب السلطان إلى الملك غياث الدين كيخسرو[٧] ابن ركن الدين قلج أرسلان السلجوقي[٨].

وفي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م قدمت رسل غازان[٩]، إلى بلاد مصر طالبين الصلح على لسان غازان، فجهز السلطان الناصر محمد الجواب بالصلح، وأرسل

---

(١) بعث بها إلى ميخائيل الثامن وقد نصت على أن يسمح ميخائيل بمرور المماليك المتنقلين من روسيا إلى مصر عبر المضائق مقابل إقامة بطريرك أرثوذكس في الإسكندرية، وأن يرسل بيبرس بطريركاً من الملكانيين إلى القسطنطينية ليرعى شؤون الطائفة الملكانية فيها. المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٢، ص٥١٤؛ النويري؛ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، جـ٣٠، ص٥٨-٥٩.

(٢) بدر الدين الأتابكي. لم أجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.

(٣) الإبلستين: مدينة مشهورة ببلاد الروم اسمها السيتان، وهي قريبة من أبسس مدينة أهل الكهف. ياقوت الحموي؛ **معجم البلدان**، جـ٢، ص٩٧؛ المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٢، ص٦٢٥، حاشية٧.

(٤) ابن كثير؛ **البداية والنهاية**، جـ١٣، ص٣٠٢.

(٥) شمس الدين الغنمي. لم أجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها.

(٦) هو بلبان بن عبد الله من مماليك السلطان سيف الدين قلاوون، نائب طرابلس، ثم حلب توفي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠١م وعمره نيف وأربعين سنة. ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**، جـ١، ص١٩٨، رقم٦٩٧.

(٧) غياث الدين كيخسرو: تولى الملك بعد وفاة أبيه قليج أرسلان، وكان مقر حكمه في قونيه، وهي من المدن التي ورثها عن والده بعد تقسيم البلاد بينه وبين أخوته، استفحل أمر غياث الدين وعظم شأنه إلى أن قتله الأشكري صاحب القسطنطينية سنة ٦٠٧هـ/ ١٢٠٧م. القرماني؛ **أخبار الدول وآثار الأول**، جـ٢، ص٥١٤-٥١٥.

(٨) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص٦٨٠.

(٩) هو محمود، ويقال له قازان، جلس على تخت الملك سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٤م، أسلم سنة ٦٩٤هـ وعمره بضع وعشرون سنة، توفي سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م، كان شاباً عاقلاً شجاعاً مهيباً مليح الشكل، عفيفاً عن الدماء محباً للأموال. ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ٣، ص١٢٧-١٢٨، رقم٣١٤٧.

كلاً من الأميرين شمس الدين محمد التبتي[1] وحسام الدين أزدمر المجيري[2] ، وعادوا في السنة التالية[3] .

وفي سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م جاءت رسل أزبك خان[4] ملك مغول القفجاق ، ومعهم خبر إسلامه وهديه ، فأكرم السلطان الرسل وبعث معهم الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي[5] بهديه أيضاً[6].

وفي سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م أرسل السلطان الناصر محمد الأمير علاء الدين أيدغدي الخوارزمي ومعه أحد مقدمي الحلقة ، ومعهم رسالة إلى أزبك خان تتضمن طلب الناصر محمد للمصاهرة وزواجه من بنات ملوك خانات الملوك ، وقد تم له الأمر سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م[7].

ولم يقتصر الأمر على إرسال الأمراء إلى خارج البلاد ، بل أُرسلوا لأمور أخرى داخل الدولة ، إما لأخذ البيعة لسلطان اعتلى العرش ، أو للتوجه بالتقاليد للأمراء ، أو للإصلاح بين الأمراء والسلاطين ، ومن أمثلة ذلك أنه عندما اعتلى السلطان المنصور سيف الدين قلاوون العرش سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م أرسل كلاً من الأميرين ركن الدين بيبرس الجالق ولاجين الصغير[8] لتحليف العساكر في دمشق ،

---

(١) شمس الدين محمد التبتي . لم أجد له ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها .

(٢) أزدمر المجيري ، توجه رسولاً من الناصر محمد إلى ملك التتار . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، ، جـ١ ، ص٢٠٧ ، رقم٨٨٢.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٩١٥-٩١٦-٩١٨ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **زبدة الفكر** ، جـ ٩ ، ص ٣٨٤ .

(٤) هو أزبك بن طقطاي صاحب بلاد المشرق وملك التتار ، كان صحيح الإسلام توفي سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١١٢-١١٣ ، رقم٣٦٠.

(٥) ترقى علاء الدين في خدمة السلطان الناصر محمد ، إلى أن ولي الحجوبية ، كان شيخاً محباً للتاريخ ، له فهم ومعرفة ، تولى حجوبية دمشق وظل بها حتى مات ، وسبب نقله إلى دمشق هو لأنه غاضب ألماس الحاجب فسيره الناصر من أجل ألماس إلى الشام سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م ، ومات بدمشق سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٤٩ ، رقم١١١٧ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص١٤٥-١٦٤ .

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص١٠٤- ٢٠٤ ؛ محمد جمال سرور ؛ **دولة بني قلاوون في مصر** ، ص٢١٩-٢٢٠ .

(٨) هو أحد الأمراء الطلبخاناة بدمشق ، وولي نيابة البيرة ومات بها في سنة ٧٢٩هـ . ابن حجر العسقلاني ؛ ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٦٤ ، رقم٣٣٣٩ .

وتم الأمر للسلطان ، وعادا إلى مصر [1] .

وفي سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م أرسل السلطان لاجين الأمير سيف الدين سلار إلى قلعة الجبل لتحليف الأمراء بها على السمع والطاعة له [2] ، كما أرسل الأمير سنقر سنقر الأعسر إلى ظاهر دمشق حاملاً الكتب إلى أمرائها ، وليأخذ الأجوبة عليها ، وتم له الأمر [3] .

وعندما رحل السلطان الناصر محمد إلى الكرك هارباً من بطش الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار ، كان الأمراء يترددون ما بين القاهرة والكرك من أجل تهدئة الأمور بين الأمراء والسلطان ، فأرسل الأمراء إلى السلطان الأمير مغلطاي[4] الذي أغلظ في الحديث مع السلطان فأهانه السلطان وطرده [5] ، ثم أرسلوا له الأمير الأمير الحاج آل ملك ، وكان ذا عقل راجح ، حتى أن السلطان الناصر طلب ألا يصل إليه رسول غيره ، وقد بلغ مكانة عظيمة عند الناصر محمد عندما عاد إلى عرشه المسلوب [6].

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٦٦٤.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٩٥.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٢٤.

(٤) هو مغلطاي البعلي علاء الدين ، كان من الأمراء البرجيه وتنقل في الخدم حتى أرسله المظفر بيبرس لما تسلطن لإحضار ما استصحبه الناصر لما توجه إلى الكرك من الأموال ، فخاشنه في القول فأمر بسجنه، فلما عاد إلى المملكة أحضره ووبخه فسأله العفو ، فعفا عنه ثم قبض عليه بعد ذلك وسجنه مدة طويلة إلى أن أفرج عنه سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢١م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٤ ، ص٢١٧ ، رقم٤٩٤٨.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٥٦ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٢٦.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٤٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ، **الدرر الكامنة**، جـ١ ، ص٢٤٠.

الفصل الثالث

إسهامات الأمراء في الحياة السياسية والإدارية وأثرهم الحضاري

المبحث الثاني

دورهم في الإدارة

عملت الدولة المملوكية منذ تثبيت أقدامها على إيجاد تنظيم إداري وعسكري يضمن لها البقاء والاستقرار ، فقد استحدث سلاطين المماليك وعلى رأسهم الظاهر

بيبرس والمنصور قلاوون وظائف إدارية وعسكرية جديدة [1] ، إلى جانب ما ورثته الدولة عن الدول السابقة لها ، وخاصةً الدولة الأيوبية التي تعد المدرسة التي استقى منها المماليك خبراتهم وتجاربهم في الحكم ، وكذا في الإدارة والتنظيم [2] .

سلاطين المماليك اعتمدوا على كبار الموظفين العسكريين في إدارة شؤون الدولة إدارياً ، ومنحوهم بعضاً من الصلاحيات التي تكفل لهم التصرف في الأمور، غير أن هذا لا يكون إلاّ للمقربين للسلطان ومن يثق في كفاءتهم ومقدرتهم الإدارية ، فالسلطان هو الرئيس الأعلى للدولة والمنظم لها والمسؤول الأول عن عزل وتولية الموظفين فيها [3] .

ولشخصية السلطان دور في إعطاء كافة قطاعات الدولة الدقة والإتقان ، فقد كان للنظام الإداري في بداية العصر المملوكي شأن عظيم ، خاصةً في عهد السلطان الظاهر بيبرس والسلطان المنصور قلاوون ، ثم في الفترة الثالثة من حكم الناصر محمد ، نظراً لما تمتع به هؤلاء السلاطين من قوة الشخصية ، والقدرة على ضبط الأمور بحزم وحكمة [4] .

غير أن النظام الإداري تعرض للفساد في الحقبة الأخيرة من عصر الدولة المملوكية البحرية ، وخاصةً بعد وفاة الناصر محمد سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) ، وتولي صبية صغار من أبنائه وأحفاده الحكم ، وهؤلاء لم يتمتعوا بالقوة والشجاعة ليواصلوا ما كانت عليه الدولة من أمن واستقرار ورخاء ، بل اعتمدوا على عددٍ من الأمراء في تسيير أمور الدولة ، وقد اتصف غالبية هؤلاء الأمراء بالجشع والطمع والرغبة في إشباع رغباتهم وزيادة ثرواتهم ، والسيطرة التامة على أمور الدولة ، بل وعلى السلاطين أنفسهم [5] ، وتمكنوا من السيطرة على مجريات الأمور في الدولة

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٢١-٣٢٤ ، ص٣٤٩-٣٥٠.

(٢) حمود بن محمد النجيدي ؛ **نيابة السلطنة في مصر المملوكية** ، ص٣٧٧.

(٣) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٧٤ .

(٤) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٥٥٩.

(٥) حياة ناصر الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص٧١ ، محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد**

سياسياً وعسكرياً وإدارياً واقتصاديا ، فأخذوا يعزلون ويولون كيفما شاؤوا ، وكـان أضعف السلاطين إرادة أكثرهم قبولاً لدى الأمراء [1] .

وجميع موظفي الدولة من أمراء عسكريين وإداريين مدنيين يعملون على خدمة السلطان ، وهم يؤلفون جهاز الحكـم الـذي تتـوزع وظائفـه عـلى حسـب الرتـب العسكرية المختلفة للأمراء [2] .

ولهذه الوظائف ثلاثة إدارات ؛ الأولى إدارة مركزية مقرها القـاهرة ، وعمادهـا كبـار المـوظفين الإداريـين ونظـار الـدواوين ، والثانيـة إدارة محليـة ممثلـة في ولاة الأقاليم ، والثالثة إدارة البريد [3] .

وراثة العرش مـن الأمـور التـي شـكلت قلقـاً وعـدم اسـتقرار في الأوضـاع الداخلية في العصر المملوكي ، فقد كانت سبباً في عدم وجود نظام واضـح للحكـم حتى أضحى تنافس الأمراء على السلطة سمةً تميز بها ذلك العصر [4] .

ويعود ذلك إلى غرابة مبـدأ الوراثـة عـن عقـول المماليـك ، إذ سـيطرت عـلى عقولهم فكرة أن الحكم للأقـوى والأكثـر شـجاعة ونفـوذاً [5] ، وأصـبح اغتصـاب العرش أمراً مألوفاً لدى كبار الأمـراء ، فـإذا وجـد الأمـراء أن الأوضـاع لا تحقـق أطماعهم ورغباتهم بادروا إلى اختيار سلطان جديد يجلس على كـرسي الحكـم ، مـع حرصهم على أن يكون السلطان الجديد ضعيفاً أو صغيراً لا إرادة له ، حتى يتمكنوا من السيطرة على أوضاع الدولة وتصريف شؤونها [6] ، وظهـر مـن خـلال حـوادث

وبلاد الشام ، ص٢٩٩.

(١) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢٩٩.

(٢) انظر الفصل الثاني المبحث الأول .ص ٦٢

(٣) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٧٥ .

(٤) مفيد الزيدي ؛ **موسوعة التاريخ الإسلامي** ، ص٢١٠.

(٥) المقريـزي ؛ **السـلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، حاشـية رقـم٢ ، ص٦٤٧ ، مفيـد الزيـدي ؛ **موسـوعة التـاريخ الإسلامي** ، ص٢١٠.

(٦) مفيد الزيدي ؛ **موسوعة التاريخ الإسلامي** ، ص٢١٠.

الخلع والتعيين التي مارسها كبار الأمراء ، عدم وجود قانون محدد لنظام الحكم ، بالإضافة إلى غياب واضح لمبادئ الإتقان والعدالة والأمانة لهؤلاء الأمراء الطامعين في تولي الوظائف الإدارية في الدولة ، حتى أصبح التغيير المفاجئ للسلطان أمراً طبيعياً فيها [1].

فلا يولى سلطان متصف بالقوة والصلابة حتى لا يطغى على الأمراء ، ولا يولى أبناء السلطان المخلوع خوفاً من إقدامهم على الانتقام ممن خلع والدهم ، ففي سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م قتل الأمير يلبغا الخاصكي السلطان حسن بن الناصر محمد ولم يرض أن يتولى السلطنة من بعده أخوه حسين لصلابته وشدة بأسه ، كما لم يول أحمد بن الناصر حسن حتى لا يأخذ بثأر أبيه [2] ، وإنما ولى السلطنة صلاح الدين محمد بن السلطان حاجي ٧٦٢-٧٦٤هـ/ ١٣٦١-١٣٦٣م ، الذي كان مسلوب الإرادة أمام تحكم الأمير يلبغا بكل أمور الدولة [3] .

ولكي يستمر تحكم الأمراء وسيطرتهم على مجريات الأمور في الدولة استحدثوا منهجاً جديداً - بعد وفاة الناصر محمد - سمي (بأمراء المشورة والتدبير) من أجل تقديم الآراء والقرارات في مختلف الجوانب المتعلقة بأمور الحكم والإدارة، وكان لهم صلاحيات واسعة في أمور الدولة ، الأمر الذي ساعدهم على تحقيق مطامعهم ورغباتهم الشخصية متى شاءوا [4].

وقد ظهرت حوادث الخلع والتعيين المفاجئ بصورة واضحة بعد وفاة السلطان المنصور قلاوون ، حيث أخذ الأمراء يولون الناصر محمد حيناً ويعزلونه حيناً أخر معتمدين على صغر سنه ، وأنه لا يقدر على تسيير أمور الدولة ، وبعد وفاة السلطان الناصر محمد اتفق كبار الأمراء النافذين على أن يكون الجالس على كرسي الحكم من أبناء وأحفاد السلطان الراحل ، إلا أنه ليس من الضروري أن يستمر في

---

(١) حياة ناصر الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص١٨-١٩.

(٢) ابن إياس ، **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٨٠.

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٨٠.

(٤) حياة ناصر الحجي ؛ **السلطة والمجتمع** ، ص١٦-١٧.

الحكم ، بل لهم حق الحجر عليه أو عزله أو قتله وتولية غيره من أبناء الأسرة الحاكمة[1] - دون النظر إلى مصلحة البلاد - فكان ذلك من العوامل التي عجلت بزوال دولة المماليك البحرية ، فقد كانوا حريصين على سلب السلطة من هؤلاء السلاطين ليستأثروا بكل أمور الدولة ، حتى أصبح سلاطين هذه الحقبة ألعوبة في يد كبار الأمراء المتنفذين[2] .

فبعد مقتل السلطان لاجين سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م) ، اتفق الأمراء الذين كانوا بالقلعة[3] على مكاتبة السلطان الناصر محمد في الكرك وإحضاره منها وتوليته الحكم ، ووزعوا بينهم المناصب ، وولوا الأمير طغجي نيابة السلطنة[4] ، وقُبيل حضور الناصر محمد قام الأمراء على تدبير أمور الدولة حتى صاروا يجلسون جميعاً ويكتب كل منهم علامته على الكتب والمراسيم ، فلا يصدر مكتوب إلا وعليه خط هؤلاء[5] ، وبعد التضييق عليه من قبل الأمراء قرر الرحيل إلى الكرك وترك الحكم ، فما كان من الأمراء إلاّ أن اجتمعوا بالقلعة ورشحوا الأمير بيبرس الجاشنكير للسلطنة وأن يكون سلار نائباً للسلطنة ، فتم الأمر لهم ، وتحالف الأمراء على السمع والطاعة لبعضهم[6] .

وفي سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) أقدم الأمير قوصون على خلع السلطان المنصور سيف الدين بن الناصر محمد ثم قتله وولى أخاه علاء الدين كجك السلطنة ، ولم يكن له منها إلا الإسم فقط ، وتصرف الأمير قوصون في شئون الدولة وفق رغباته

---

(١) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢) محمد جمال سرور ؛ **دولة بني قلاوون في مصر** ، ص٥٧-٥٨.

(٣) هم الأمراء عز الدين أيبك الخازندار ، ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، سيف الدين سلار الإستادارد ، حسام الدين لاجين الروي الأستادار ، جمال الدين آقوش الأفرم ، جمال الدين عبد الله السلاحدار ، الابن كرت الحاجب ، الأمير طفجي ، الأمير كرجي . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٦٥.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٦٥-٨٦٦.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٦٩.

(٦) اين إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٢٢.

وأهوائه [1].

وحدث مثل ذلك بعد مقتل السلطان المظفر حاجي سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، حيث اتفق كبار الأمراء على تولية حسن بن الناصر محمد بن قلاوون فتم لهم ذلك، وعمل أمراء المشورة [2] على تدبير أمور الدولة، وولوا الأمير شيخو خزانة الخاص، وجعلوا للأمير بيبغاأروس أمر التحدث في الدولة وله حق إخراج الإقطاعات للأجناد، ومناصب الإمارة للأمراء بمصر والشام، وإليه يرجع نواب الشام أيضاً، فكانوا يجتمعون للمشورة بين يدي السلطان فيما يُقدر، ولا يدعونه يتصرف في المال ولا ينعم على أحد، ولا يُمكّن من شيء يطلبه، واتفقوا على ذلك [3]، فبقي السنوات الأولى من حكمه كالمحجور عليه [4].

كذلك مارس بعض كبار الأمراء التضييق على السلاطين مادياً، حتى كانت رواتبهم ومصروفاتهم تُحدد من قبل الأمراء المسيطرين على أمور الدولة، ففي سنة (٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م)، استبد الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار بأمور الدولة وضيقا الخناق على السلطان الناصر محمد في فترة حكمه الثانية، فلم يتمكن من التصرف بأمواله، بل تحكما في مأكله ومشربه وصرفا له راتباً ضئيلاً لا يفي باحتياجاته [5].

وكان السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد (٧٤٣-٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م) يخشى من الأمير أرغون العلائي، ولا يتجاسر أن يبسط يده بالعطاء لمن

---

(١) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق٣، ص٥٧٠؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، جـ١٠، ص١٢-١٦

(٢) هم الأمراء بيبغاأوس القاسمي، الجيبغا المظفري، منكلي بن الفخري، طشتمر طليلة، أرقطاي النائب، طاز، أحمد شاد الشرانجاناه، أرغون الإسماعيلي، وشاركهم الأمير شيخو العمري رأس نوبة كبير. المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق٣، ص٧٤٦؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، جـ١٠، ص١٨٨

(٣) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق٣، ص٧٤٦.

(٤) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق٣، ص ٨٤٢؛ ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**، جـ ١٠، ص ٢٣٢. ٢٣٢.

(٥) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص٨٧٩.

يريد [1] .

كما اتفق كبار الأمراء على تحديد مصروف السلطان الناصر حسن (٧٤٨-٧٥٢هـ/ ١٣٤٨-١٣٥١م) ، في كل يوم مائة درهم لا يتعداها «فلم يسمع بمثل ذلك أن يكون ملك يجلس على تخت الملك ويصرّف الأمور بالعزل والولاية ، وتحمل إليه أموال مصر والشام ولا يتصرف منها بشيء» [2] .

وقد كانت جميع الوظائف في الدولة المملوكية لها أهميتها الخاصة ، ولا يمكن للبلاط السلطاني الاستغناء عنها ، إلاّ أن بعض الوظائف كانت إليها مقاليد أمور الإدارة في الدولة ومن أمثلة ذلك : نيابة السلطنة ، الأتابكية ، الوزارة ، ولاية القاهرة [3] ، وهي من أبرز الوظائف في الدولة المملوكية .

فنيابة السلطنة هي أرفع الوظائف الإدارية في الدولة المملوكية ، وهي أعلى مرتبة في سلم الحكومة بعد السلطنة ، ومتوليها سلطان آخر ورئيس للجهاز الإداري في الدولة ، ولها من المكانة والتأثير والنفوذ ما يكفل لمتوليها تصريف شؤون الدولة في حضور السلطان أو في غيابه ، كما يمكنه تصريف شؤون الدولة وتدبيرها دون الرجوع إلى السلطان ، وقد يكون السلطان صغير السن لا يقدر على القيام بواجباته واختصاصاته فيتولى نائب السلطنة أمور الدولة [4] .

ولنائب السلطنة دور إداري عظيم خاصةً إذا أطلق السلطان يده في أمور الدولة ، فقد تولى الأمير بدر الدين بيلبك نيابة السلطنة في عهد السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) ، فعظم أمره واجتمعت إليه الكلمة يتصرف في الدولة التصرف المطلق ، وصار صاحب الحل والعقد بها حتى كان ينفذ الأمور من

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٦٢-٦٦٣ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٧٥٠-٧٥١ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ١٠ ، ص٢٣٢.

(٣) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٧٥ ، مفيد الزيدي ؛ **موسوعة التاريخ الإسلامي** ، ص٢١٥-٢١٦.

(٤) حمود بن محمد النجيدي ؛ **نيابة السلطنة في مصر المملوكية** ، ص٣٨٨.

غير مشورة السلطان [1] .

وقد أوكلت لنائب السلطنة الكثير من المهام ، منها ما هو إداري ومنها ما هو قضائي ، فمن الأدوار الإدارية : التوقيع على المراسيم والمناشير ، فقد كان الأمير سيف الدين كوندك الساقي نائباً للسلطنة في عهد السلطان السعيد بن الظاهر بيبرس سنة (٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) ، ومكنه تمكيناً لم يكن لأحد قبله ، ورسم بألا يوقع لأحد إلاّ بقلمه وعلمه [2].

وفي سنة (٦٩٧هـ / ١٢٩٨م) قوي أمر الأمير منكوتمر نائب السلطنة في عهد السلطان لاجين فتحكم في جميع أمور الدولة [3] ، وكان يعلّم على التواقيع والكتب ، فإذا رسم السلطان مرسوماً أو كتب لأحد توقيعاً ليس بإشارة من نائبه منكوتمر يأخذه النائب من يد المعطى له ويمزقه أمام الحاضرين ، بل يرده ويمنع السلطان منه[4] .

وفي سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) تولى قوصون نيابة السلطنة في عهد السلطان الأشرف كجك ، فاستغل هذا الأمير صغر سن السلطان ، وكان إذا حضرت العلامة يأخذ القلم بيده مع يد الأشرف كجك ويُريه كيف يكتب على المراسيم والمناشير والمربعات [5] .

أما الأمير طشتمر حمص أخضر فقد ولي نيابة السلطنة في عهد السلطان الناصر أحمد (٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م) ، وبلغ من نفوذه وتسلطه أن قَدّر على السلطان أنه لا يمضي من المراسيم السلطانية إلا ما يختاره ، حتى أنه كان يأخذ القصص التي تأتيه عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره فيطرد من هي باسمه ويخرق به ، كما رسم للحاجب بألا يقدم أحد شكوى إلى السلطان إلا في حضوره ، فلم يتجاسر أحد أن يقدم شكواه للسلطان في غيبته [6].

---

(١) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ،ق١ ، ص٣١٠ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة المملوكية** ، ص٨٦.

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ،ق١ ، ص٣٩٧.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٤٨.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٢٩ ؛ بيبرس المنصوري ؛ **التحفة المملوكية** ، ص١٥٣.

(٥) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٩١.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٠٦ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ١٠ ، ص ٦٣ ؛

ومن المهام الإدارية لنائب السلطنة أيضاً تعيين الأمراء ومنح لقب الإمـارة [1] ، والقيام باختيار موظفي الدولة خاصةً كبار الموظفين حيـث يعمـل عـلى ترشـيحهم ومتابعة تعيينهم [2] ، وهو بذلك له حق العزل والولاية ، فقد عُزل الأمير بكتمر أمير جاندار المنصـوري عـلى يـد الأمـيرين سـلار نائـب السـلطنة وبيـبرس الجاشـنكير الأتابكي سنة (٧٠٧هـ/ ١٣٠٨م) رغماً عن السلطان الناصر محمد [3] .

وتحكم الأمير منكـوتمر في العـزل والولايـة [4] ، فعمـل عـلى توليـة الأمـراء في المناصب في كافة أرجاء الدولة ، فقد عين الأمير بكتمر نائبـاً لطـرابلس [5] ، وعنـدما استبد قوصون بالأمور وتضاعفت حرمتـه وتزايـدت عظمتـه ، قـام بعـزل وتوليـة أرباب الوظائف [6] ، ففي سـنة (٧٣٥هــ/ ١٣٣٥م) عَـزل إيـدكين والي القـاهرة [7] وأخرجه إلى الشام منفيـاً [8] ، كـما خلـع عـلى جميـع الأمـراء المقـدمين والطبلخانـاة والعشرات ، وخلع على ثلاثمائة من المماليك السلطانية وكان يوماً مشهوداً [9] .

واستغل الأمير طشتمر منصبه نائباً للسلطنة في عهد السلطان الناصر أحمد بـن الناصر محمـد فأخـذ يعـزل الأمـراء مـن مناصـب الدولـة ويـولي مكـانهم أعوانـه ومناصريه ، بل أخذ في معارضة الأوامر السلطانية ، فعزله السلطان من منصبه [10] .

ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٩٥.

(١) العمري ؛ **التعريف بالمصطلح الشريف** ، ص٥٤.

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، حـ٣ ، ص٥٢ .

(٣) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٨٥.

(٤) المقريزي ؛ **السـلوك** ، جــ١ ، ق٣ ، ص٨٥٢-٨٥٣ ؛ ابـن تغـري بـردي ، **النجـوم الزاهـرة** ، حــ ٨ ، ص٩٨.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٦١.

(٦) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٩١.

(٧) إيدكين الأركسي ، ولي ولاية القاهرة ومات سنة ٧٤٠هــ . ابـن حجـر العسـقلاني ؛ **الـدرر الكامنـة** ، جـ١ ، ٢٥١ ، رقم١١٢٢ .

(٨) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٣٧٧.

(٩) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٥٨٣ .

(١٠) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٣٠٣.

وفي سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) ولى الأمير شيخو الأمير بكتمر المؤمني شاداً للدواوين [١]، وكان الجيش يجتمع برئاسة نائب السلطنة [٢] ، وكان له استخدام كافة موظفي الدولة وترتيب وظائفهم ، وله استخدام الجند ، وله النظر والتحدث في أمور البريد [٣] ، وكان له الحق في إخراج الإقطاعات للأمراء والأجناد بمصر والشام[٤].

فالأمير منكوتمر قسّم الإقطاعات في الروك الحسامي ، وتولى تفرقة مثالات الأجناد حيث جلس بشباك دار النيابة ، ووقف الحجاب بين يديه ، وأعطى لكل تفرقة مثالاً بها ، فلم يستطع أحد منهم أن يتكلم خوفاً منه [٥] .

كذلك أخرج الأمير قطلوبغا الفخري الإقطاعات بأسماء الأجناد ، وعزل وولى ، وكلف دواداره بالتوقيع عنه [٦] .

وفرق الأمير قوصون إقطاعات الأمراء المجردين ، وبصحبه الأمير قطلوبغا الفخري ، وعدتهم اثنان وثلاثون أميراً ، منهم أمراء طبلخانات ، وأمراء عشرات ومقدمان ، وأعطى قوصون إمراتهم لعدد من الأمراء عوضاً عنهم [٧] .

وتقدم جماعة من المماليك السلطانية لزيادة مرتباتهم ، فرسم الأمير طشتمر أن كل من خرج عن خبزه يعود إليه ، ولم يمكّن المماليك السلطانية من أخذ شيء ، فانفرد بأمور الدولة [٨].

ومما جدده طشتمر في نيابته أن منع الأمراء أن تدخل إلى القصر بمماليكها ،

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٨٨٤-٨٨٥.

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص١٦ ، المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٥٢.

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٥٢.

(٤) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى**، جـ٤، ص١٧، المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٥٢.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٤٦ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص ٩١ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٣٩٧ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ٥٩٧.

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٥٨٣.

(٨) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٠٦.

وبسط من باب القصر بسطاً إلى داخله ، فلا يدخل الأمير القصر ـ وقت الخدمة إلاّ بمفرده ، وكان ذلك سبباً في مقتله [1] على يد الأمراء المماليك .

وفي سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) أقبل الناس إلى باب الأمير شيخو ، وصارت أمور الدولة كلها تصدر عنه حتى الإقطاعات [2].

ومن الأعمال التي كان نائب السلطنة يشترك في الإشراف عليها حفر الخلجان وإصلاح وترميم الجسور ، وإنشاء جسور جديدة إذا ما دعت الضرورة ، ففي سنة (٧١٠هـ/ ١٣٠٩م) فوض السلطان الملك الناصر محمد عمل الخليج إلى الأمير أرغون نائب السلطنة [3].

وكان النائب يسهم في الإشراف على إطفاء الحرائق التي تصيب البلاد ، ففي سنة (٧٢١هـ/ ١٣٢٢م) حدث حريق بالقاهرة ومصر [4] ، فنزل النائب أرغون الدوادار الناصري بسائر الأمراء ، وجمع من في القلعة ، وجمع أهل القاهرة ونقل الماء على جمال الأمراء [5].

وتتسع اختصاصات ومهام نائب السلطنة ، فيكون بمثابة سلطان غير متسلطن يتولى كافة المهام والمسؤوليات التي يتولاها السلطان ، فمن هؤلاء الأمراء الذين أسندت إليهم الكثير من الاختصاصات الأمير منجك اليوسفي ، الذي بلغ مبلغاً عظيماً في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد (٧٦٤هـ-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣م-١٣٧٧م) الذي فوض إليه بمهام أخرى إلى جانب نيابة السلطنة سنة (٧٧٥هـ/ ١٣٧٤م) ، يقول ابن تغري بردي في ذلك : «خلع على منجك باستقراره نائب السلطنة بالديار المصرية ، وفوض إليه النظر في الأحباس والأوقاف والنظر في الوزارة ، والنظر على ناظر الخاص ، وقرئ تقليده بالإيوان ، وأن السلطان أقامه مقام نفسه في كل شيء ، وفوض إليه سائر أمور المملكة ، وأنه يخرج

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٠٧.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٨٩٠.

(٣) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ٩ ، ص٨١.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٢١٦-٢٢٠.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق١ ، ص٢٢١.

الإقطاعات التى عبرتها سبعمائة دينار إلى ما دونها ، وأنه يعزل من شاء من أرباب الدولة ، وأنه يخرج الطبلخانات والعشرات بسائر المماليك الشامية»[1].

ورغم الفساد الذي أصاب نيابة السلطنة نتيجة تولي صبية صغار الحكم ، وعدم مقدرتهم على تدبير أمور الدولة ، فإن هناك من الأمراء الذين تولوا هذه الوظيفة قد حرصوا على إدارة أمور الدولة بحزم وكفاءة عالية ، دون الطمع في منصب السلطنة ، ومن الأمثلة على ذلك الأمير الحاج آل ملك الذي تولى نيابة السلطنة بمصر سنة (٧٤٤هـ/ ١٢٤٣م) في عهد السلطان الصالح إسماعيل ، واشترط لقبول هذا المنصب أن لا يفعل شيئاً في المملكة إلا برأيه ، وأنه يمنع الخمر من البيع ، ويقيم منار الشرع ، ولا يُعارض فيما يفعله ، فقبلت شروطه[2] ، وقد منع الحاج آل ملك الكثير من الفساد في القاهرة ، وأبطل النزول عن الإقطاعات والمقايضات بها[3] ، وأظهر العدل في الرعية ، وكانت له حرمة وافرة بمصر ، وكلمة نافذة وعظمة زائدة[4] .

إلى جانب الدور الإداري لنائب السلطنة كان يقوم كذلك بدور قضائي ، إذ يجلس لسماع القصص وشكاوى الناس ، ومن هؤلاء الأمراء : الأمير شيخو الذي كانت تقرأ عليه القصص[5] ، كما عمل الأمير أقسنقر السلاري على تجديد دار النيابة وكان مشتهراً بالعدل[6] .

وكان نائب السلطنة إذا قرئت عليه القصص نظر إليها ، فإن كان مرسومه يكفي فيها أصدره عنه ، وما لا يكفي فيه إلا مرسوم السلطان أمر بكتابته عن

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٢٢٥ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١١ ، ص٦٥.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٤٠.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٤٢-٦٤٣.

(٤) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٩٩-٥٠٠.

(٥) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١١٥-١١٦.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٦٢١ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة**، جـ٢ ، ص٢٣٠.

السلطان وأصدره ، فيكتب ذلك وينبه فيه على أنه بإشارة النائب [1].

الأتابكية : وهي من الوظائف الجليلة بعد نيابة السلطنة ، وكان الأتابك في أحيان كثيرة يصبح هو المتصرف في أمور الدولة ، فقد خلع السلطان قطز على الأمير بيبرس ، واستقر به أتابك العساكر ، وفوض إليه جميع أمور الدولة [2].

والأتابك في أحيان كثيرة مرجع السلطان وسنده ومستشاره ، كالأتابكي الأمير بكتمر الساقي ، فقد كان السلطان الناصر محمد لا يبرم أمراً دون استشارته[3].

وفي الوقت الذي تدهورت فيه نيابة السلطنة كان أتابك العسكر يتولى كافة أمور الدولة ، حتى كان يملي الأوامر على الأمراء بما فيهم نائب السلطنة ، فصار نائب السلطنة على حد قول ابن تغري بردي : «آلة يتعاطى الأحكام لا غير» [4] .

ففي سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦١م) عهد الأتابك الأمير يلبغا العمري إلى الأمير قشتمر النائب بالتوجه إلى جهات الصعيد ليحفظها من فساد العربان إلى أن يحضر السلطان من الشام [5].

وكان الأتابك يتمتع بنوع من الاستقلالية ، فيؤّمر الأمراء ، وينيب من شاء منهم في أي وظيفة ، فقد كان الأتابك الأمير بيبرس الجاشنكير مسيطراً على أمور دولة الناصر محمد ، فاستغل صغر سنه وأمّر عدداً من الأمراء البرجية [6] ، كما استناب الأمير علم الدين سنجر الجاولي في الإستادارية ، وحكّمه في سائر أمورها[7].

وكذلك كان الأتابك الأمير يلبغا العمري في عهد السلطان حسن بن الناصر

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٥١.

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٠٣-٣٠٤.

(٣) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ١ ، ص١١٩.

(٤) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ١١ ، ص٤٦.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق ١ ، ص ٦٦ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٨٤.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٧٥.

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٧٨-٨٧٩.

محمد ، فقد أخذ يؤمّر من شاء من الأمراء ، فأمّر الأمير أقبغا الصفوي أمير أخور[1] .

وفي عهد السلطان علي بن شعبان بن حسين (٧٧٨-٧٨٣هـ/ ١٣٧٧-١٣٨١م) كان قد تولى الأتابكية الأمير أينبك البدري ، وقد نودي في القاهره ومصر : « من كانت له ظلامه فعليه بباب أمير كبير أينبك البدري » ، وقد استفحل نفوذه حتى أصبح المسئول عن أمور الدولة ، وله حق العزل والولاية لمن شاء[2] ، ففي (٧٧٩هـ/ ١٣٧٨م) قام الأمير أينبك بعزل الخليفة المتوكل على الله محمد[3] لأنه لم يوافقه على تولية الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمري الحكم ، حيث اعتذر له الخليفة بأنه ابن أمير ، فما كان من الأتابك إلاّ أن وبخه وسبه وطرده ، ثم عزله وولى مكانه زكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الحاكم[4] ولقبه بالمستعصم بالله[5] .

وتولى الأمير طشتمر العلائي الأتابكية في عهد السلطان المنصور علي بن الأشرف شعبان ، فتحكم بأمور الدولة ، حتى نودي بالقاهرة ومصر : « من ظُلم ومن قهر فعليه بباب الأمير طشتمر أتابك العساكر »[6] .

ومما قام به أن عين لقضاء القضاة سراج الدين عمر البلقيني[7] عوضاً عن

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٢٩.

(٢) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٢٠٣ .

(٣) هو المتوكل على الله محمد أبو عبد الله ، ولي الخلافة سنة ٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م ، امتدت خلافته خمسة وأربعين عاماً ، خلع خلالها وحبس عدة مرات ، توفي سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م . السيوطي ، **حسن المحاضرة** ، جـ٢، ص٨١-٨٥.

(٤) بايعه الأمراء بالخلافة بعد عزل المتوكل على الله ، ولكنه عزل بعد خمسة عشر يوماً ، وبويع مرة أخرى ، ، ثم خلع ثانية سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م ، واستمر مخلوعاً إلى أن مات . السيوطي ؛ **حسن المحاضرة** ، جـ٢ ، ص٨٣.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣٠٩ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٢٠٥ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٣١٦- ٣١٧ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق٢ ، ص٢١٣.

(٧) هو عمر بن أرسلان بن ناصر الكناني العسقلاني الشافعي ، ولد في بلقين بمصر سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م ولي قضاء الشام أيام السلطان شعبان ، له عدة مؤلفات في الفقة مثل التدريب في فقه الشافعية ، وتصحيح المنهاج في ستة مجلدات ، والملمات فرد المهمات وله مؤلفات في الحديث منها محاسن الإصلاح توفى سنة ٨١٥هـ/ ١٤٠٢م ، إبراهيم علي طرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص٨٤ ،

القاضي برهان الدين إبراهيم بن جماعه [1] ، الذي عزل نفسه سنة (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) [2].

وتولى بعد طشتمر الأمير برقوق الذي استقر أميرا كبيراً وأتابكاً للعسكر ، فولى صديقه أيتمش البجاسي [3] أمير أخور بإمرة مائة وتقدمة ألف [4] ، كما ولى صديقه بركة الجوباني إمرة مجلس [5] ، فأصبحت الأمور بأسرها ترجع إليه وإلى الأمير بركة ، فكانت الولايات والعزل إذا انتظمت عند الأمير بركة في بيته تتم الموافقة عليها بعد إمضائها من قبل الأمير الكبير برقوق في الإسطبل ، بل إذا أراد أحد ولاية شيء من الأمور تحدث مع حاشية الأمير بركة حتى يتقرر له ما يريد ، ثم يبعث بذلك الرجل إلى الأمير برقوق ويعلمه بما أراد فيرضيه ثم يستقر فيما يقرره من الوظائف [6].

وفي سنة (٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) خلع الأمير برقوق على الأمير إينال اليوسفي وأقره أمير سلاح [7] ، وعظم أمر الأمير برقوق وانفرد بتدبير أمور الدولة وصار في موكب عظيم لم يُعهد مثله لأمير قبله [8] .

أما الوزارة فهي لا تقل أهمية عن نيابة السلطنة والأتابكية ، وكان متولوها في

حاشية رقم٣٦.

(١) هو إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد ولد سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م ، باشر القضاء بالديار المصرية بنزاهة وعفة ومهابة وحرمة ، كان محبباً إلى الناس ، كان رئيساً للعلماء في زمانه ، مات سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٨-٢٩ ، رقم٩٥.

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣١٩ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢١٦.

(٣) هو أيتمش بن عبد الله الأسندمري البجاسي الجرجاوي ، الأمير الكبير عظيم الدولة الظاهرية برقوق ، قتل سنة ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص١٦٤ ، رقم٥٨٧.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣٢٣-٣٢٤ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص٢٢٠.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣١٦.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣٢٤.

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣٢٤ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ١١ ، ص١٦٤.

(٨) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣٩١.

الأعم الأغلب من أرباب الأقلام [1]، ونادراً ما يتولاها أمير عسكري، فقد تولى الأمير علم الدين سنجر الشجاعي الوزارة في عهد السلطان المنصور قلاوون سنة (٦٧٩هـ/ ١٣٨٠م) وهو أول من تولى الوزارة [2] حيث عمل على زيادة اختصاصاتها، فقد أمره باستخراج الأموال وتدبير شئون الدولة [3]، كما جمع هذا الأمير بين نيابة السلطنة والوزارة في عهد السلطان الأشرف خليل، ريثما يولى أمير على نيابة السلطنة، ولم يكتب له تقليداً بالوزارة أو النيابة، فظل حتى عُين الأمير بيدرا نائباً وهو وزير [4].

وكان الأمير سنجر الشجاعي يتولى شد الدواوين، فإذا لم يكن بالدولة وزير تحدث في الوزارة، ثم استقل بها بعد ذلك، وكان جباراً عسوفاً مهيباً يجمع المال من غير وجهه، فكرهه الناس وتمنوا زوال دوله المنصور من أجله [5]، وخلعه المنصور قلاوون من الوزارة سنة (٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) وعاد إليها في سلطنة الناصر محمد الأولى سنة (٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) فأحكم أمر الوزارة، فاشتدت مهابة الناس له وقويت نفسه حتى أراد أن يستبد بالأمور، فشرع في إعمال التدبير على الأمير كتبغا ليقبض عليه، غير أن نهايته كانت القتل [6].

وقد يتولى الوزارة أمير بارز ذو حظوة لدى السلطان، فيستمد نفوذاً واسعاً يزيد من اختصاصاته حتى يطغى على من سواه، فعلى سبيل المثال تولى الأمير شمس الدين بن السلعوس الوزارة في عهد السلطان الأشرف خليل سنة (٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م)، ففوض إليه السلطان سائر أمور الدولة، وجرد معه عدة من المماليك السلطانية يركبون في خدمته، ويترجلون في ركابه، ويقفون بين يديه

---

(١) العمري؛ **التعريف بالمصطلح الشريف**، ص١٠٦.

(٢) علي إبراهيم حسن؛ **تاريخ المماليك البحرية**، ص٢٩٢.

(٣) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص٦٨٤.

(٤) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص٧٦١.

(٥) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص٧٥٥.

(٦) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص ٧٩٨-٨٠١.

يمتثلون أمره ، حتى تمكن تمكناً لم يتمكنه وزير قبله في الدولة [1] ، فقد كان هو الحاكم بأمره يخشاه كبار رجال الدولة ، يأتمرون بأمره ، ويضعون أنفسهم رهن إشارته [2] ، وقد عظم أمره حتى صارت تقرأ عليه الظلامات ويبت في أمرها دون عرضها على السلطان ، وأصبح صاحب الكلمة العليا في مصر والشام [3] ، بل استخف بنائب السلطنة الأمير بيدرا وعارضه وتحدث فيما يتحدث فيه ، فلم يقدر على إظهار الغضب لما يعلم من ميل السلطان إليه [4] ، ونتيجة لتحكمه وتسلطه كانت نهايته القتل [5] .

وفي سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) تولى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الوزارة في عهد السلطان لاجين ، فاشتدت حرمته وعظمت مهابته ، فلا يراجع ولا يخاطب إلا جواباً [6] .

غير أن أشهر من تولى الوزارة الأمير منجك اليوسفي الذي تولاها في عهد السلطان الناصر محمد سنة (٧١٢هـ/ ١٣١٢م) ، ففي وزارته عرفت مصر اللحم والسميط ، إذ لم يكن يعُرف قبل ذلك بمصر [7] ، وتولاها أيضاً في عهد السلطان حسن بن الناصر محمد سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) إلى جانب وظيفة الإستدارية ، فنفذ أمور الدولة ودبرها [8] .

وفي سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) اشتد الوزير منجك على أرباب الدواوين وتكلم فيهم ، فخافوه بأسرهم وقاموا بتقديم التقادم التى تليق به ، فلم يمض شهراً حتى

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٦١ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ٨ ، ص ٤ .

(٢) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٩٢.

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٦٧.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٦٢.

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٩٧-٧٩٨.

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٨٢٩- ٨٣٢ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٣٩٥.

(٧) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٤٢.

(٨) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٧٤٨ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٢٠.

أنس بهم واعتمد عليهم في أموره كلها ، وتحدث في جميع أقاليم مصر ومهد أمورها، كما استدعى ولاة الأقاليم ، وولى أسندمر القليجي [١] الغربية ، ثم عزله وولى قطليجا [٢] مملوك بكتمر ، ثم أعاد الأمير أسندمر إلى الولاية بالقاهرة سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) وأضاف له الجهات يتحدث فيها [٣] .

وفي سنة (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) أبطل الوزير منجك ما أحدثه النساء في ملابسهن ، وتحدث مع القضاة في ذلك ، وأن مصروف قميص الواحدة منهن بلغ ألف درهم ، فأشاروا بحرمة ذلك ، فما كان منه إلا أن قبض على عدد منهن ، وعلق أخشاباً على باب زويلة [٤] وباب النصر [٥] وباب الفتوح [٦] وعليها تماثيل معمولة على على صور النساء وعليهن القمصان الطوال إرهاباً لهن [٧] .

وفي سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) توقف أمر الدولة على الوزير منجك ، فقطع

---

(١) هو مملوك الأمير بيدرا ثم مملوك طرنطاي ، تنقل في الإمرة ، ودخل المغرب رسولاً ، ثم تولى بعدها البحيرة في أيام الناصر محمد ، ثم تولى ولاية القاهرة أياماً قلائل ، ومات في الطاعون العام سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص٢٢٦ ، رقم٩٨٧.

(٢) هو قطليجا البكتمري ، من مماليك بكتمر الساقي ، تمكن منه وتصرف في أحواله ، وكثرت أمواله وولي وولي بعده نيابة الإسكندرية ، ثم أحضر إلى القاهرة واستقر والياً عليها أشهراً ، ومات في الطاعون سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدر الكامنة** ، جـ٣، ص١٥٣ ، رقم٣٢٨٥.

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٧٤٩ ؛ ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ ١٠ ، ص ١٨٩ .

(٤) باب زويلة : من أبواب القاهرة القديمة في سورها القبلي ، أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي سنة (٤٨٥هـ (٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) كان مواجهاً لباب زويلة الذي كان في سور القائد الجوهر وقد هدم ، أما باب زويلة الحالي أكبر أبواب القاهرة وأضخمها . عبد الرحمن زكي ؛ **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام** ، ص٢١ .

(٥) باب النصر : من أهم المباني الحربية الإسلامية الباقية بمصر ، يقع في شارع باب النصر ، أنشأه جوهر الصقلي عندما شيد القاهرة ، ثم نقله بدر الجمالي إلى موضع أخر . عبد الرحمن زكي ؛ **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام** ، ص٢٥ .

(٦) باب الفتوح : أحد أبواب القاهرة ، وكان موضعه حينما أسس جوهر الصقلي القاهرة قرياً من رأس حارة بين السيارج ، فلما جدد بدر الجمالي سنة (٤٨٠هـ-١٠٨٧م) سور القاهرة أنشأ بابي النصر والفتوح في موضعيهما الحاليين وربطهما بسور يوصل بينهما بطرق وسراديب على ظهر السور وفي جوفه ، ويتكون من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل . عبد الرحمن زكي ؛ **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام** ، ص ٢٢-٢٣ .

(٧) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٨١٠ .

رواتب ستين من الوافدين ، وقطع رواتب كثيرة من المباشرين حتى وفر في كل يوم أحد عشر ألف درهم ، كما فتح باب المقايضات بالأخباز والنزولات عنها ، وجمع من ذلك مالاً كثيراً [1] .

ولم يرض السلاطين وكبار الأمراء أن يهيمن الوزير على المقدرات السياسية والاقتصادية ، فعمدوا إلى إضعاف منصب الوزارة ، وتثبيت صلاحيات الوزير على عدد من الإستادارية الذين جعلهم النظام الإداري المملوكي خداماً للسلطان [2] ، ففي سنة (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م) ألغى السلطان الناصر محمد الوزارة ، ووزع اختصاصها بين ناظر المال ، وناظر الخاص ، وكاتب السر ، وكلف كل واحد منهم بمهمة خاصة به ، وسبب ذلك توقف حال الدولة على الوزير الأمير مغلطاي الجمالي من قلة الواصل ، فأضعف أمر الوزارة وألغاها [3] .

وقد أراد السلطان الناصر من إلغائه للوزارة الانفراد بالسلطة والاستبداد بالنفوذ والسلطان ، ومنع تدخل بعض الوزراء في أمور الدولة تدخلاً قد يحد من نفوذه أو ينتهي بعزله [4].

وقد اقتضت شؤون الإدارة والحكم تعيين موظف كبير عرف بوالي القاهرة ، وقد جعله القلقشندي من أهم الموظفين الإداريين ، فهو الذي يستعلم عن مجددات ولاياته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك في كل يوم من نوابه ، ثم تكون مطالعة جامعة بذلك ، وتحمل إلى السلطان صبيحة كل يوم فيقف عليها [5].

وهو الذي ينفذ الأحكام ، ويقيم الحدود ، ويتعقب المفسدين ومثيري الفتن ، ومدمني الخمر ، كما يراقب أبواب القاهرة والطواف بأحياء التجارة والمال ولا

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص ٥٧٩ .

(٢) محمد سهيل طقوش ؛ **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام** ، ص٥٦٠ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٣١١-٣١٢.

(٤) علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٩٦.

(٥) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ ٤ ، ص ٦٠؛ علي إبراهيم حسن ؛ **تاريخ المماليك البحرية** ، ص٢٩٧.
ص٢٩٧.

يمكنه النوم خارج المدينة إلا بمرسوم خوفاً من حريق أو كسر حاصل أو فتح أو غير ذلك[1].

في سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٨م) رسم السلطان الناصر محمد لوالي القاهرة علم الدين سنجر الخازن بتخريب ما جدده النصارى في بناء كنيستهم التي أضرت بالمسلمين حولها، فامتثل الوالي لذلك[2].

وفي سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م) لم يتمكن الأمير علم الدين سنجر الخازن أن يضبط الأمن في الدولة فعزله السلطان وولى مكانه الأمير قدادار، فتعقب المفسدين ومثيري الفتن والقلاقل في البلاد، واشتد في معاقبة اللصوص ومدمني الخمر، غير أنه قسا في معاملة الناس، واشتد سفكه للدماء، وأمر ألا يفتح التجار حوانيتهم بعد العشاء، ولا يمشي أحد بالليل في الأسواق، ولا يخرج الناس من بيوتهم في المساء، فامتنعوا عن الخروج حتى صارت الطرقات موحشة مقفرة، ورتب الخفراء للسير ليلاً في جميع الحارات، فضاق الناس وكرهوا ولايته، ولكن السلطان الناصر لم يأبه لذلك، فأصدر مرسوماً لعماله وولاته يقضي بأن: «أحداً منهم لا يقتص ممن وجب عليه القصاص في النفس أو القطع إلا أن يشاور فيه ويطالع بأمره ما خلا قدادار متولي القاهرة»[3].

وفي سنة (٧٥٤هـ/ ١٣٥٤م) كثر المفسدون بظاهر القاهرة في مدة غيبة السلطان صلاح الدين صالح بن الناصر محمد، وكبسوا عدة دور، وركبوا الخيل وضاقت بهم الرجالة، فعظم الضرر بهم، فتتبع الوالي الأمير أسندمر العلائي آثارهم، فقبض على جماعة منهم، وركب بجماعته طوال الليل في القاهرة، وسمر عدداً كبيراً من أهل الفساد ووسط آخرين، وكتب إلى جميع عمال الوجه البحري، بألا يدعوا عندهم مفسداً، وشدد في ذلك، كما حذر من اقتناء الخيل بجميع

---

(١) علي إبراهيم حسن؛ **تاريخ المماليك البحرية**، ص٢٩٧.

(٢) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق١، ص١٨٢.

(٣) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق١، ص٣٠٠-٣٠١.

الأعمال ، وقبض على جمع كبير منهم ، فهدأت الأوضاع في البلاد [١] .

وقد يأمر السلطان والي القاهرة بقتل من وجب عليهم القتل في السجون ، ففي سنة (٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) رسم لوالي القاهرة حسين بن الكوراني [٢] بقتل جماعة لإرهابهم العامة ، فأخرج عدد منهم من خزانة شمائل ، وسمرهم [٣] ، ونودي عليهم هذا جزاء من يكثر فضوله ، ويتكلم فيما لا يعنيه ، ووسطهم [٤] تحت القلعة [٥] .

وفي سنة (٧٨٠هـ / ١٣٧٩م) قبض على الحاج سيف الدين مقدم الدولة وسُلم إلى الوالي ، فعُوقب حتى التزم بحمل مائة ألف دينار ، وأخذ جميع ما له من مراكب بحرية ودواليب قيمتها أكثر من ذلك ، ولم يعهد من قبل بمثل ذلك ، بأن يسلم من يصادر لوالي القاهرة ، وإنما يسلم لشد الدواوين أو مقدم الدولة بمرسوم الوزير ، ولا يتعدى حكم الوالي العامة وأهل الجرائم منهم ، أما أهل الأجناد والكتاب وأعيان التجار فلا يتولى الوالي الحكم فيهم ، وإنما أمرهم إلى نائب السلطنة أو حاجب الحجاب ؛ لأن كل واحد له رتبة محفوظة لا يتعدها ، «فانخرق السياج وأخذ كل أحد يتعدى طوره ، ويجهل قدره» [٦] .

وظلت بعض الوظائف الإدارية تقوم بدورها في بداية العصر المملوكي ،

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق ٣ ، ص ٩٠١-٩٠٢ .

(٢) هو الحسين بن علي الكوراني حسام الدين ، والي القاهرة ، قتله الظاهر برقوق خنقاً سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩٣م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص٣٧ ، رقم ١٦٠٧ ؛ ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ١ ، ص٢٧٥ ، رقم٩٤٦ .

(٣) التسمير في الأخشاب وهو يشبه الصلب ، ويكون ذلك بتعرية المحكوم عليه ، ثم ربطه على خشبتين على شكل صليب ، ثم وضعه على ظهر جمل ، ويشهر به في شوارع المدينة والمناداة علي وأنه فعل كذا وكذا . علاء طه رزق ؛ **السجون والعقوبات في مصر** ، ص ١٥١ ؛ محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣ .

(٤) التوسيط : ضرب المحكوم عليه تحت سرته ضربه قويع ، فينقسم إلى نصفين لتخرج أحشاؤه وتنهار على الأرض . علاء طه رزق ؛ **السجون والعقوبات في مصر** ، ص ١٥١ ؛ محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق٣ ، ص٣٠٧ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق٢ ، ص٢٠٣ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣٣٠ .

ولكن سرعان ما اتسعت اختصاصاتها ، ومن هذه الوظائف على سبيل المثال :

حاجب الحجاب : ومتوليها يكون برتبة أمير مائة ومقدم ألف ، وذكر القلقشندي بأنها تلي في الأهمية نيابة السلطنة ، وهي بذلك لا تقل أهمية عن الأتابكية أو الوزارة وغيرها من الوظائف الكبرى في الدولة ، وموضوع هذه الوظيفة أن متوليها ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه ، وتارة بمراجعة النائب ، وتقديم وعرض الجند [1] ، وله الحكم بين الأمراء والجند واختلافهم في أمور الإقطاعات [2] ، غير أن اختصاصات الحاجب تطورت في عصر المماليك البحرية ، فصار الحجاب يتدخلون في الأحكام الشرعية ، بل ويزاحمون قضاة الشرع فيها [3] ، وليس من عادتهم فيما تقدم أن يحكموا في الأمور الشرعية [4]، ففي سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) رسم السلطان الصالح صلاح الدين بن محمد بن قلاوون للأمير جرجي الحاجب [5] [5] بأن يتحدث في أمر أرباب الديوان ويفصلهم من غرمائهم ، وكان السبب في ذلك ذلك وقوف تجار العجم بدار العدل ، وشكوا بأنهم باعوا بضائعهم لعدد من تجار القاهرة فأكلوها عليهم ، فأخرج جرجي التجار من السجن ، وأحضر أعوان الوالي وضربهم ، وخلص منهم المال شيئاً بعد شيء ، ومنذ ذلك الوقت صارت الحجابة بالقاهرة وبلاد الشام تتصدى للحكم بين الناس فيما كان من شأن القضاة الحكم فيه [6] .

وللحاجب الإشراف على العمائر السلطانية التي يأمر السلطان بإنشائها ، ففي سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) كلف السلطان الأمير بكتمر الحاجب بالإشراف على القنطرة التي بناها على الخليج الناصري وسماها بقنطرة الحاجب لأشرافه على

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٦٠ ؛ القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص١٩.

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٦٠.

(٣) الباشا ؛ حسن ، **الفنون الإسلامية والوظائف** ، جـ١ ، ص٣٨٩.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٨٦٣.

(٥) أصله من مماليك الناصر ، تنقل إلى أن صار دويداراً صغيراً في أيام الصالح إسماعيل ، ثم أصبح دويدار كبير في أيام المظفر حاجي ، ثم أخرج بعد قتل المظفر ، تنقل في الوظائف حتى استقر من كبار الأمراء بدمشق ، مات سنة (٧٧٢هـ) . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ١ ، ص ٣١٨ .

(٦) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٨٦٣ ، **الخطط** ، جـ٣ ، ص٦٤.

عمارتها [1] .

وقد يكلف السلطان حاجب الحجاب بإنزال العقوبة بمن يأمر السلطان به فيمتثل لذلك ، ففي سنة (٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م) [2] سلم السلطان الناصر محمد شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله المعروف بالنشو إلى الأمير بشتاك حاجب الحجاب ، فعاقبه أشد العقوبة حتى مات تحت الضرب ، واحتاط على موجوده [3].

وقد يبعثه السلطان لحفظ منطقة من المناطق حتى يتم تعيين نائباً لها ، ففي سنة (٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) طلب السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد الأمير قبلاي الناصري الحاجب [4] ورسم له بالتوجه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها [5].

وكذلك من الوظائف الإدارية التي طغى اختصاص متوليها على اختصاص غيره ؛ الدوادار الكبير الذي كانت مهمته تبليغ الرسائل عن السلطان ، وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص إليه ، والمشاورة على من يحضر إلى الباب الشريف ، وتقديم البريد ، وأخذ الخط على عامة المناشر والتواقيع والكتب [6] ، فقد تولى هذه الوظيفة الأمير طيبغا الدوادار الأنوكي [7] حيث كان دويداراً كبيراً في عهد السلطان الناصر حسن الأولى سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) ، فضبط الأمور وحجر على الموقعين ،

---

(١) ابن إياس ؛ جـ١ ، ق١ ، ص٤٥٩.

(٢) ذكر المقريزي في السلوك أن ذلك حدث سنة (٧٤٠هـ) ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٤٨٠.

(٣) اعتذر بشتاك عن ذلك ، ولكن السلطان أمره أن يهدده على إخراج المال ، ثم يسلمه لابن صابر ، فوافق فأهانه وسبه ، ثم سلمه لابن صابر . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٢ ، ص٤٨٠ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٤٧٦.

(٤) هو قبلاي بن عبد الله الناصري ، تولى عدد من الوظائف ، ولي نيابة الكرك ، ثم الحجوبية الصغرى ثم ثم الكبرى بالقاهرة ، ثم تولى نيابة السلطنة في عهد الصالح صالح ، توفي سنة (٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) . ابن تغري بردي ؛ الدليل الشافي ، جـ ٢ ، ص ٥٣٣ ، رقم ١٨٢٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٣ ، ص ١٤٦ ، رقم ٣٢٥٠ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٦٢.

(٦) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص١٩.

(٧) كان من مماليك السلطان الناصر محمد فأعطاه لولده أنوك ، كان بديع الحسن ، ولاه الجمدارية ، ولما مات أنوك استمر في خدمة أولاده ، جعله الصالح دويداراً صغيراً ثم دويداراً كبيراً في عهد الناصر حسن الأولى ، مات بدمشق سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٣٨ ، رقم٢٠٥٨.

وصار يتأمل القصص التي تدخل دار العدل والتي تخرج منها ، وكذلك الكتب التي تُكتب ، والتواقيع والمراسيم ، كل ذلك قبل دخولها إلى العلامة ، فإذا تأملها أخيراً أعطى ما أراد لصاحبه [1].

وكذلك وظيفة رأس نوبة النوب التي اتسع اختصاص متوليها ، فأصبح له التصرف في أمور العزل والولاية ، بعد أن كان موضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم [2] ، وكان من يشغلها يستغل عادة بتدبير أمور الدولة[3] ، وقد تولى هذه الوظيفة الأمير شيخو سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) في عهد السلطان الناصر حسن بن محمد وأوكل إليه كذلك أمر خزانة الخاص [4]، ومما قام به به أن أبطل النزولات والمقايضات ، وأمر مباشري ديوان الجيش ألا يأخذوا رسم المنشور والمحاسبة سوى ثلاثة دراهم بعد ما كانوا يأخذون عشرين درهماً [5].

وفي سنة (٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م) تولى الأمير صرغتمش رأس نوبة كبير في رتبة الأمير شيخو ، حيث جعل إليه التصرف في أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم ، وأراد ألاّ يُعمل شيء إلا من بابه وبإشارته ، فإن تحدث غيره في عزل أو ولايةٍ غضب ، وأبطل ما تحدث فيه وأخرق بأصحابه ، فأجتمع الأمراء على أن يستبد السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد بالتصرف ، وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة [6].

ومن تلك الوظائف أيضاً شد الدواوين ، وقد تولى الأمير إغرلو السيفي شد الدواوين سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م) وأحدث ديواناً سماه بديوان البذل [7]، وذلك في

---

(١) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٢ ، ص١٣٨.

(٢) القلقشندي ؛ **صبح الأعشى** ، جـ٤ ، ص١٨.

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٦٥.

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٨٤٢.

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ،جـ٣ ، ص٥٩.

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٣٨٤ .

(٧) ديوان البذل ، مصطلح مملوكي يقصد به الرشوة . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ١٥ ، ص٢١٧ .

في سلطنة السلطان الكامل شعبان ، فكان يأخذ الإقطاعات والوظائف من كل أحد وأفرد لذلك ديواناً خاصاً بذلك [1].

إن سيطرة الأمراء على أوضاع الدولة إدارياً وطمعهم فيها وتنافسهم عليها ، لم يكن عاماً بينهم جميعاً ، إذ أن منهم من رفض تولى المناصب الكبرى في الدولة مهما كانت العروض المقدمة لهم رغم قربهم من السلطان ، ومقدرتهم على جني أكبر قدرٍ ممكن من الأموال والجاه ، وبالتالي السيطرة على السلطة وعلى أمور الدولة ، وخاصة نيابة السلطنة ، ومن الأمثلة على ذلك : الأمير أقسنقر الناصري الذي عرضت عليه وظيفة نيابة السلطنة سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م) في عهد السلطان شعبان بن الناصر محمد «فامتنع أشد الامتناع ، وحلف أيماناً مغلظة ألاّ يليها» [2] ، وكذلك الأمير منكلي بغا الشمسي [3] الذي تولى نيابة السلطنة سنة (٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين ، لكنه طلب العفو منها ، فأنعم عليه السلطان بدلاً عنها بتقدمة ألف وجعله أتابك العساكر [4] .

---

(١) ابن حجر العسقلاني ، **الدرر الكامنة** ، جـ١ ص٢٢٨ ؛ المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٥٩ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٢ ، ق٣ ، ص٦٨٣ .

(٣) هو أحد مماليك الناصر حسن ، أمره طبلخاناة ، ثم أمرة مائة ، ثم ولي حلب ، ثم استقر نائب السلطنة بمصر سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٨م ، ثم طلب العفو فاستقر أتابكياً ، ثم ولي نظر المارستان وظل على ذلك حتى مات سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م ، وكان مهاباً عاقلاً عارفاً يتكلم في عدة علوم . ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة** ، جـ٤ ، ص٢٢٤-٢٢٥ ، رقم٤٩٧٨ ؛ ابن تغري بردي ، **الدليل الشافي** ، جـ٢ ، ص ٧٤٤-٧٤٥ ، رقم ٢٥٤٢ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ٣ ، ق ١ ، ص ١٥٦ ؛ ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ١١ ، ص ١٢٤-١٢٤-١٢٥ ؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ١ ، ق١ ، ص٥٥٤ .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

إسهامات الأمراء في الحياة السياسية والإدارية وأثرهم الحضاري

المبحث الثالث

أعمال الأمراء الخيرية داخل القاهرة

يظل المتتبع لتاريخ الدوله المملـ ـاً أمـام حضـارة عظيمـة نمـت في أحضان هذه الدولة بمصر ، فجهود الأمراء المماليـك في الغـزو والفـتح المتواصـل ،

وانشغالهم بالمشاحنات والمنازعات الداخلية التي عانت منها القاهرة خاصة ومصر والشام عامة ، لم تكن حاجزاً أمام سلاطين وأمراء الدولة المملوكية في السعي وراء أوجه البر والخير ، فقد جعلوا القاهرة من أجمل مدن الشرق الإسلامي في العصر الوسيط ، وذلك بما أقاموه من منشآت رائعة بشتى أنواعها الدينية والتعليمية والتجارية(١).

وقد عاين ابن بطوطه بنفسه مدى تسابق الأمراء وتنافسهم في تخليد أسمائهم على كل ما شيدوه من الخوانق (٢) والتكايا (٣) وغيرها .

ولعل السبب في إقدامهم على الإكثار من تشييد المباني الخيرية هو نظرة الشعب المصري إليهم على أنهم غرباء عن البلد (٤)، وأنه ليس لهم حق في الحكم ، فاستغل المماليك ما نشأوا عليه من تربية إسلامية وعاطفة دينية ، فظهروا بمظهر الورع والتقوى ، فعمدوا إلى إنشاء المدارس والمساجد والجوامع ، كل ذلك من أجل صرف نظر الشعب المصري عن البحث في أصول المماليك وأحقيتهم في الحكم (٥).

وهناك سبب آخر ذكره ابن خلدون في مقدمته فقال : «وذلك أن أمراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق أو الولاء ، ولما يخشى من معاطب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس

---

(١) عبد الرحمن زكي ؛ **الجيش المصري** ، ص ٥ .

(٢) كلمة فارسية معناها بيت ، وقد جُعلت في بادىء الأمر لانقطاع الصوفية فيها للعبادة والذكر ، والخانقاه في العصر المملوكي أصبحت مسجد وبيت للصوفية ، وقد تكون مسجد ومدرسة ومساكن للطلبة . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٣٩٩ ؛ محمد محمد أمين ؛ **المصطلحات المعمارية في العصر المملوكي** ، ص٣٩.

(٣) مفردها تكية ، وهي تطور لشكل المدرسة معمارياً ووظيفياً ، وربما هي مزيج من المدرسة والخانقاة ، وشبيهة بالزاوية المغربية ، وظهرت التكية في العصر العثماني ، وكان الغاية منها إيواء الدراويش من الأغراب ، وفي الغالب ليس لهم كسب وإنما لهم مرتبات شهرية وسنوية من الأوقاف العامة أو من الأوقاف الخاصة . عبد الرحمن زكي ؛ **الجيش المصري** ، ص ٤٩-٥٠ ؛ عبد الرحيم غالب ؛ **موسوعة العمارة الإسلامية** ، ص ١٠٧ .

(٤) ابن بطوطه ؛ **تحفة النظار** ، جـ ١ ، ص ٢٧ ؛ عبد الرحمن زكي ؛ **القاهرة تاريخها وآثارها** ، ص١١٠ .

(٥) محمد محمد أمين ؛ **الأوقاف** ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

والزوايا [1] والربط [2]، وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة يجعلـون فيهـا شركـاً لولـدهم ينظر عليها أو يصيب منها» [3].

ويعطي هذا القول تصوراً واضـحاً بـأن أحـوال الدولـة المملوكيـة في بعـض الأوقات لم تكن مستقرة ، و أن الأمراء وكذلك السلاطين كانوا يتعرضون لحوادث المصادرة والسجن ، مما جعلهم يرون في الأوقاف وسيلة أو ملجأ يلجأون إليـه عنـد الضرورة ، وضماناً لذرياتهم من بعدهم [4].

والواقع أن المماليك استغلوا الكثـير مـن الأراضي الخاليـة داخـل القـاهرة في شمالها أو جنوبها ، وأقاموا فيها المساجد والجوامع والمدارس والأسـبلة والأضرحـة والحمامات والوكالات ، كل هذا لحـبهم للبنـاء والتعمـير ، وسـاعدهم عـلى ذلـك الرخاء الذي عم مصر في ذلك العصر [5].

ولسنا هنا بصدد حصر المنشآت التي أنشأها الأمراء بقدر ما نريد أن نبين مدى حرص هؤلاء الأمراء وتنافسهم على القيام بأعمال البر والإحسان ، سواء كان ذلـك تقرباً إلى الله تعالى ، أو صدقة على الشعب أو رحمة بهم ، أو حباً في الظهور والمباهاة ، أو رغبة في حفظ شيء من الإقطاع لذراريهم كوقف [6].

المنشآت الدينية التي حرص الأمراء المماليك على بنائها تحتل المقام الأسمى بين العمائر الإسلامية ، من حيث كثرة عددها ، ومهارة صنعها ، ومدى فخامتها [7].

فقد بلغت المساجد والجوامع التي شيدت في ذلك العصـر مـن سـنة (٦٤٨-

---

(١) نوع من الأبنية الدينية ، لا مئذنة لها ولا منبر ، تضم ميضأة ، وغالباً ضريح مؤسسها ، تصميمها قريـب إلى تخطيط المدرسة . عبد الرحيم غالب ؛ **موسوعة العمارة الإسلامية** ، ص ٢١١ .

(٢) مفردها رباط ، وهو عبارة عن ملجأ مخصص لفقراء المسلمين أو عتقاء الواقف أو الجند البطالين . محمد محمد أمين ؛ **المصطلحات المعمارية** ، ص ٥٢ .

(٣) ابن خلدون ؛ **المقدمة** ، ص ٤٣٤-٤٣٥ .

(٤) عبد الغني محمود ؛ **التعليم في مصر** ، ص ١٢١ .

(٥) عبد الرحمن زكي ؛ **القاهرة تاريخها وآثارها** ، ص ١٠٨ .

(٦) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ ٧ ، ص ٣١٠ .

(٧) حسن الباشا ؛ **الآثار الإسلامية** ، ص ٩١ .

٧٨٤هـ/ ١٢٥٠م – ١٣٨٢م) تسعاً وثمانين ، منها ما يزيد عن ثلاثين جامعاً شيدت في عهد السلطان الناصر محمد في المده الثالثة من حكمه سنة (٧٠٩هـ – ٧٤١هـ/ ١٣١٠م – ١٣٤٠م) [١] لحبه الشديد للعمارة وتشجيعه لأمرائه على إقامة المباني وإمدادهم بالمال ووسائل البناء [٢].

وذكر بعض المؤرخين أن ما شيد في مصر من المساجد والمدارس بين عامي (٧٢٠- ٧٦٠هـ/ ١٣٢٠-١٣٥٩م) بلغ أربعين مسجداً ومدرسة [٣].

ومن هذه الجوامع والمساجد على سبيل المثال :-

- جامع الأفرام ، شيده الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله المعروف بالأفرم سنة (٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م) [٤].
- جامع ألماس ، شيده الأمير سيف الدين ألماس الحاجب سنة (٧٣٠هـ / ١٣٣٠م) [٥].
- جامع قوصون ، شيده الأمير سيف الدين قوصون سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)[٦]. / ١٣٣٠م)[٦].
- جامع آل ملك ، شيده الأمير سيف الدين الحاج آل ملك سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) [٧].
- جامع بشتاك ، شيده الأمير بشتاك الناصري سنة (٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦م) [٨].
- جامع المارداني ، شيده الأمير الطنبغا المارداني الساقي سنة (٧٣٩هـ /

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٩ ، ص ١٩٨ ، عبد الرحمن زكي ؛ **القاهرة تاريخها وآثارها** ، ص٥٢٣ ، ذكر ابن أيبك في كتابه كنز الدرر ، جـ ٩ ، ص ٣٨٨-٣٩٠ أنها بلغت ستة وعشرين مسجداً .

(٢) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٩ ، ص ١٧٩ .

(٣) ابن بطوطه ؛ **تحفة النظار** ، جـ ١ ، ص ٢٧ .

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٢١٦، ٢١٧ .

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٢١٧ / ٢١٨ ؛ علي مبارك ؛ **الخطط التوفيقية** ، جـ ٥ ، ص٨٧ .

(٧) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٢٢٢ .

(٨) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٢١٩ / ٢٢٠ .

١٣٣٩م)[١].

- جامع أصلم ، شيده الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار سنة (٧٤٥هـ / ١٣٤٥م) ، وهو من أحسن الجوامع [٢].
- جامع أقسنقر ، شيده الأمير أق سنقر شاد العمائر السلطانيه سنة (٣٤٧ هـ / ١٣٤٧م) [٣].
- جامع شيخو ، شيده الأمير الكبير سيف الدين شيخو الناصرى سنة (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) ، وموضوعه تحت قلعة الجبل [٤].
- جامع منجك شيده الأمير سيف الدين منجك اليوسفي سنة (٧٥١هـ / ١٣٥١م) ، وموضعه تحت قلعة الجبل [٥].

الخوانق في العصر المملوكي كانت تجمع بين الجامع والمدرسة والضريح [٦].

أشهر الخوانق التي شيدها الأمراء المماليك في القاهرة :-

- خانقاة بيبرس الجاشنكير ، شيدها الأمير بيبرس الجاشنكير سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦م) ، وألحق بها قبة كبيرة بها قبره [٧].
- خانقاة بكتمر ، شيدها الأمير بكتمر الساقي سنة (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) ، وهي أجل ما بني بمصر ، وقد رتب بها صوفية وقراء وقرر لهم ما يحتاجونه في كل يوم من المطعم والمشرب [٨].
- خانقاة قوصون ، شيدها الأمير سيف الدين قوصون سنة (٧٣٦هـ / ١٣٣٦م)

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص٢١٢/ ٢١٩، علي مبارك ؛ **الخطط التوفيقية** ، جـ٥ ، ص٩٨ .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٢١٩ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٢٢٠ ، علي مبارك ؛ **الخطط التوفيقية** ، جـ٥ ، ص٢٠

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٢٢٧/ ٢٢٨، علي مبارك ؛ **الخطط التوفيقية** ، جـ٥ ، ص٣٤ .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٢٣٩ .

(٦) حسن الباشا ؛ **الآثار الإسلامية** ، ص ١٣٧ .

(٧) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٤٠٤ .

(٨) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٤١٦ .

ورتب لها معلوماً سنياً من الدراهم والخبز واللحم كما قرر بها جماعة من الصوفية وكل ما يحتاجون إليه(١) .

- خانقاة شيخو : شيدها الأمير الكبير سيف الدين شيخو الناصري سنة (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) ، ورتب فها دروساً عدة للحديث والفقه ودروساً لإقراء القرآن بالروايات السبع ورتب فيها طلبة للعلم (٢).

ومن الأربطة التي حرص الأمراء على تشييدها :-

- رباط الفخري ، شيده الأمير عز الدين أيبك الفخري (٣).
- رباط الخازن ، شيده الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن والي القاهرة (٤).

.(٤)

- رباط الأفرم ، شيده الأمير عز الدين أيبك الأفرم سنة (٦٦٣هـ / ١٢٦٥م) ، ورتب فيه صوفية وشيخاً وإماماً ، كما قرر لهم معاليم من أوقاف أرصدها لهم(٥).

لهم(٥).

أما المنشآت التعليمية فمن أبرزها المدارس ، وقد حرص الكثير من الأمراء المماليك على إنشاء المدارس ، حتى كثر عددها بمصر ، يقول ابن بطوطة : «وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها»(٦).

وتعد أحد أهم المؤسسات التعليمية في الحضارة الإسلامية ، ومن أبرز المدارس التي شيدها الأمراء في القاهرة :-

- المدرسة الحسامية ، شيدها الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري - نائب السلطنة - في عهد السلطان المنصور قلاوون ، وقد خصصها لفقهاء

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ و ص ٤١٩ .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٤١٢ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٤٢٣ .

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٤٢٤ .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٤٢٧ .

(٦) ابن بطوطه ؛ **تحفة النظار** ، جـ١ ، ص ٢٧ .

الشافعية.[1]

- المدرسة المنكوتمرية ، شيدها الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي – نائب السلطنة – في عهد السلطان لاجين المنصوري سنة (٦٩٨هـ / ١٢٩٩م) ، ورتب فيها درساً للمذهب المالكي والحنفي ، وزودها بخزانة للكتب[2].
- المدرسة القراسنقرية ، شيدها الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري سنة (٧٠٠هـ / ١٣٠١م) ، وشيد بجوارها مكتباً لإقراء أيتام المسلمين كتاب الله تعالى ، وجعل بها درساً للفقهاء[3].
- المدرسة الطيبرسية ، شيدها الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري[4] نقيب الجيوش سنة (٧٠٩هـ / ١٣١٠م) ، وقد أنفق في تشييدها مالاً كثيراً ، وقرر بها درساً للشافعية ، وأوقف عليها أوقافاً عدة[5].
- المدرسة الملكية ، شيدها الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار سنة (٧١٩هـ / ١٣١٩م) ، ورتب بها درساً للشافعية ، زودها بخزانة كتب جليلة ، وأوقف عليها الأوقاف وقد كانت من المدارس المشهورة[6].
- المدرسة الجاولية ، شيدها الأمر علم الدين سنجر الجاولي سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) ، وعمل بها دروساً وصوفية ولها عدة أوقاف[7].
- المدرسة الجمالية ، شيدها الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي سنة (٧٣٠هـ / ١٣٣٠م) ، وأوقف عليها عدة أوقاف ، ورتب فيها الدروس كما أنه جعلها

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٣٥٣ .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٣٥٥ ؛ علي مبارك ؛ **الخطط التوفيقية** ، جـ ٥ ، ص١٥-١٦ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٥٧ .

(٤) طيبرس الخازنداري : من مماليك بيليك الخازندار ثم انتقل إلى الأمير بيدرا تولى نقابة الجيش في عهد السلطان لاجين كان حسن السياسه أميناً مهاباً عفيفاً ، مات سنة ٧١٩هـ – م . ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ / ١٣٨ رقم ٢٠٥٥ .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٣٦٣ .

(٧) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٧٣ .

خانقاه للصوفية [1].

- المدرسة الصرغتمشية ، شيدها الأمير سيف الدين صرغتمش النـاصري ، رأس نوبة النوب سنة (٧٥٦-٧٥٧هـ / ١٣٥٥-١٣٥٦م) ، وقد كانـت مـن أجمـل المباني بالقاهرة ، وجعلها وقفاً على الفقهاء الحنفية ، ورتب بها دروساً للحـديث النبوي[2].

- مدرسة ألجاي ، شيدها الأمير سيف الدين ألجاي سـنة (٧٦٨هـ / ١٣٦٧م) ، وجعل بها دروساً للمذهب الحنفي ، كما زودها بخزانة عظيمة للكتب [3].

ومن المنشآت الخيريـة التـي أقامهـا بعـض أمـراء المماليـك ؛ الأسـبلة للنـاس وللدواب منها على سبيل المثال :-

- سبيل الأمير شيخو وموقعه بالحطابة شيده سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٤م) [4].

- سبيل الأمير بهاء الدين أصلم والذي ألحقه بجامعه ، وهو عبارة عن حوض ماء كبير [5].

- سبيل الأمير طيبرس للدواب بجوار المدرسة التي أنشأها [6].

وبالإضافة إلى دور الأمراء في إنشاء المنشآت ، فقد كـان لهـم دور في الإشراف على منشآت يأمر بإنشائها السلاطين ومن أمثلة ذلك :-

- جامع السلطان الظاهر بيبرس ، أمر بتشييده سنة (٦٦٥هـ / ١٢٦٤م) ، وقـد أشرف على تشييده الأمير علم الدين سنجر السروري والي القاهرة [7].

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٣٦٣ .

(٢) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٣٧٥- ٣٧٦ .

(٤) عبد الرحمن زكي ؛ **موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام** ، ص ١٢٤ .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ و ص ٢١٩ .

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٣٤٨ .

(٧) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ٣ ، ص ٢٠٣ .

- المدرسة المنصورية ، أمر بتشييدها السلطان المنصور سيف الدين قلاوون سنة (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) ، وأشرف على تشييدها الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، ورتب بها دروساً لقضاة المذاهب الأربعة ، ودروساً للطب [١].

وندب السلاطين بعض الأمراء لترميم منشآت متنوعة ومختلفة داخل الدولة وخارجها من أمثلة ذلك :

في سنة (٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) أصدر السلطان حسام الدين لاجين أوامره للأمير علم الدين سنجر الدواداري [٢] بعمارة الجامع الطولوني [٣] فعمره وعمر أوقافه وأوقف عليها الأوقاف [٤].

وفي سنة (٧٠٢هـ / ١٣٠٢م) حدث زلزال عظيم في عهد السلطان الناصر محمد وتضررت منه الكثير من الجوامع والأبنية منها الجامع الحاكمي [٥]، فانتدب لإصلاحه الأمير بيبرس الجاشنكير فكشفه بنفسه ورممه حتى عاد جديداً .

غير أن كل ما شُيّد من المساجد والمدارس لا يمكن أن يستمر دون أن يجد العناية والرعاية الكافية التي تضمن استمراره وأداء واجبه لذلك خُصصت الأوقاف للصرف عليها .

فلا تقام منشأة إلاّ أوقف منشؤها عليها ناحية ما داخل القاهرة أو خارجها إما أرضاً ، أو دوراً ، أو مالاً ، أو سوقاً وغيرها [٦] ، بل أن المنشئين لهذا المنشآت حرصوا

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٤٢ .

(٢) هو سنجر بن عبد الله الدواداري الناصري ، من أعيان أمراء الملك المنصور قلاوون ، ثم ولده الأشرف خليل ، مات من جرح أصابه خارج حلب سنة (٦٩٧هـ / ١٣٩٧م) . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ ١ ، ص ٣٢٥ ، رقم ١١١٢ .

(٣) كان السبب في إقدام السلطان لاجين على تجديد هذا الجامع ، أنه لما هرب في وقعه بيدرا التي كانت نهايتها قتل الأشراف خليل اختفى بمنارة هذا الجامع الذي كان مهجوراً فنذر نذراً أن يجدده إذا تولى الحكم . المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق٣ ، ص ٨٢٧ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ١ ، ق ٣ ، ص ٨٢٧ ، جـ ٢ ، ق١ ، ص ١٣٠ .

(٥) وضع أساسه أمير المؤمنين العزيز بالله وأحكمه ابنه الحاكم بأمر الله ، كان يعرف أولاً بجامع الخطبة ويُعرف الآن بالجامع الحاكم كان موقعه خارج باب الفتح أحد أبواب القاهرة وهو الآن داخل القاهرة وذلك بعد توسعة أمير الجيوش بدر الجمالي . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ١٦٣ ، مطبعة بولاق .

(٦) محمود رزق سليم ؛ **موسوعة عصر سلاطين المماليك** ، جـ ٣ ، ص ٦٣ .

حرصوا كل الحرص على الإنفاق عليها من أموالهم الخاصة ولم يستخدموا فيها أحداً بغير أجرة[1] .

من هذه المنشآت التي أوقفت عليها الأوقاف من قبل منشؤوها على سبيل المثال ؛ الجامع الأزهر[2]، جدده الأمير عز الدين الحلي سنة (٦٦٥هـ / ١٢٦٤م) ، وزاد فيه ورتب به الدروس المختلفة وأوقف عليه الأوقاف الدارة[3].

وأوقف الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي على مدرسته المنكوتمرية أوقافاً ببلاد الشام[4].

وأوقف الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري على مدرسته داره التي بحارة بهاء الدين[5].

وأوقف الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير على الجامع الحاكم الذي قام بتجديده أوقافاً بالجيزة وبعض بلاد الصعيد والإسكندرية وكان ريعها عظيماً[6].

ولما شيد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير خانقاه سنة (٧٠٦هـ / ١٣٠٧م) ، أوقف عليها عدة ضياع في داخل مصر وخارجها[7].

وأوقف الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي على مدرسته التي شيدها سنة (٧٣٠هـ / ١٣٣٠م) أوقافاً في القاهرة وظواهرها وفي البلاد الشامية كذلك[8].

وأوقف الأمير منجك على جامعه الذي شيده سنة (٧٥١هـ / ١٣٥١م) عدة

---

(١) عبد الغني محمود ؛ **التعليم في مصر** ، ص ١٢٤ .

(٢) هو أول جامع أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الصقلي سنة (٣٥٩هـ) . المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ١٥٦ ، مطبعة بولاق .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ١٥٧ .

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٥٥ .

(٥) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٥٧ .

(٦) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ١٦٣ .

(٧) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٤٠٤ .

(٨) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٦٣ .

أوقاف [1].

وأوقف الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري مدرسته التي شيدها سنة (٧٥٧هـ / ١٣٥٦م) وقفاً عظيماً ينفق على مشايخها وفقهائها [2].

وأوقف الأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد على مدرسته الأقبغاوية حوانيت خارج باب زويلة وقرية بالوجه القبلي [3].

ولم يبخل الأمراء المشيدون في الصرف على منشآتهم مهما كلفهم ذلك وتأنقوا كثيراً فيما شيدوه، فقد قيل عن الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري عندما بنى مدرسته أنه: «تأنق في رخامها وتذهيب سقوفها حتى جاءت في أبدع وأحسن قالب وأبهج ترتيب، لما فيها من إتقان العمل وجودة الصناعة، وبلغت النفقة عليها جملة كثيرة» [4]، ويذكر أنه لما كمل بناء هذه المدرسة - الطيبرسية - جاء المباشرون إليه بحساب ما صرف عليها فلم ينظر فيه بل غسله بالماء وقال: «شيء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه» [5].

وفي سنة (٧٦٧هـ / ١٣٦٦م) رتب الأمير يلبغا العمري في الجامع الطولوني دروساً للمذهب الحنفي، وعين به سبعة من المدرسين، وقرر لكل فقيه من الطلبة أربعين درهماً في الشهر علاوة على أردب من القمح، مما دفع جماعة من الشافعية إلى الانتقال من مذهبهم إلى المذهب الحنفي ليتمكنوا من الالتحاق بهذا الدرس [6]، وفعل الأمير شيخو مثل ذلك [7].

العصر المملوكي عُرف بكثرة الفتن والثورات التي كان الأمراء المماليك هم

---

(١) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص ٢٣٩.

(٢) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص ٣٨٣.

(٣) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص ٣٥٠.

(٤) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص ٣٤٨.

(٥) المقريزي، **السلوك**، جـ٢، ق١، ص ١٩٩؛ **الخطط**، جـ٣، ص ٣٤٩.

(٦) المقريزي؛ **الخطط**، جـ٣، ص ١٤٣-١٤٤.

(٧) المقريزي؛ **السلوك**، جـ٢، ق ٣، ص ٨٦٤.

من يثيرونها في الغالب فهذا لا يعني عدم وجود أمراء اتسموا بسمات البر والخير والصلاح ، فما شيدوه من المساجد والمدارس والزوايا والأربطة وغيرها ، وما قاموا به من منع بعض المنكرات والمحرمات التي أُبتلي بها العامة في ذلك العصر ، وما قاموا به من مساعدات مادية للفقراء والمحتاجين خاصة عند حدوث الأزمات التي كثيراً ما تعرضت لها الدولة من وقت لآخر كان شاهداً لهم .

فقد منع الأمير سيف الدين الحاج آل ملك في مدة نيابته للسلطنة في عهد السلطان الناصر محمد ، شرب الخمور وتعقب البغايا (1)، وكان هذا الأمير خيراً فيه دين وعبادة ويميل إلى أهل الخير والصلاح وتعتقد بركته (2).

وكان الأمير حسام الدين طرنطاي ديناً خيراً كثير البر والصدقات ، يحب فعل الخير ويخضع لأوامر الشرع ، ويقرب إليه العلماء (3).

وقيل عن الأمير منجك اليوسفي أنه من أجلّ الأمراء ، إذ كان خيراً محباً لفعل الخير ، وعمّر المدارس والخانات والقناطر المشهورة به ، ومنع الخمور وخروج النساء إلى الأسواق (4).

وكان الأمير طشتمر المعروف بحمص أخضر من خيار الأمراء وله الصدقات الكثيرة على الأيتام ، من كسوة ونفقة وأجرة لمن يعلمهم القرآن ، وله الإحسان العظيم على الحرافيش (5).

ففي سنة (٧٢٧هـ / ١٣٢٧م) سجنه السلطان الناصر محمد ، فاجتمع آلاف الحرافيش حول القلعة ونادوا بلسان واحد : «يا أعرج النحس - يقصدون السلطان الناصر محمد - أخرجه» فأخرجه من سجنه ، ثم سجنه مرة ففعل الأيتام مثل ذلك

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق ٣ ، ص ٦٤٠ .

(٢) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٣٤٠ / ٣٤١ .

(٣) ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق١ ، ص ٣٦٦ .

(٤) ابن شاهين الظاهري ؛ **نيل الأمل** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٩٣ .

(٥) الحرافيش : مفردها حرفوش وهم الرعاع والدهماء وضعاف الخلق وليس لهم صنعة وهم أحط طبقات طبقات الشعب . محمد أحمد دهمان ؛ **معجم الألفاظ التاريخية** ، ص ٦٠ / ٦١ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **العصر المماليكي في مصروالشام** ، ص ٤١٥ ؛ إبراهيم طرخان ؛ **النظم الإقطاعية** ، ص ٤٧٨ .

فأطلقه [1]، وكذلك عُرف عنه حرصه على الإكثار من ذبح البقر والغنم في ليالي رمضان ، وحرص الأمير برقوق على فعل مثل ذلك في أيام إمارته [2] .

وكان الأمير أيدغمش الناصري كثير العطاء جواداً كريماً [3]، ووُصف الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار بسلامة صدره وحبه للخير[4] .

وكان الأمير يلبغا اليحياوي الناصري كثير التلاوة للقرآن الكريم ، يحب الفقراء ويجالسهم ، ولم يكن فيه شر ولا انتقام [5].

وكان الأمير أرسلان الداوادار[6] كثير النفع للناس ولا يمل من قضاء حوائجهم[7].

وإلى جانب ذلك فإن من الأمراء المماليك من اتصفوا بالجور والعسف والظلم ونهب الأموال ، حتى أنهم عند بناء منشآتهم يعمدون إلى اغتصاب أرضها مستغلين ما لهم من مكانة ونفوذ .

فالأمير ألماس الحاجب كان يحصل على الأموال من طرق غير مشروعة ووصف بالظلم والعسف والجور، وكان ظاهره الصلاح وباطنه خلاف ذلك ، ومن سوء خلقه أنه كان يميل إلى الشبان ومعاشرته لهم [8].

والأمير علاء الدين أقبغا عبد الواحد كان على جانب كبير من الظلم والطمع

---

(١) ابن تغري بردي ؛ **النجوم الزاهرة** ، جـ ٩ ، ص ٣٠١-٣٠٢ ؛ ابن بطوطة ؛ **تحفة النظار** ، جـ ١ ، ص٣٣ ؛ عبد الرحمن زكي ؛ **القاهرة تاريخها وآثارها** ، ص١٥١ .

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور ؛ **المجتمع المصري** ، ص ١٨٨ .

(٣) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٣٦٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٤) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٢١٩ .

(٥) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠ .

(٦) بهاء الدين أرسلان بن عبد الله الدوادار ، من خواص الأمير سلار ، تولى وظيفة دوادار كبير في عهد الناصر محمد ، فعظم قدره ، كاهن حسن الخط ، قوي الفهم ، توفي سنة (٧١٧هـ/ ١٣١٧م) . المقريزي ؛ **المقفى الكبير** ، جـ ٢ ، ص ١٧-١٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ ، رقم ٨٦٨ .

(٧) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٨) ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ .

والتعاظم ، وكان يجمع الأموال ويأخذ الفوائد ممن يحتاج إلى قرض منه [1] .

أما الأمير سيف الدين قوصون فقد أقدم على أخذ حمام السبع غصباً ، وكان وقفاً ، حيث اتفق الأمير قوصون مع قاضي القضاة تقي الدين أحمد بن عمر الحنبلي حتى يحكم بيعه بمقتضى مذهبه ، وقد احتال قوصون حتى ابتاع هذا الحمام وجدد عمارته [2]، بل تعدى الأمر به إلى الاستيلاء على الدار البيسرية التي كانت وقفاً بيد ورثة الأمير بدر الدين بيسري الشمسي الذي عمر هذه الدار وأوقفها ، والغريب في الأمر أن السلطان الناصر محمد وقف إلى جانبه حتى تم له أخذها [3] ، وهذا يعود إلى المكانة التي تمتع بها الأمير قوصون لدى السلطان.

ولم يكتف الأمراء بما شيدوه من المباني الخيريه فحسب ، بل قاموا بدور فعال في إعادة التوازن لدولتهم وخاصة في الأوقات التي تتعرض البلاد فيها للمحن الاقتصادية والأزمات الاجتماعية التي يتضرر بسببها عامة الشعب المصري ، فكانت الأوامر السلطانية تفرض على الأمراء من حين لآخر بسد حاجة العامة من الفقراء والمحتاجين .

ففي سنة (٦٦٢هـ / ١٢٦١م) حدثت مجاعة بالقاهرة في عهد السلطان الظاهر بيبرس ، فأصدر أمره بإحصاء المحتاجين والفقراء والإلتزام بإطعام عدد منهم ، كما ألزم الأمراء وكبار رجال الدولة والأعيان والتجار والأثرياء كلاً حسب قدرته بأن يطعم كل واحد منهم عدداً آخر ، وأن يستمر الفقير في تناول نصيبه اليومي من الطعام على مدى ثلاثة شهور ، و تم الامتثال للأمر السلطاني حتى تمكنوا من اجتياز الأزمة [4].

وفي سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) ارتفعت الأسعار بالقاهرة في عهد السلطان كتبغا ، فتضرر الناس كثيراً ومات الكثير جوعاً ، فلما اشتد الأمر سوءً أمر السلطان

---

(١) المقريزي ؛ **الخطط** ، جـ ٣ ، ص ٣٤٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق٢ ، ص ٣٢١ ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤٤٢ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق٢ ، ص ٣٦٢ ؛ **الخطط** ، جـ ٢ ، ص ٤١١-٤١٢ .

(٤) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٧٠٦-٧٠٧ .

بتوزيع الفقراء على الأمراء والميسورين كلاً حسب حاله [1].

وفي سنة (٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م) وقع الغلاء بالديار المصرية وذلك في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وارتفعت الأسعار، فضج الناس بالسلطان فجمع الأمراء، وقال لهم: «يا أمراء شهر عليكم وشهر عليَّ وشهر على الله» فامتثل الأمراء للأمر السلطاني، ففرج الله عن الناس ما هم فيه [2].

وعندما كثر الموت بعد الوباء الذي عم الناس في كثير من البلدان سنة (٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) قام الأمير مغلطاي الجمالي والأمير شيخو بتغسيل الناس وتكفينهم [3].

وفي سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٦م) حدث غلاء عظيم نتج عنه ارتفاع عظيم في الأسعار وقلت الأقوات ومات الكثير من الجوع حتى امتلأت الطرقات، فأمر السلطان الأشرف شعبان بن حسين بجمع المحتاجين وتفريقهم على الأمراء والميسورين من التجار حتى فرج الله ما هم فيه من البلاء [4].

الأمراء سارعوا في مثل هذه الظروف إلى مد يد العون والمساعدة للعامة والمحتاجين والمتضررين، حتى إن كان ذلك على حساب تحقيقهم للأرباح المادية وذلك طلباً للأجر والمثوبة من الله، فعلى سبيل المثال؛ توقفت الأحوال في الدولة المملوكية في سنة (٧٠٩هـ/ ١٣١٠م) بسبب توقف زيادة النيل، ونتج عن ذلك ارتفاع الأسعار في كثير من المنتجات الغذائية، فما كان من بعض الأمراء إلاّ أن امتنع عن البيع، غير أن الأمير عز الدين أيدمر الخطيري [5] أمر مباشريه بألا يتركوا

---

(١) المقريزي؛ **السلوك**، جـ١، ق٣، ص ٨١٠؛ **إغاثة الأمة**، ص ٣٢-٣٥.

(٢) المقريزي؛ **إغاثة الأمة**، ص ٣٩/ ٤٠.

(٣) ابن تغري بردي؛ **النجوم الزاهرة**، جـ١٠، ص ٢٠٩.

(٤) المقريزي؛ **إغاثة الأمة**، ص ٤٢٠؛ ابن إياس؛ **بدائع الزهور**، جـ١، ق ٢، ص ١٤١.

(٥) عز الدين أيدمر الخطيري: من الأمراء المقربين لدى الناصر محمد، كان لا يتركه يبيت في داره ليلة واحدة وكان نقي ظاهر الهيبة جواداً محتشماً، مات سنة (٧٣٨هـ/ ١٣٣٨م). ابن تغري بردي؛ **الدليل الشافي**؛ ص ١٦٩، رقم ٦٠٦؛ ابن حجر العسقلاني؛ **الدرر الكامنة**، جـ١، ص ٢٥١، رقم ١١٢٧.

عنده سوى مباشرة سنة [١].

وفي سنة ٧٦٤هـ - ١٣٦٣م ، فرق الأمير يلبغا الناصري كثيراً من الغلال والمال في الفقهاء والصوفية ويقال إنه استغنى كثير من الناس من هذه الصدقات [٢].

وفي سنة (٧٧٦هـ / ١٣٧٥م) اشتد الغلاء بمصر حتى هلك الناس من شدة الجوع ، فانتدب الأمير منجك النائب وجمع الفقراء والمساكين وفرقهم على الأمراء كباراً وصغاراً للإنفاق عليهم لسد حاجتهم [٣].

وسارع الأمراء كذلك إلى التصدق من أموالهم لدفع البلاء والمرض عنهم وعن ذرياتهم رغبة في الدعاء لهم ، فقد توفيت زوجة الأمير سيف الدين طغاي [٤] بعد مرض شديد سنة (٧١٧هـ / ١٣١٧م) ، فتصدق زوجها عنها ووزع مالاً كثيراً على الفقراء [٥].

وفي سنة (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) مرض الأمير أرغون الكاملي ، فتصدق عنه الأمير أرغون العلائي بعشرة ألاف درهم ، وأفرج عن المسجونين [٦].

---

(١) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق١ ، ص ٥٥ . ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** ، جـ ٨ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٣ ، ق ١ و ص ٨٥ .

(٣) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٣ ، ق ١ ، ص ٢٣٥ ؛ ابن شاهين الظاهري ؛ **نيل الأمل** ، جـ ١ ، ق٢ ، ص٨١؛ ابن إياس ؛ **بدائع الزهور** ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ١٤٠ .

(٤) هو طغاي بن عبد الله الناصري ، أعظم أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، أقره رأس نوبة ، غير أنه قبض عليه بعد مدة وأبعده إلى الشام ، ثم أمسكه واعتقله بالإسكندرية ، ومات بها سنة (٧١٨هـ / ١٣١٨م) . ابن تغري بردي ؛ **الدليل الشافي** ، جـ ١ ، ص ٣٦٤ ، رقم ١٢٤٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ؛ **الدرر الكامنة** ، جـ ٢ ، ص ١٣٣ ، رقم ٢٠٢٧ .

(٥) المقريزي ؛ **السلوك** ، جـ ٢ ، ق١ ، ص ١٧١ ؛ حياة ناصر الحجي ؛ **أحوال العامة** ، ص ٢٢٢ .

(٦) حسن الباشا ؛ **الآثار الإسلامية** ، ص ١٦٣ .


الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة ه السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم

بفضل الله وتوفيقه أُنجزت هذه الدراسة ، والتي تناولت الحديث عن الأمراء في القاهرة خلال عصر دولة المماليك البحرية ، وعلى ضوءها تم استخلاص النتائج التالية :

- إن الأمراء المماليك نجحوا في إقامة دولتهم على الرغم من الاعتراضات التي واجهوها من قبل حكام الدولة العباسية والشعب المصري الرافض لحكم المماليك .

- إن معركة عين جالوت (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م) كانت بمثابة الدعامة الرئيسية في اعتراف الدول الإسلامية عامة ومصر خاصة بحكم المماليك وأنهم قوة قادرة – بفضل الله تعالى – على الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية .

- إن الأمراء المماليك لم يكونوا من جنس واحد ، وإنما من أجناس عدة ومن مناطق مختلفة ، فمنهم التركي والرومي والجركسي والفارسي وغير ذلك ، وقد كانت بلاد القبجاق أكثر المناطق التي يُجلب منها المماليك .

- لقد عُرف المماليك قبل قيام دولتهم بوقت بعيد ، إلا أن تأثيرهم على مجريات الأحداث السياسية ظهر في عهد الدولة العباسية ، وقد كان الخليفة المأمون أول خليفة عباسي يستكثر منهم ، ثم أخوه المعتصم الذي

اعتمد على المماليك لما تميزوا به من قدرة قتالية وعسكرية ، وتابعت الدول الإسلامية مثل الدولة الطولونية والأخشيدية والفاطمية والأيوبية شراء المماليك .

- تعتبر فترة حكم السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي أكثر الفترات التاريخية استجلاباً للماليك ، فقد استكثر منهم السلطان الصالح حتى أصبحوا معظم جيشه ، وأسكنهم جزيرة الروضة ، وأطلق عليهم المماليك البحرية ، فكان ذلك بمثابة العامل الرئيسي في ظهور طبقة الأمراء المماليك .
- اهتمام حكام الدولة المملوكية بجلب المماليك ، وبذل الأموال الطائلة من أجل اقتناء أعداد كبيرة منهم ، وكان أكثر سلاطينهم جلباً للمماليك السلطان الظاهر بيبرس ، والسلطان المنصور قلاوون ، والسلطان الناصر محمد ؛ الذي كان يدفع في المملوك الواحد مائة ألف دينار .
- العناية والاهتمام التي تلقاها المماليك من أول يوم يصلون فيه للطباق ومراحل تربيتهم التي تبدأ بتعليمهم العلوم الدينية ، ثم يتعلمون فنون الحرب والقتال من قبل فقهاء ومعلمون خُصصوا لكل طبقة في الطباق ، ويتولى الطواشي مسؤولية مراقبة المماليك داخل الطباق ، ويترأس مقدم المماليك الإشراف على الطباق ، وقد اتصف بالصرامة والشدة في معاملة المماليك .
- المملوك لا يتم حصوله على أي مرتبة عسكرية أو وظيفة إدارية إلا بعد عتقه بعد أن تظهر عليه علامات الفطنة والذكاء ، وأن يكون ماهراً في فنون القتال ، ومن ثم يغادرالطباق ويخصص له مصروفاً ، ويعطى إقطاعاً بعد أن يتولى وظيفة من وظائف الدولة .
- المكانة التي تمتع بها بعض الأمراء ساعدتهم في الحصول على أعلى المراتب والوظائف في الدولة ، فقد قربهم السلاطين وبنوا لبعضهم القصور ،

وأغدقوا عليهم بالأموال والخلع ، وولـوهم أعـلى المناصـب ، وخاصـة السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

- إن حياة الأمراء الخاصة لا تقوم على أساس وحدة الأسرة بقدر ما قامت على الرق والعبودية ، حيث جُلبوا صـغاراً وتركـوا آبـائهم وأمهـاتهم في بلدانهم ودخلوا الطباق ، وعُلموا الولاء والطاعة لسيدهم .

- إن المماليك – وخاصة الأمراء – عاشوا في عزلة تامة عـن عامـة الشـعب المصري ، فلا يتزوجون منهم ، بل إن زوجاتهم هـن مـن بنـات جنسـهم المجلوبات ، فكان من النادر جداً أن نجد أميراً يتـزوج مـن بنـات أهـل البلاد .

- لم يكن أبناء الأمراء يحق لهم وراثة مناصب آبائهم ولا إقطاعاتهم ، حيـث تعود كل إقطاعات الأمير المتوفى إلى السلطان ، غير أن بعض السـلاطين أنعموا على عدد من أبناء الأمراء بإمرة ، وذلك حسب المكانة التـي تمتـع بها آبائهم لدى السلاطين .

- أن الأمراء المماليك اقتدوا بسـلاطينهم في شراء المماليـك والإكثـار مـنهم والصرف عليهم ، وذلك حسب ثراء الأمير وغناه .

- شغل الأمراء المماليك بعض الوظائف الجديدة التي اسـتحدثها سـلاطين المماليك لتطوير النظام الإداري لدولتهم .

- تدرج الأمراء المماليك في مناصب الدولة والتي كانت عبارة عن مناصب عسكرية ومناصب إدارية ، فالمناصب العسكرية تدرجت من أقل مرتبـة إلى أعلى مرتبة ، وهي أمير خمسة ، أمير عشرة ، أمير طبلخاناه ، أمير مائة، أما المناصب الإدارية فهي التي كلـف بهـا الأمـراء أصـحاب الرتـب في الدولة.

- أن الأمراء المماليك يتدرجون في الوظـائف حتـى يصـلون إلى الوظـائف العليا ، ومنهم من يظل على رتبته ووظيفته ، ومنهم من ينتقل سريعـاً إلى أعلى المناصب وفي وقت قصير .

- لم تشفع تلك المكانة التي تمتع بها بعض الأمراء المماليك لدى السلاطين من تعرضهم للإذلال والعزل والنفي والسجن والمصادرة دونما اعتبار لهم .
- ظهر ثراء الأمراء في نفقاتهم وحفلاتهم وأسمطتهم وعند تجهيز بناتهم وعند مصادرتهم ، والتي حصلوا عليها من إقطاعاتهم ورواتبهم المخصصة لهم ، وما أنشأوه من منشآت تجارية تدر عليهم دخلاً إضافياً ، كالوكالات والقياسر والخانات والفنادق ، وحكرهم للأراضي ، والسماح للناس بالبناء عليها ، فساهموا بذلك في رفع اقتصاد الدولة .
- ساهم الأمراء المماليك في إثارة الفتن والثورات داخل الدولة وخارجها ، كما شارك عدد منهم في إخماد هذه الثورات .
- شارك الأمراء المماليك في مهام خاصة في الدولة ، فأُرسلوا في حملات لتثبيت السلطة وللدفاع عن حدود دولتهم ، ومثلوا بلادهم كسفراء من أجل صلح أو وساطة أو مصالح بين الدول الأخرى .
- تمكن الأمراء المماليك من خلال وظائفهم المهمة في الدولة من القيام بأدوار إدارية ساهمت في حل بعض القضايا والمشكلات في الدولة ، وإصدار الأوامر بالعزل والولاية دون الرجوع إلى السلطان .
- حرص بعض الأمراء المماليك على إنشاء المنشآت الخيرية ، مثل المساجد والمدارس والخوانق والأسبلة ، وساهموا في ترميم بعض المنشآت بأمر سلطاني ، وأوقفوا عليها الأوقاف .
- ساهم الأمراء المماليك في الوقوف مع الدولة أثناء الأزمات الاقتصادية التي تضرر منها عامة الشعب .
- اتصاف بعض الأمراء المماليك بصفات الخير والصلاح ، ومنهم من اتصف بالأخلاق السيئة التي كانت سبباً في هلاكهم على يد السلاطين.

وأخيراً .. وبعد هذا العرض لأهم نتائج الدراسة أرجوا أن أكون قد أصبت

وأفدت في أضاح أهم جوانب هذه الدراسة .. والله ولي التوفيق ،،،

قائمةُ المصَادِرِ و المراجع

أولاً - المصادر :

* **القرآن الكريم** .

* **ابن إياس** : محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠ / ١٥٢٤م) .

- بدائع الزهور في وقاع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

* **ابن أيبك الدواداري** : أبو بكر عبد الله (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) .

- كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ، تحقيق هانس روبرت اويمر ، القاهرة ، المعهد الألماني للآثار ، (د . ت) .

* **ابن بطوطة** : محمد بن عبد الله اللواتي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) .

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (المسماة بالرحلة) ، تحقيق أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولي بك ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق ، الجزء الأول ، (د . ت) .

* **ابن تغري بردي** : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، (د . ت) .

- المنهل الصافي ، والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

- الدليل الشافي على المنهل الصافي ، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، (د . ت) .

* **ابن حبيب** : الحسن بن عمران بن الحسن عمر (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) .

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢م .

* **ابن حجر العسقلاني** : شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٣م) .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق عبد الوارث محمد علي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٨٧م .
- أنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن الحبشي ،القاهرة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، الجزء الأول ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

* **ابن خلدون** : عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .

- المقدمة ، بيروت ، دار العلم ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م .
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، الجزء الخامس ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م .

* **ابن دقماق** : إبراهيم بن محمد بن آيدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) .

- الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى . (د . ت) .
- الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، تحقيق لجنة إحياء التراث ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، (د . ت) .

* **ابن شاهين الظاهري** : زين الدين عبد الباسط بن خليل .

- نيل الأمل في ديل الدول ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، المكتب العصري ، جـ١ ، ق٢ ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٢م .

* **ابن شاهين الظاهري** : غرس الدين خليل (ت ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م) .

- زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك ، اعتنى بتصحيحه بولس راويس ، القاهرة ، دار العرب للبستاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

* **ابن شاهين الملطي** : عبد الباسط بن خليل (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٤م) .

- نزهة الأساطين فيمن ولي مصر مـن السـلاطين ، تحقيـق محمـد كـمال الدين عز الدين علي ، القاهرة ، مكتب الثقافية الدينية ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

* **ابن عبد الظـاهر** : محـي الـدين أبـو الفضـل عبـد الله بـن رشـيد (ت ٦٩٢هــ / ١٢٩٢م) .

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق مراد كامـل ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، (د . ت) .

- الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القـاهرة ، تحقيـق أيمـن فـؤاد سيد ، بيروت ، أوراق شرفيه ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م .

* **ابن فهد** : عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد الهاشمي القرشي (ت ٨٥٠هـ / ١٤٨٠م) .

- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيـق فهـيم شـلتوت ، مكـة المكرمة ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، الجزء الأولى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م .

* **ابن كثير** : عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .

- البدايـة والنهايـة ، تحقيـق أحمـد عبـد الوهـاب فتـيح ، القـاهرة ، دار الحديث ، المجلد السابع ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م .

* **ابن منظور** : أبي الفضائل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) .

- لسان العرب ، بيروت ، دار صادر، (د . ت) .

* **أبو الفداء** : عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) .

- المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ، المطبعة الحسينية المصرية ، الطبعـة الأولى ، (د . ت) .

* **الحموي** : ياقوت (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .

- معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

* **الذهبي** : شمس الدين أبي عبد الله محمد أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٢٤٧م).

- سـير أعـلام النـبلاء ، بـيروت ، مؤسسـة الرسـالة ، الطبعـة الأولى ،

١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

* **السيوطي** : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، بردة ، دار البخاري ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٨م .

* **الشافعي** : أبي حامد محب الدين محمد بن خليل القرشي (ت هـ / م) .

- دول الإسلام الشريفة البهية ، تحقيق صبحي لبيب والوريش هارمان ، بيروت ، الشركة المتحدة للتوزيع ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

* **الصفدي** : الحسن بن أبي محمد عبد الله الهاشمي العباسي (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م) .

- نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري ، بيروت ، الكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

* **الصفدي** : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) .

- الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠٠م .

- أعوان العصر في أعيان النصر ، تحقيق علي أبو زيد وآخرون ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، (د . ت) .

* **الصوفي** : محمد بن أبي الفتح محمد (ت ٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) .

- كتاب الصفوة في وصف الديار المصرية ونظام المماليك الإسلامية ، تحقيق طلال جميل الرفاعي ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

* **العمري** : شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .

- التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

* **العيني** : بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) .

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م .

* **الفاسي** : محمد بن أحمد الحسني المكي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) .

- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فواد سيد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الجزء السادس ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م . الجزء الثامن ، تحقيق محمد محمد الطناجي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

* **القرماني** : أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي (ت ١١٠٩هـ/ ١٦١٠م) .

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بغداد ، (د . ت) ، الجزء الثاني ، ١٢٨٢هـ ، ١٨٦٥م .

* **القلقشندي** : أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، (د . ت) .

* **المقريزي** : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) .

- كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، الجزء الثالث والرابع ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠م .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ، دار التحرير للطبع والنشر ، مطبعة بولاق ، ١٢٧٠م ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، تحقيق خليل المنصور ، (د . ت) .
- المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .
- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين شيال ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٩هـ .

* **المنصوري** : بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) .

- التحفة المملوكية في الدولة التركية ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق زبيدة محمد عطا ، القاهرة ، عين

للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (د . ت) .

- مختار الأخبار (تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك) ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ ، ١٩٣٠م .

* **النويري** : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) .

- نهاية الإرب في فنون الأدب ، تحقيق محمد ضياء الدين الريس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

* **اليوسفي** : محمد بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م) .

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر ، تحقيق أحمد حطيط ، بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

* **اليونيني** : موسى بن أحمد بن قطب الدين (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) .

- ذيل مرآة الزمان ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م .

ثانياً - المراجع :

* **إبراهيم** : رجب عبد الجواد .

- المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث ، تقديم فهد حجازي ، القاهرة ، دار الآفاق العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م .

* **أمين** : محمد محمد ، إبراهيم : ليلى علي .

- المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، القاهرة ، دار النشر بالجامعة الأمريكية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

* **أمين** : محمد محمد .

- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، (د.ت) .

* **الباشا** : حسن .

- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ، دار

النهضة العربية ، ١٩٦٥م .
- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٨م .
- مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٠م .

* **البقلي** : محمد قنديل .
- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م .

* **جبران** : نعمان محمود .
- دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك ، الأردن ، حماد للخدمات ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .

* **الحارثي** : عدنان محمد .
- عمران القاهرة وخططها في عهد صلاح الدين الأيوبي ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

* **الحجي** : حياة ناصر .
- السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك ، الكويت ، لجنة التأليف والتعريب والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .
- أحوال العامة في حكم المماليك ، الكويت ، كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .
- السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

* **حسن** : علي إبراهيم .
- تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٧م .

* **حسين** : أحمد .
- موسوعة تاريخ مصر ، القاهرة ، الشعب ، (د . ت) .

* **حسين** : حمدي عبد المنعم .

- دراســات في تــاريخ الأيــوبيين والمماليــك ، دار المعرفــة الجامعيــة ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م .

* **حسين** : علاء طه رزق .
- السجون والعقوبات في مصر عصــر سـلاطين المماليـك ، القـاهرة ، عين للدراسات والبحـوث الإنسـانية والاجتماعيـة ، الطبعـة الأولى ، ٢٠٠٢م .
- عامة القاهرة في عصـر سلاطين المماليك ، القاهرة ، عـين للدراسـات والبحــوث الإنســانية والاجتماعيــة ، الطبعــة الأولى ، ١٤٢٤هـــ ، ٢٠٠٣م .

* **دهمان** : محمد أحمد .
- معجم الألفاظ التاريخية في العصرـ المملـوكي ، دمشـق ، دار الفكـر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .

* **الرافعي** : عبد الرحمن ، عاشور : سعيد عبد الفتاح .
- مصر في العصور الوسطى من الفـتح العـربي حتـى الغـزو العـثماني ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٧م .

* **زكي** : عبد الرحمن .
- موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٨٩هـ ، ١٩٦٩م .
- موسوعة الجيش المصري في العصر الإسـلامي مـن عـين جـالوت إلى رشيد ، القاهرة ، مطبعة الكيلاني ، ١٩٧٠م .
- القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائـد إلى الجـبرتي المـؤرخ ، الـدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م .

* **الزيدي** : مفيد .
- موسوعة التاريخ الإسلامية (العصر المملوكي) ، الأردن ، دار أسامة ، ٢٠٠٣م .

* **سرور** : محمد جمال الدين .

- دولة بني قلاوون في مصر ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٤٧م .
- دولة الظاهر بيبرس في مصر ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٠م .

❋ **سليم** : محمود رزق .

- موسوعة عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، المطبعة النموذجية ، الطبعة الثانية ، ١٣٨١هـ ، ١٩٦٢م .

❋ **السيد** : محمود .

- تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٨م .

❋ **شبارو** : عصام .

- السلاطين في المشرق العربي (معالم دورهم السياسي والحضاري) ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٤م .

❋ **الشربيني** : البيومي إسماعيل .

- مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧م .

❋ **شلبي** : أحمد .

- موسوعة التاريخ الإسلامية ،القاهرة ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة السادسة ، ١٩٨١م .

❋ **طرخان** : إبراهيم علي .

- النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، القاهرة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م .

❋ **طقوش** : محمد سهيل .

- تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

❋ **عاشور** : سعيد عبد الفتاح .

- الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦م.
- العصر المملوكي في مصر والشام ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤م .

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، (د . ت) .
- مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٢م .

❋ **عاشور** : فائد حماد .

- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٧٦م .

❋ **العبادي** : أحمد مختار .

- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.

❋ **عبد الدائم** : عبد العزيز محمود .

- الرق في مصر في العصور الوسطى ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٣م .

❋ **عبد العاطي** : عبد الغني محمود .

- التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤م .

❋ **عبد الوهاب** : حسين .

- المساجد الأثرية في القاهرة ، بيروت ، أوراق شرقية ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م.

❋ **عدوان** : أحمد محمد .

- العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي ، الرياض ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

❋ **العريني** : السيد الباز .

- المماليك ، بيروت ، دار النهضة العربية ، (د . ت) .

❋ **غالب** : عبد الرحيم .

- موسوعة العمارة الإسلامية ، بيروت ، جروس برش ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٠م .

* **الغامدي** : عبد الله سعيد .

- جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في بلاد الشام ، مكة المكرمة ، مركز البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .

* **قاسم** : قاسم عبده .

- تاريخ الأيوبيين والمماليك ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .
- عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسي والاجتماعي) ، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

* **ماجد** : عبد المنعم .

- تاريخ الحضارة الإسلامية ونظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧م .

* **مبارك** : علي باشا .

- الخطط التوفيقية ، مصر ، مطبعة بولاق ، الجزء الخامس ، ١٣٠٥هـ ، ١٨٨٨م .

* **محمود** : حسن أحمد ، الشريف : أحمد إبراهيم .

- العالم الإسلامي في العصر العباسي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الخامسة ، (د . ت) .

* **معلوف** : لويس .

- المنجد في اللغة ، بيروت ، دار المشرق ، الطبعة العشرون ، (د . ت) .

* **الوقاد** : محاسن محمود .

- الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م .

* **الوكيل** : فائزة .

- الشوار (جهاز العروس) في مصر في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، دار نهضة الشرق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١م .

ثالثاً - المراجع المعربة :

* **لابدوس** : إيرا .

- مدن إسلامية في عهد المماليك ، ترجمة علي ماضي ، بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧م .

* **مايـر** : ل . م .

- الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د . ت) .

* **مـوير** : السير وليم .

- تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة محمود عابدين وسليم حسن ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .

رابعاً - الدوريات العلمية :

* **أحمد** : أحمد عبد الرزاق .

- العلاقات الأسرية في المصطلح المملوكي ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث والعشرون ، سنة ١٩٧٦م .
- الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادي والعشرون ، سنة ١٩٧٤م .

* **بك** : أحمد رمزي .

- وفاة الملك الظاهر ودفنه ، مجلة الرسالة والرواية ، العدد ٦٩٩ ، السنة الرابعة عشر ، ١٩٤٦م .

* **الحجي** : حياة ناصر .

- الأمير قوصون صور حية في نظام الحكم في سلطنة المماليك ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت ، المجلد الثامن ، العدد ٣٢ ، سنة ١٩٨٨م .

* **عاشور** : سعيد عبد الفتاح .

- حراس الإسلام ، مجلة العربي ، العدد ٢٧٥ ، ذو الحجة ، سنة

١٤٠١هـ ، ١٩٨١م.

* **محمد** : شفيق جاسر أحمد .

- المماليك وقضاؤهم على الصليبيين في مصر والشام ، مجلة الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، العدد ٨١-٨٢ ، السنة ٢١ محرم – جمادى الأولى ١٤٠٩هـ .

خامساً – الرسائل العلمية :

* **كريم** : شاهنده فهمي .

- جوامع ومساجد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، رسالة دكتوراه لم تنشر ، جامعة القاهرة ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

الفِهرِس

الموضـــــوع الصفحة